سليمان الفهد

شاهد على زمان الاحتلال العراقى فى الكويت

٢ / ٨ / ١٩٩٠
٢٦ / ٢ / ١٩٩١

مكتبة مدبولى



سليمان الفهد

شاهد على زمان الاحتلال العراقى فى الكويت

٢/ ٨/ ١٩٩٠

٢٦/ ٢/ ١٩٩١

الطبعة الثالثة

مكتبة مدبولى

الغلاف هدية من الفنان المهندس : هشام بهجت عثمان

الإشراف الفنى: إبراهيم فريـــح

اهـــداء

● إلى نواف

جرحنا الأعمق

حيا أو شهيدا ●

الطبعة الأولى - يوليـو ١٩٩١
الطبعة الثانية - سبتمبر ١٩٩١
الطبعة الثالثة - أكتوبر ١٩٩١

عنوان المؤلف فى جمهورية مصر العربية
٣٧ شارع قصر النيل شقة ٧٢
تليفون : ٣٩٢٤٣٢٨

مقدمة

خلال الأسبوع الأول من الاحتلال لقيت الأخ د. بدر الشيباني في ديوانية أحد الأقارب. ووجدته يهمس لي بضرورة اصدار صحيفة يومية سرية مبديا استعداده لتولى مهمة طباعتها واخراجها واستنساخها. وذكر لي- يومها.. بأن عدة التشغيل (الكمبيوتر- جهاز الاستنساخ) بحوزته. ولا ينقصه سوى المادة الصحفية لكي نباشر اصدار الصحيفة المرجوة.

وفي يوم ١٤/ ٨/ ١٩٩٠ صدر العدد الأول من «الصرخة» بشكل صحيفة يومية تضم في صفحاتها الافتتاحية والأخبار والمعلومات والزوايا الصحفية الثابتة وما إلى ذلك.

وقد لقيت «صرخة» ولله الحمد صدى واسعا وقبولا حسنا من المرابطين والنازحين.. وتردد اسمها في بعض الإذاعات ووكالات الأنباء العربية والأجنبية ناقلة عنها بعض أخبار المقاومة الوطنية المسلحة وغيرها.

وقد أسهم في تحريرها معي الزملاء والزميلات (د. بدر الشيباني- سعدية المفرح- ليلى محمد صالح- غنيمه زيد الحرب- موضى المفتاح) وتولى مهمة توزيعها مجموعة من شباب (كيفان، والشامية، والخالدية، والعديلية) من الجنسين. وهي مهمة خطرة جداً.. أداها الشباب بفروسية وتضحية وشجاعة تستأهل الإشادة والتنويه. سيما إذا علمنا أن السلطة العراقية المحتلة كانت تعتقل كل من يكون بحوزته منشور أو

صحيفة سرية.. فما بالك إذا كان يقوم بتوزيعها. وقد اعتقل بعض الشباب «من الجنسين» ونقلوا إلى السجون في الكويت المحتلة والعراق بسبب توزيعهم لهذه الصحيفة وغيرها. لكن الاعتقال لم يمنع بقية الشباب من الاستمرار في أداء مهمة التوزيع!.

وقد استمر صدور «صرخة» وبقية أخواتها قرابة شهرين. وقد اضطرت إلى التوقف عن الصدور، بعد أن كشفت استخبارات السلطات المحتلة مداهماتها التعسفية، للسيارات والمشاة والمنازل بحثا عن الجنود المجهولين، الذين يجاهدون الاحتلال والمحتلين بالكلمة الطلقة «المعمرة» بالتحريض.ضد الغزاة الذين دنسوا الأرض وعاثوا فيها قتلا وارهابا، وقمعا وسلبا ونهبا، وعربدة اجرامية لا مثيل لها في التاريخ القديم والحديث والمعاصر!.

ووجدتني أثر توقف «صرخة» عن الصدور في حالة ضيق شديد. إذ أن الكاتب الصحفي- مثل العبد لله- كان يجد في هذه الصحيفة متنفسا ينزف من خلاله الكلمة التعبوية التحريضية المناهضة للعدو المحتل، والمحرضة على المرابطة والصمود والمقاومة.

لقد كان القلم- أي قلم وطني- يرفض السكوت ويضيق بالصمت، سيما أن الممارسات الإجرامية، تستأهل الفضح والتعرية، وسط التعتيم الإعلامي الذي فرضته السلطة العراقية المحتلة على الكويت. فمن المعروف أنها أصدرت «فرمانا قرقوشيا» ارهابيا، يقضي بإعدام كل من يضبط بحوزته كاميرات تصوير وعدة طباعة وكتابات معادية! أضف إلى ذلك انها- السلطة المحتلة- حرمت على رجال الصحافة والإعلام دخول الكويت المحتلة. كما كانت تفتش المغادرين، بحثا عن أي تقرير صحفي مهرب بمعية أحد النازحين عبر حدود السعودية.

وازاء هذا الوضع وجدتني أكتب- كلما سنحت الفرصة- يوميات محنة الاحتلال العراقي الغادر لديرة الكويت المسالمة. صحيح أن اليوميات لم تحفل بالتاريخ الزمني..

ولم تسجل أو تحط بكل شيء يوميا. لكنها تمكنت من توثيق حياة المرابطين، المترعة بروح التكافل والايثار والتراحم وفعل الاستشهاد والتضحية والمقاومة، والعصيان المدني والمواقف البطولية الفذة!

كما أنها وثقت العديد من الممارسات الإجرامية لقوات الاحتلال الغاشم. طوال الأشهر السبعة لمحنة الاحتلال العراقي الغادر. وبخاصة الممارسات التي أتيح لي معايشتها ومعاناتها، أو على الأقل أتيح لي اللقاء بمن عايشوها وكابدوا ويلاتها.

ولذا فإن شهادة الكاتب على الاحتلال العراقي الغاشم، تتكيء على المعاينة والمعاناة والمشاهدة، التي تمت في المحيط الذي يعيش ويتحرك فيه. ومن هنا فإن الشهادة تعبر عن رؤية الكاتب في حدود المساحة الجغرافية والاجتماعية اللتين كان يتحرك فيهما ويعايشهما.

وبهذا المعنى: فإن هذه الشهادة التي سيدلي بها الكاتب قاصرة على الأحداث والوقائع التي أتيح له معايشتها ومعرفتها ومن ثم تسجيلها.

وقد أطلقت العنان لقلمي، وتركته «يسولف» ويتحدث على سجيته وكما تعن له الكتابة!.

ومن هنا تجده مرة يتحدث عن شخوص إنسانية تعمل وتفعل وتمارس دوها الوطني في الظل، بمنأى عن العيون والأضواء والشهرة! وتارة يستوقفه مكان ومرفق ليكون إطارا وموقعا وبطلا للواقعة التي يرويها!.

وتارة ثالثة: يهرع- بعيتك- وراء بهيمة حيوانية تقوده إلى معرفة فعل إنساني يحتوى ممارسة إجرامية التي تقوم بها قوات الاحتلال!.

ورابعة: يتوقف فيها متمليا الأشجار الواقفة بعناد وشموخ، على الرغم من مظاهر العدم والاستجابة التي تحيط بها من كل صوب!.

وكان هاجسي الأول يكمن في كتابة كل ما يعن لي ويخطر على بالي ويتدحرج من ذكراتي!.

ولهذا السبب لابد من صدور هذا الكتاب فى أجزاء.. (ولا تسألنى كم جزءاً لأنى لا أعرف!) ولعل بعض الأصدقاء الحميمين أدرى من العبد لله بهذه المسألة! حسبه- أى العبد لله- أن يدحرج شهادته وذكرياته وخواطره على الورق وبس!.

وقد كنت أتمنى أهداء الكتاب إلى شيخنا «الجبرتى» رحمه الله وغفر له.. لأنه كان يقتحم على صومعتى التى كنت أكتب فيها.. لكن أحد الأخوة الأدباء «الصعايدة» أصر على أن يكون الأهداء إلى «نواف ٢٣ سنة» ولدى الذى لا يزال سجين المعتقلات العراقية بمعية ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف مواطن كويتى مدنى جلهم من الشباب الذين تم اعتقالهم بطريقة تعسيفة مزاجية.. أو اعتقلوا لأسباب نضالية مشروعة بكافة المقاييس.

وأحسب أن عمنا «الجبرتى» نفسه سيثنى على رأى أخينا الأديب الصعيدى.. لأنه يتفق مع هواه وتوجهه فى الاحتفال بعامة الناس وتوثيق أفعالهم.

أن جل الجزء الأول من هذا الكتاب مكرس لعامة المرابطين الذين قد لا تحفل بهم أقلام الكتاب والمؤرخين!.

والعبد لله- أخيرا- لا يزعم بأن شهادته القول الفصل الذى لا يحتمل تصحيحا وتعقيبا وإضافة... لا سمح الله.

حسبه أنه كتب ما كتب بحبر الكاتب المرابط الذى عايش وعانى وسمع. فإذا كان ثمة هنات وزلات وأخطاء فى شهادة العبد لله فالعتب على النظر والسمع!.

والله الموفق لما فيه خير البلاد والعباد.

سليمان الفهد*

كيفان فى العشرين من رمضان ١٤١١هـ

الكويت الحرة

* كاتب صحفى كويتى فى الصحف الكويتية (السياسة، الوطن، القبس محطته الأخيرة منذ عام١٩٨٩م).

كلمة لا بد منها

أما قبل : فان الكاتب اختار صياغة بعض
فصول هذا الكتاب وفق "سيناريو" يوحي
بانه صحفي من الخارج دخل الكويت المحتلة
خلسة ومن ثم غادرها بنفس الطريقة
بحيث يشعر القارئ - والسلطة المحتلة
خاصة - بان العبدالله ليس من المرابطين
.. وذلك لاسباب امنية لا تخفى على
القارئ . وقد اضطررت إلى استخدام
هذه الصيغة التمويهية درءاً لاي
خطر .. سيما ان اسلوب العبدالله
- مثل عيون الصب - تفضحه بصمته
في الكتابة ومنحاه في التعبير !
لقد كان الكاتب يرسل تقاريره عبر
الفاكس السري "بوناصر" لكنه
لم يغادر الكويت المحتلة البتة .
وكانت تقاريره الصحفية السرية ترسل
الى وكالة الانباء الكويتية "كونا" ..
ويفترض ان تبثها وتنشرها . لكني
حتى هذه اللحظة لا اعلم هل فعلت ذلك
ام لا !! ما علينا ... حسبنا اننا كتبنا ..
اما النشر فانه منوط بالوكالة واجتهادها



تقارير

بالفاكس

الســــرى

المرابطون في الكويت المحتلة(1)

في مدينة الخفجي السعودية التقيت باثنين من الصحفيين الغربيين تربطني بهما صداقة قديمة. وكان اللقاء بعد أسبوع من الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت الشقيقة. ووجدتهما يسألاني: ألم تفكر بعد بدخول الكويت المحتلة؟ لم لا نفكر معا ونتعاون سويا لتحقيق هذه الغاية؟.

ومن يومها وأنا أسعى لتنفيذ هذا الهدف.. ويجب الاعتراف بأن تنفيذه كان صعبا محفوفا بالمخاطر سيما وأن المحتلين عزلوا الكويت عن العالم، فقطعوا الاتصال الخارجي بها ومنعوا أي وافد من خارجها عن دخولها. حتى أولئك الذين يمثلون هيئات خيرية إنسانية (مثل الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر) أو الذين ينتمون إلى منظمات إقليمية ودولية تعنى بحقوق الإنسان في الديار المحتلة!.

ومنذ الثاني من أغسطس ١٩٩٠ حتى يومنا هذا، لم تسمح سلطات الاحتلال العراقية، لأي صحفي عربي أو أجنبي، بدخول الكويت المحتلة!.

---

(1) هذه التقارير الصحفية كتبت من داخل الكويت المحتلة، وأرسلت عبر الفاكس السرى إلى «كونا» وكالة الأنباء الكويتية التي كانت تبثها على المشتركين.

وهذا الحصار الشديد واضح الدلالة والمعنى.. فالنظام العراقى المستبد، استباح الكويت المحتلة، وعاث فيها فسادا ونهبا وبطشا وقمعا! ولذا فهو لا يريد أن يضبط متلبسا بجرائمه، التى بزت فعلة القراصنة الهمج والغزاة الارهابيين.

لهذه الأسباب كلها صارت مهمتى صعبة.. لكنها ليست مستحيلة. ولست الآن بصدد الخوض فى تفاصيل مغامرة دخولى إلى الأراضى الكويتية المحتلة، والإقامة وسط المرابطين من أبناء الديرة، المهم أنى تمكنت من التسلل، فى الدخول والخروج، ولله الحمد. وقد أقمت هناك مدة أسبوعين، جلت خلالهما فى كافة مناطق الكويت المحتلة، وعايشت محنة الاحتلال كما يكابدها المرابطون.



ممنوع التصوير

* فى بداية مهمتى الصحفية: حذرنى بعض الأخوة المرابطين هناك. من خطورة التجوال مصطحبا كاميرتى الفوتغرافية.. خاصة وأن نقاط ومراكز التفتيش أو (السيطرة) حسب التسمية العراقية تحاصر كل الشوارع والمنافذ! وحين عايشت تجربة التفتيش، أثناء جولاتى الاستطلاعية الميدانية، رضخت لتحذير الأخوة!.

فلذا أرجو المعذرة من القارىء، لخلو التقرير من شهادة الكاميرا. ولأنى أعرف الكويت عن كثب، فقد راعنى مشاهدتها رهينة الاحتلال الغاشم.. والحق أنها لم تكن نفس الديرة التى أخبرها، فالعسكر أكثر حضورا- فى المرافق والشوارع- من أهالى البلد والمقيمين فيها!.. وعمليات السلب والنهب.. متواصلة ومستمرة ليلا ونهارا!.. حتى أنها صارت من المشاهد (المألوفة)!!.. حيث يشاهد المرء عشرات الشاحنات العراقية محملة بالمسروقات، هى فى طريقها إلى العراق.. فضلا عن مشاهدتها وهى

تقف بجوار المكان المقرر نهب محتوياته، فى وضح النهار وعلى مرأى من المارة والجيران!..

وسيلاحظ الشاهد على عمليات اللصوصية والقرصنة والسلب والنهب، بأنها منظمة بصورة تدل على أن الحرمنة تتم لحساب النظام العراقى!.

والويل كل الويل، لمن تسول له نفسه، الذهاب إلى المخفر للابلاغ عن عملية سرقة!.. لأن الشاهد سيتحول إلى متهم بل مجرم! سيما إذا «أدعى» بأن السارقين من أفراد قوات الاحتلال! وقد أعدم وعذب، واعتقل عشرات المواطنين والمقيمين، لأنهم أبلغوا عن سرقات شاهدوها بأنفسهم!.

والغريب: أن النظام العراقى يزعم- عبر أجهزته الإعلامية- بأن عقوبة الإعدام تنتظر كل من يسرق.. ويبدو أن هذه العقوبة مخصصة لحرامية القطاع الخاص أن صح التعبير! أعنى اللصوص الذين يسرقون لحسابهم الخاص، ولا ينتسبون إلى قوات الأمن، أو القوات المسلحة المتواجدة فى الكويت المحتلة!.

أن لصوص وعصابات النظام العراقى، يمارسون السلب اليومى المنظم، وينسبون عمليات اللصوصية المستمرة إلى بعض أفراد الجاليات العربية والأجنبية المقيمة فى الكويت! وهم يشيعون هذا الادعاء بكل وقاحة، ظانين بأن الناس ستصدق ما يشيعونه فى اعلامهم، وما ينشرونه على ألسنة رجال الأمن والمخابرات وعملائهم.

وفى هذا السياق: اطلعت على بيان أصدره المرابطون، يحذر الناس من تصديق وترديد أكاذيب ومزاعم السلطات المحتلة، بشأن نسبة عمليات السلب والنهب إلى جالية عربية معينة.. لأن هذه الاشاعات المغرضة، تهدف إلى زرع فتنة بين المواطنين والمقيمين، وتسعى إلى أن يجرم كل أفراد هذه الجالية العربية، بجريرة المنحرفين منها! وقد علمت من الأخوة فى الكويت المحتلة، بأن السلطة المحتلة، قد أقدمت على هذا الاتهام الرخيص، لأنها فوجئت بغالبية أفراد هذه الجالية يرفضون التعاون معها.

ولهذا السبب فقد تعرض العديد من أفراد هذه الجالية إلى سلب ممتلكاتهم، وإلى السجن والتعذيب، وشتى أنواع البطش والقمع المعهودين عن النظام العراقى!.

❋ ❋ ❋

السلب المنظم

* وعلى الرغم من أن الشهود على عمليات السلب يعدون بمئات الألوف، وينتمون إلى جنسيات عربية واسلامية وأجنبية- فضلا عن شهادة أهالى الديرة المرابطين- إلا أن النظام العراقى الباغى، ما زال ينفى ويكذب شهادة الشهود.. بدعوى أن ما نشر فى الصحف، وأذيع عبر الاذاعات ومحطات التليفزيون العربية والأجنبية، مختلق وملفق، لتشويه سمعة النظام، من قبل عملاء الامبريالية والصهيونية! متناسيا- بكل وقاحة- أن غالبية الشهود، ينتمون إلى فئات الكادحين من العالم الثالث!.

وقد أخبرنى أحد الزملاء العراقيين، بأن عدة فتاوى صدرت من بعض رجال الدين فى العراق، يحرمون فيها شراء المسروقات التى تم نهبها من الكويت المحتلة. ويبدو لى أن هذه الفتاوى، مكرسة للمسروقات التى تمت من قبل أفراد لصوص، اعتادوا بيع ما يسرقونه على الراغبين من أصحاب الذمم الواسعة. أما مسروقات سلطات الاحتلال، فلم يصدر بحقها أي فتوى.. لأسباب لا تخفى على أحد!.

وبدون مبالغة: أقول بأن عمليات السلب المنظم، استهدفت ممتلكات الدولة، والمواطنين والمقيمين، العاملين فى الكويت على حد سواء. ولا أريد فى هذا السياق تكرار ما نشر عن عمليات نهب ممتلكات الدولة والمواطنين.. حسبى هنا أن أشير إلى أن القوات العراقية المحتلة، لن تنسحب من الكويت إلا بعد أن تكون قاعا صفصفا، وأرضا يبابا!.. وأنا لا أقول ذلك تجنيا، بل لأن الأسباب ستؤدى- بالضرورة- إلى النتيجة المأساوية المذكورة!.

ولعل النكتة التى يتندر بها مجتمع المرابطين فى الكويت، تعبر بمرارة عن شهادتهم الساخرة، بشأن مسلسل السلب اليومى المنظم... إذ يقولون: بأن قوات الاحتلال لنْ تنسحب، إلا بعد أن تستولى على كل الممتلكات، وإنها وهى فى طريقها للانسحاب ستطوى القارطيا، لتحمله الشاحنات العراقية إلى مخازن «بيت المال» المنهوب فى بغداد وغيرها! وقد استخدمنا تسمية بيت المال، تمشيا مع حالة التمسح بالإسلام، والظهور بمسوح شيخ الإسلام، التى يطل بها رئيس النظام العراقى العلمانى عبر شاشة التليفزيون!.

ولا أظن أن الإسلام «الإعلامى» الذى يتشدق به الرئيس المهيب وبطانته وزبانيته، يمكن أن يجمل صورة النظام العراقى الفاشى المستبد.. لأن أفعاله الإرهابية، وسياسته القمعية، ونظامه الشمولى، ينفى كل القيم الإسلامية الخيرة، ويصادر كل تعاليمه وينقضها. ولعل أفعاله الإرهابية، فى العراق وإيران والكويت المحتلة وغيرها، تدلل على أن إسلامه، إعلامى دعائى لكسب ود الرأى العام الإسلامى ليس إلا!!.

* وعلى مدى الأسبوعين، اللذين أمضيتهما فى الكويت المحتل، لم أجد فى سلوك قوات الاحتلال، وتعاملهم مع المواطنين والمقيمين، أى فعل يؤكد حرص النظام المستبد على قيم الإسلام وتعاليمه! فقد شاهدتهم ينتهكون حرمات البيوت، بدون الحاجة إلى سبب أو ذريعة، يبررون بها اقتحامهم لمنازل المواطنين العزل!.. لأنهم بعد أن شاعت أفعالهم المشينة، وتم فضح عورة سلوكهم الإرهابى إعلاميا، لم يعودوا يهتمون بأى ادانة تشينهم، وتصمهم بالخزى والعار! ولذا تجدهم يغتالون الأبرياء، ويعتقلون الشباب والصبيان، ويقمعون الجميع بشتى أنواع التنكيل والترويع والقمع! وقد شاهدتهم يفتشون السيدات فى الشوارع العامة، بدون غضاضة ولا حياء! وعلمت أنهم اعتقلوا عشرات السيدات، بدعوى أن سياراتهن، تحمل ملصقا لعلم الكويت، أو صورة أمير البلاد، وغير ذلك من «ممنوعات» مضحكات مبكيات! بل أنهم اعتقلوا الصبيان والأطفال، «بتهمة» كتابة شعارات وطنية على الجدران، تعبر عن حبهم لوطنهم،

ورفضهم للاحتلال العراقى الغاشم. وقد التقيت بطفل لم يتجاوز الثامنة من عمره، وسيق إلى المخفر، حيث تم حبسه والتحقيق معه، ولم يطلق سراحه، إلا بعد أن استلم ضابط الأمن ومعاونية الرشوة المجزية، والتى يسمونها فى عرفهم ولغتهم بالغرامة!.

وقد أكد لى الأخوة- هناك- بأن أغلب قادة الجيش الشعبى. وضباط الأمن والاستخبارات، والقضاة والمحامين الموجودين فى الكويت المحتلة، يفرضون الرشوة على المواطنين عنوة وقسرا! فلا يمكن لأى مواطن أو مقيم برىء، التخلص من أذاهم اليومى المتواصل، إلا بعد دفع الرشوة السخية! وحين تحدثت مع تاجر عراقى، تربطنى به معرفة عائلية، عن ظاهرة الارتشاء السائدة بين الرفاق! قال لى: بأن التجار العراقيين- وغيرهم- لا يمكن لهم انجاز معاملة حكومية، بدون رشوة!! إلى درجة أن الرشوة صارت هى القاعدة العامة فى الحياة اليومية العراقية! وكأنها حق معلوم للموظف العلم، الذى يعانى من الغلاء الفاحش للمعيشة، وقلة الراتب الشهرى، وتردى قيمة الدينار العراقى. ولذا يمارس الارتشاء، بدون الاحساس بأنه خطيئة لا تقرها الشريعة الإسلامية والقوانين العامة!.



الحياة اليومية للمرابطين

* وقد عشت وسط مجتمع المرابطين قرابة أسبوعين حيث شاركتهم صلاتهم وصيامهم وقيامهم، وطعامهم وهمومهم وحياتهم اليومية، المترعة بقيم المودة والتراحم والتكافل والتعاون والإيثار.

أن الحياة اليومية لمجتمع المرابطين- فى الكويت المحتلة- تبدأ مع آذان صلاة الفجر... وقد لاحظت: أن جموع المصلين تضم الشياب والشباب والصبيان والأطفال! وبعد الصلاة، يتبادل الجميع التحية، ومن ثم ينصرف بعضهم لأداء ما عليهم من مهام

يومية، بينما يظل البعض الآخر في المسجد، لتلاوة القرآن الكريم حتى شروق الشمس. وقد صار مألوفا لدى الأخوة المرابطين، صيام يومى الأثنين والخميس من كل أسبوع. يفطرون سويا، وتجمعهم مائدة واحدة مشتركة، يساهم بها جميع الصائمين، الذين اعتادوا تناول فطور الصيام في الجامع. ويقول الجيل المخضرم من المرابطين، بأن هذا التقليد، يذكرهم بكويت الأمس- قبل النفط- ويعود بذاكرتهم إلى الأيام الخوالى! بل أن نمط حياتهم كله يضاهى نمط الحياة الذى كان سائدا في الثلاثينات والأربعينات وما قبلهم لهذا القرن. فالشباب يتجمعون في الديوانية، أثر صلاة الفجر، لتناول التمر واحتساء القهوة المرة، وللحديث عن أخبار وهموم الديرة المحتلة وأهلها. وقد لاحظت بأن العمالة الوافدة، غائبة عن الحياة اليومية الكويتية، حيث يقوم الكويتيون- أنفسهم- بأداء المهام التى كان يؤديها غير الكويتين، قبل الاحتلال العراقى للكويت. وغياب العمالة الوافدة يشكل ظاهرة تستحق التنويه والتأمل، سيما أن الكويتين استجابوا لها بصيغة ايجابية مكنتهم من سد الفراغ وملئه! ولهذا غاب عن المجالس التى زرتها «الدواوين»، العامل المكلف بصنع وصب الشاى والقهوة، ليحل محله صبى أو شاب كويتى! ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أنه شمل شتى أعمال الخدمات اليومية، التى كان يؤديها الشغيلة الوافدون، ففى داخل البيت الكويتى لا مكان الآن لسائق السيارة، والطباخ ومربية الأطفال والشغالة... الخ إذ يقوم أفراد الأسرة- أنفسهم- بخدمة أنفسهم! فتجد ربة البيت- بمعية بناتها- تقوم بمهام الطبخ والخبز، وحلب المعزة والبقرة... الخ، بينما يقوم الذكور برعاية الماشية والزراعة وكافة الأعمال التى لا يقدر على أدائها الأناث! ومن النادر أن تجد واحدا بدون شغل ! فالجميع يعمل، لا لخدمة بيته فحسب، بل لخدمة منطقته ومجتمعه على حد سواء. فثمة شباب: يتولون أعمال النظافة، منهم الجامعى والموظف العام، والطالب وغيرهم، فتراهم في الصباح الباكر، يجوبون الشوارع ويجمعون أكياس القمامة، ليفرغوها في إحدى الساحات العامة، ومن ثم يشبون النار فيها. وتجد غيرهم يحرثون الأرض، ويسقون الزرع، ويطعمون المواشى والدواجن، وينظفون الحظائر بدون كلل ولا ملل. وثمة أناس

ينتظرون بجوار الهاتف، ليسارعوا إلى البيوت، لإصلاح أى خلل أو عطل، يطرأ على المجارى والكهرباء، فضلا عن العلاج وكافة الخدمات اليومية. مثل تشغيل الأفران الآلية، والمخابز الشعبية، واطفاء الحرائق، وتسيير الجمعيات التعاونية وفروعها، وأداء كافة الخدمات اليومية التابعة لها! فصار من المألوف: مشاهدة الكويتى وهو يمارس القصابة «الجزارة» والحدادة، وصيانة المجارى والأدوات الصحية، ورعاية المواشى وتربيتها، وفلاحة الأرض وزراعتها بالخضروات والبقول وغيرها! وغير ذلك من مهام وخدمات، بحيث يمكننى القول بأن مجتمع المرابطين فى الكويت المحتلة، صار يعتمد على سواعد أبنائه.. تماما مثلما كان العهد به فى كويت بيوت الطين، قبل اكتشاف النفط! وفى هذا السياق، يقول الشباب والجيل المخضرم من المرابطين، بأن المناخ الاجتماعى السائد فى الديرة يضاهى الكويت التى خبروها فى صباهم وشبابهم منذ خمسين سنة! كما سبق ونوهت بذلك آنفا!.

ولذلك أتيح للناشئة، والأجيال الجديدة، معايشة حياة الآباء والأجداد فى كويت الأمس، حيث اكتسبوا تجربة حياتية، مليئة بالحركة والفعل، والقيم الإيجابية والعادات الصحية، والتقاليد الإسلامية التى كانت تسكن بيوت الطين، وناسها فى الأيام الخوالى!.



رب ضارة نافعة

* صحيح إن الاحتلال العراقى للكويت قد خلف الموت والقتل، والخوف والبطش والترويع والأرهاب، والحزن والدموع والمرض، والسلب والحرق، واليتامى والأرمل والثكالى والمعوقين والأسرى والمعتقلين، و..... كل البلايا والمصائب التى يعرفها

القارىء، وكانت- ولا زالت- المادة الأساسية لنشرات الأخبار، وتقارير الصحفيين.. أقول صحيح أن الاحتلال العراقى، كان مأساويا بفعله ونتائجه.. إلا أنه- مع ذلك كله- تمخض عن نتائج إيجابية، لم تكن تخطر على بال أحد! ذلك أن محنة الاحتلال العراقى الغاشم، صقلت معدن الإنسان الكويت، وأزالت عنه صدأ الحياة المترفة، وأكدت بأن هذه الحياة النفطية المترفة، لم تؤثر فى أصالة معدنه، وجوهر شخصيته! الأمر الذى يدلل على أن السلبيات التى ظهرت فى الزمن النفطى، مجرد أعراض مست سطح هوية الإنسان الكويتى ولم تنفذ إلى القاع والجذور والجوهر! تماما مثل الصدأ الذى يمس سطح وقشرة الأشياء، ويزول بمحك المحنة والابتلاء والشدة! وبهذا المعنى يمكننى القول- بدون مبالغة- بأن المرابطين فى الكويت المحتلة، قد تمكنوا من الاستجابة لكافة تحديات محنة الاحتلال، بالفعل والسلوك الايجابيين، اللذين يفرضهما اختيار موقف المرابطة. ومن هنا شعرت- وأنا أقيم فى مجتمع المرابطين- بأن روح المودة والتكافل والتراحم والتعاون والإيثار تسكن وجدانهم، وتخيم فى مضاربهم، وترافقهم فى أقوالهم وأفعالهم وحياتهم اليومية. وكأنهم- حقيقة وفعلا- أسرة واحدة، وجسد واحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد، بالسهر والحمى وكافة أشكال الاستجابات! ولهذا السبب: قامت وتواصلت وتجذرت حركة العصيان المدنى. بكل ما فيه من صبر وصمود، ورفض للاحتلال الغاشم. فعلى الرغم من كافة أنواع الأرهاب والبطش والترويع، الذى يتعرض له المرابطون فى الكويت المحتلة، إلا أن موقف المرابطة يزداد صلابة وصبرا وعنادا، لأنه اختيار أصيل ثابت، يرجو ثواب الله سبحانه وتعالى ويتكل عليه. متأسين بذلك بموقف المرابطين من السلف، الذين مروا بنفس المحنة، علّهم ينالوا عين الأجر والاحتساب، أو تكتب لهم الشهادة فى وطنهم ووسط أهلهم.

وأعترف: بأنى وجدت صعوبة شديدة فى حثهم على الحديث عن أنفسهم.. لاعتقادهم بأن موقف المرابطة الذى اختاروه بوعى وتصميم، لا يحتاج إلى اشهار صحفى ولا دعاية إعلامية! حسبهم يقينهم بأن الله سبحانه وتعالى معهم وراعيهم... ولذا لا يهمهم، أن تسلط عليهم الأضواء، أو أن يكونوا محل اهتمام ومتابعة وكالات

الأنباء، ورجال الصحافة والإعلام. لأن هذا الأمر ليس فى حسبانهم البتة. سيما وأن وكالات الأنباء، وأجهزة الإعلام الغربية، معنية بأخبار مواطنيها المعتقلين فى العراق والكويت! ولهذا السبب، فقد ألفوا التعتيم الإعلامى الذى يخيم على معاناتهم! وفى هذا الصدد فإنهم قانعون بالأخبار التى ينشرها النازحون من الكويت المحتلة، بين حين وآخر، لكن هذه القناعة، لا تعبر- بالضرورة- عن رضاهم على الصيغة التى تعامل بها «الإعلام الخليجى» مع محنة الاحتلال وآثارها المأساوية!! فهم يعتقدون بأن التصدى الإعلامى لم يكن على مستوى المحنة! فثمة اجتهادات اعلامية، أضرت بقضية الوطن المحتل، وسببت أذى وأخطارا لا حد لهما! ويذكرون- فى هذا السياق على سبيل المثال- تلك النداءات الإذاعية، التى تبثها الإذاعات العربية الخليجية، للمواطنين النازحين بثا مباشرا، بدون رقابة ولا مونتاج! وكأن النداءات مجرد سلامات. تذاع فى مناسبة وطنية سعيدة! بحيث يمكن اذاعتها- بعلاتها- على الهواء مباشرة![1].



إعلام المحنة.. ومحنة الإعلام

* والحق أن ملاحظات الأخوة المرابطين على الإذاعات الخليجية كثيرة، لكنهم لا يرغبون فى نشرها والإعلان عنها، خشية أن يستفيد منها «الأخوة الأعداء» فى هذه الظروف، ولذا فإنهم يكتفون بنقلها إلى الأخوة الذين نزحوا من البلاد، علهم يوصلوها إلى مدراء الإذاعات فى دول مجلس التعاون الخليجى.

ومن تحصيل الحاصل: أن ننوه بأن المرابطين معزولون عن العالم، ويعيشون فى معتقل كبير اسمه الكويت المحتلة!.. ولذا فإن الراديو وسيلتهم الوحيدة التى تصلهم

(١) اقرأ فصل «مضحكات مبكيات» ص ٢٣٧.

بالعالم خارج الحدود. الأمر الذى يدلل على أهمية تأثير ما تذيعه اذاعتنا- من أخبار وتحليلات- سلبا وإيجابا على مجتمع المرابطين. ويدللون على ما ذهبوا إليه، بظاهرة نزوح المواطنين من الوطن.. إذ يعتقدون بأن الإعلام الخليجى أسهم- بحسن نية ودون قصد- فى نشوء هذه الظاهرة واستمرار حضورها! صحيح أن الإرهاب والقمع... الخ. يعد المحرض الأساسى لظاهرة النزوح، إلا أن الإعلام لعب- للأسف الشديد- دورا هاما فى التحريض على الهروب من البلد! وبخاصة عبر النداءات الإذاعية السابق ذكرها!.

ومن هنا فإنهم- المرابطون- يتمنون على هذه الإذاعات تسجيل النداءات وعدم اذاعتها على الهواء مباشرة. مثلما تفعل الإذاعات الغربية الناطقة بالعربية التى تذيعها مختصرة مسجلة بدون أن يكون فى مضمونها أى عيب وخطأ وخطيئة؟.

وأعتقد بأن ملاحظات الأخوة المرابطين بشأن نداءات البث المباشر فى محلها.. ولا مجال لانكارها سيما، وإنها- للأسف الشديد- لا تزال حاضرة تملأ الأسماع! اللهم قد بلغت.. اللهم فأشهد.

ولعلنى لا أذيع سرا إذا ذكرت بأن الإذاعات الأجنبية الناطقة بالعربية، تستحوذ على أغلب المستمعين فى الكويت المحتلة! بسبب متابعتها الجيدة لأخبار المحنة وآثارها، وبحكم وفرة وتنوع تقاريرها وتحليلاتها والحياد الموضوعى فى تناولها، فضلا عن سرعة تغطيتها الأخبارية للأحداث فى نفس لحظة وقوعها.

أما الإذاعات العربية الخليجية- لسوء بختها- فلا يسمعونها إلا فى أوقات توقف بث الإذاعات الأجنبية! لكنهم يستثنون إذاعة وتلفزة قطر لتميزها النسبى عن قريناتها! ولعل أكثر ما يثير عتبهم على إذاعات المنطقة، يكمن فى استحواذ الأخبار التشريفاتية «البروتوكولية» على نصف وقت نشرة الأخبار!.. أضافة إلى استئثارها بالأولوية، على حساب الأولوية التى تستحقها الأخبار الساخنة، التى يرغب المستمع فى متابعتها ومعرفة تفاصيلها بلهفة وسرعة! والإذاعات الأجنبية لا تحفل بإذاعة أخبار المراسم والتشريفات، ولا تهتم بالأخبار الرسمية، التى تتحدث عن سفر وقدوم المسؤول الفلاني... بل تكرس نشراتها الأخبارية للأحداث الهامة والأخبار الساخنة. وإذا تسلل

إليها خبرا بروتكوليا- لسبب أو لآخر- تجده فى ذيل النشرة وآخرها!.. حتى ولو كان الخبر يخص ملكة انجلترا بجلالة قدرها!.

ومن البدهى أن تكون الأخبار محور الحديث فى المجالس والدواوين، وبخاصة الأخبار الصحيحة الموثوقة، المنسوبة إلى مصادر أخبارية صادقة. أما الأخبار التى ينسبها ناقلها إلى وكالة أنباء «يقولون»[1] فلا يعول عليها، لأن مصدرها مجهول وناقلها يرويها على ذمة قائلها والذى بدوره سمعها من الآخرين بدون أى دليل على صحة فحواها! وكأن تواتر الخبر المزعوم عبر صيغة «يقولون» هذه يكفى لتصديقه. ولكن سوابق وكالة أنباء «يقولون» فى نشر الأخبار غير الموثوقة المفتقرة إلى الدليل والشاهد جعل الناس يتحفظون على جل أخباها.. الأمر الذى مكنهم من احتواء الأشاعات المغرضة والأخبار الملفقة، ولا بأس بعد ذلك من الحديث عن هذا الذى «يقولونه» من باب التندر ليس إلا!.



ديموقراطية الديوانية

* والديوانية- كما هو معروف- ظاهرة قديمة موروثة من الأجداد. وعلى الرغم من أن أكتشاف النفط تسبب فى غياب واندثار العديد من الظواهر والعدات والتقاليد الاجتماعية، إلا أن الديوانية ما زالت حاضرة فى نسيج الحياة اليومية الكويتية. والحق أنه لا يمكن معرفة الكويت وأهلها بدون المرور على مجلس الرجال المعروف باسم الديوانية! إذ من خلالها يمكن- لزائر صحفى مثلى- التعرف على هموم المواطنين واتجاهاتهم السياسية ومزاجهم العام... الخ. ولذا حرصت على زيارة أهم المجالس فى

(١) وكالة أنباء يقولون، اقرأ صفحة ١٤٣.

كافة محافظات الديرة. فكنت أفتتح برنامج الزيارات مع شروق الشمس حيث أطوف- بداية- على دواوين الشباب التى تشرع أبوابها فى السادسة صباحا.

وقد أخبرنى الأخ الذى رافقنى جولاتى بأن الديوانية بطبيعتها ديموقراطية تحضن الميسور والمستور، والجامعى والأمى، والمسنين والشباب، والرواد الدائمين والزوار الأسبوعين... الخ. بحيث أنها تضم كل فئات المجتمع. أما الزائر الطارىء مثلى فعادة ما يرتادها بمعية أحد الأفراد الدائمى العضوية! وحين دخلت أول ديوانية كان الجميع ينصتون إلى نشرة أخبار الساعة السابعة. ويومها كان موضوع افراج النظام العراقى عن الرهائن الأجانب هو الخبر الرئيسى، الأمر الذى جعله محور الحوار والتعليقات من قبل الحاضرين. قال شايب (العقبى لنا أن شاء الله بعد الأجانب!.. فقد طال احتلالنا واحتجازنا) إجابة شايب آخر (من فضلك لا تغلط فى التعبير فنحن «ضيوف» لا رهائن!) وراح كل واحد يدلى برأيه حول هذا الموضوع بعبارات فكهة ساخرة واضحة المرارة. وحين شرعت فى اخراج أوراقى تمهيدا لطرح أسئلتى الصحفية، عدلت عن الفكرة، لأن الشباب لم يرحبوا بالفكرة، أو هكذا بدا لى من نظرات بعضهم! وهنا قلت لنفسى: الحر تكفيه الاشارة. فلملمت أوراقى، وبلغت تساؤلاتى ولذت بالصمت! بينما مال على جارى هامسا (دع عنك الآن دور الصحفى.. وإذا رغبت فى محاورة أحد، فقد يتسنى لك ذلك بعد انتهاء الجلسة. فلو أنك طرحت أسئلتك فى هذه اللحظة، فسوف تعكر صفو مناخ الحوار العفوى التقليدى، الذى ألفه القوم منذ مدة طويلة). امتثلت للنصيحة على مضض، ورحت أتأمل الوجوه السمحة، والعيون المليئة بالغضب النبيل، والحزن الشامخ المعبرة ببلاغة عن رفضها للاحتلال وتبعاته المأساوية. وكم تمنيت ساعتها تسجيل لغة العيون بعدسة الكاميرا!.. ولكن كيف ومتى وأين؟!.



الأسرى والمعتقلون!

* موسم الشتاء فى هذا العام[1] دافىء كفصل الربيع. فلا مطر ولا برد، بل الشمس ساطعة، وجو رطب، حرّض الكثيرين على الجلوس فى الهواء الطلق، أو داخل الخيام المفتوحة الجوانب. الأمر الذى دفع الكثيرين من أصحاب الديوانيات، على اقامتها فى الشارع، حيث تتحلق الكراسى الخشبية الواسعة، حول بيت مالك الديوانية. وقد راعنى كثرة وجود عساكر قوات الاحتلال، المنتشرين بسلاحهم وسط المناطق السكنية، وفوق أسطح البيوت المطلة على الشوارع العامة، أو المنافذ الرئيسية للمنطقة. فضلا عن أولئك المتخندقين فى الخنادق، والمتمرستين وراء السواتر والمتاريس. أضف إلى ذلك كله: كثرة نقاط التفتيش والدوريات، التى تجوب كل المنطقة ليل نهارا ومن النادر مرور يوم، دون أن يداهم العسكر «وجبة» من البيوت السكنية، بدون الحاجة إلى سبب أو ذريعة، تبرر المداهمة اليومية! وهكذا يساق عشرات الأبرياء من بيوتهم، إلى المخافر والمعتقلات، لكى ينضموا إلى الآلاف من «ضيوف»، النظام العراقى، الذين يملأون سجون ومعتقلات العراق والكويت المحتلة.

وقد طالت هذه الضيافة القمعية الإرهابية، كل أسرة فى الكويت ولم توفر المسنين

(١) نوفمبر ١٩٩٠م.

والنساء والأطفال! ربما لتأكيد «ديموقراطيـة» القمع و «اشتراكية» الأرهاب! ومن هنا فإن عدد المعتقلين الكويتيين يقدر- حتى كتابة هذه السطور[1]- بعشرة آلاف معتقل ولله الحمد! والمعتقلون محرومين من أى حق من الحقوق الإنسانية إسلاميا ودوليا لأمثالهم.

أما الأسرى العسكريون، فإن أهاليهم لم يسمعوا عنهم خبرا، إلا بعد مرور أربعة أشهر على أسرهم، وقد أتيح لأهاليهم فرصة زيارتهم فى معتقلات بغداد والموصل، بعد استجابة النظام العراقى لوساطة شخصية قيادية عشائرية تترأس قبيلة عربية منتشرة فى الجزيرة العربية والعراق والشام!.

أقول ذلك، على ذمة الراوى، الذى أفادنى بما نوهت به! وفى هذا السياق سمعت من يقول: بأنه أن النظام العراقى استمرأ صيغة الوساطات العربية والدولية.. والقبلية أخيرا! ومن يدرى فقد تتمكن القبائل العربية، من تحقيق ما فشل فى انجازه، رؤساء الدول والأحزاب، والهيئات الاقليمية والدولية! كأن تنفذ قرارات مجلس الأمن المكرسة ضد احتلال العراق للكويت، عبر وساطة شيوخ القبائل! سيما وأن النظام العراقى، يتشدق- عبر أجهزة اعلامه- برغبته فى حل «أزمة الخليج» تحت مظلة وخيمة الحل العربى!.

ولا يعجب القارىء من هذا الأقتراح، الذى يبدو غير مألوفا فى عالم السياسة الدوليـة!.. لأن من الجائز رضوخ الرئيس العراقى لوساطة شيوخ القبائل العربية وتنسحب قوات الاحتلال العراقية من الكويت استجابة للتقاليد القبلية!!.

أن الشعور السائد وسط مجتمع المرابطين يكمن فى أن الأنسحاب لن يتم إلا عبر الخيار العسكرى. ولا يعبر هذا الشعور عن رغبتهم فى الحرب واستخدام القوة، بل أنه يشير إلى حدسهم المتكىء على قراءتهم لسلوك قوات الاحتلال الإرهابى.. وعلى معرفتهم لعناد القيادة السياسية الذى لا يحسدون عليه! وكشهادة حق أقول بأن الكثيرين من المرابطين يتمنون انسحاب قوات الاحتلال بدون حرب، لاعتقادهم بأن

(١) نوفمبر ١٩٩٠م.

الشعب العراقى الشقيق، مغلوب على أمره، ولم يؤخذ رأيه فى أى قرار اتخذته القيادة السياسية، المتمثلة فى شخص الرئيس فحسب! ولذا لا يجوز محاربة الشعب بجريرة فعلة الرئيس وطغمته المنتفعة فى السلم والحرب على حد سواء!.

* ومع ذلك كله فإن المناخ السائد فى الكويت المحتلة يوحى بنذر الحرب، فقوات الاحتلال تحفر الخنادق وتشيد المتاريس، وتنصب المدافع المضادة للطيران فوق سطوح المبانى والمنازل والتلال الرملية.

ومن خلال احتكاكى ببعض ضباط وأفراد قوات الجيش المحتل سعدت بأنهم- بدورهم- لا يرغبون فى الحرب! ويفضلون الانسحاب السلمى، والعودة إلى بيوتهم وأسرهم، بأسرع وقت ممكن! وفى مكان ما قال لى أحد كبار ضباط الجيش الشعبى: بأن غالبية القوات العراقية الجاثمة على صدر الكويت المحتلة، غير مقتنعة بعدالة احتلالها لهذا البلد العربى الشقيق! ومن هنا فإن العديد من أفراد هذه القوات، يفدون ويختفون عن الأنظار يوميا. كما أن الأخبار المتواترة، تشير إلى وقوع صدامات مسلحة بينهم بصفة شبه يومية. ولأن اعتقاد وإيمان المقاتل عامل حيوى هام فى خوض الحرب، فإن الاحساس العام هنا، بأنه فى حالة وقوع الحرب، فلن يحارب العراقيون بنفس الروح المعنوية التى خاضوا بها حربهم العبثية مع إيران! والإحساس المذكور لم ينشأ من فراغ، بل أنه يعتمد على وقائع يومية كثيرة، لا مجال الآن للإفصاح عن تفاصيلها، لأسباب لا تخفى على أحد!.



صدام مجرم حرب.. وسلام

وقد حرصت- وأنا هناك- على زيارة قبور الشهداء رحمهم الله وغفر لهم... فاصطحبنى أحد الأخوة، إلى مقبرة «الرقه» التى تضم رفاتهم الطاهرة، حيث دفنوا فى مقابر جماعية. ولا حظت بأن جل العاملين فى المقبرة، من المتطوعين الكويتيين، جزاهم الله خيرا. ومن الجدير بالذكر التنوية، بأن مقبرة «الصليبيخات» كبرى مقابر الكويت، قد احتلها العسكر، وأحالوها إلى ثكنة عسكرية، ومنعوا الأهالى وكافة المقيمين فى الكويت المحتلة، من دفن موتاهم، ومن الأقتراب منها!! ولهذا السبب فإن مقبرة «الرقة» صارت مقبرة كافة المتوفين على اختلاف مذاهبهم. الأمر الذى جعل الوحدة الوطنية تتحقق فى الحياة والموت على حد سواء!.

وقد اضطر بعض الأهالى إلى دفن موتاهم داخل بيوتهم، وفى الساحات العامة المتواجدة فى المناطق السكنية، وذلك بسبب تعنت سلطة الاحتلال. أضف إلى ذلك: أن عشرات الجثث، لا تزال راقدة فى ثلاجات المستشفيات لأن هذه السلطة الغاشمة ترفض اخراجها ودفنها! ولا تستغرب مثل هذا التصرف المشين، ما دامت حقوق الإنسان منتهكة وغائبة لدى النظام العراقى المستبد. وفى هذا السياق: قال لى مواطن فلسطينى من العرب المقيمين فى فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨، بأنه يحلف بالله بأن

الإرهاب الذى تقوم به كتائب القمع العراقية، يبز ويفوق ارهاب قوات الاحتلال الإسرائيلية!! فقد جاء هذا المواطن الفلسطينى المسن- بمعية زوجته- لزيارة عياله المقيمين فى الكويت، منذ عشرين سنة، ويشهد بأن بطش وارهاب وسلب وقرصنة وأفعال قوات الاحتلال العراقية، أفقدته صوابه! وكادت تؤدى به إلى الجنون! فهو يعيش فى فلسطين المحتلة منذ سبعين سنة، وقد عايش وعانى من الأرهاب الإسرائيلى،- لكنة- أى الأرهاب الإسرائيلى- ليس شيئا- عند مقارنته بسلوك وتصرفات المحتلين العراقيين! فقد وصل إلى الكويت بعد احتلالها بأسبوع، ففوجى باستيلاء رجال الأمن العراقيين- بمركز حدود «صفوان»- على ذهب زوجته، الذى يتجاوز ثمنه العشرين ألف دينار كويتى. وقيل له- لتبرير هذه الفعلة- بأنها من قبيل الحماية، خشية سلبها من قبل اللصوص! وأخبروه بأمكانية استلامها من البنك المركزى فى العاصمة الكويتية. وقد صدق الرجل الطيب مقولتهم. وحين راجع المدير العراقى للبنك قال له: من أين لك كل هذا الذهب؟ وأنت تقيم فى فلسطين المحتلة؟! فأخبره: بأنه يشكل مدخرات كدح وشقاء خمسين سنة من عمره وزوجته. وبعد أن وعدوه بتسليم ذهبه فى مواعيد مختلفة، استغرقت عدة أيام، أخبروه- صراحة- بأن الذهب قد جيروه لحساب تحرير فلسطين!!.

ويقول: بأنه انفجر فيهم غضبا وسبا ولعنا.. لكنهم لم يأبهوا لغضبه، فطردوه شر طردة، على مرأى من الناس، بدون أى اعتبار لسنه وفلسطينيته؟ ويقول- أيضا- بأن الأمر لم يقف عند هذا الحد.. إذ فوجىء ذات صباح، بقوات أمن الاحتلال العراقى، تداهم منزل ولده فى «السالمية» بدون سبب أو مبرر. وجن جنونه، حين لاحظ أن الجنود العراقيين، ينظرون إلى حفيداته الصبايا بنظرات وقحه، ويسمعونهن عبارات نابية مشينة، يستحى أن يذكرها لأنها وصمة عار يندى لها الجبين! والله يعلم ماذا كانوا سيفعلونه، لو أن مداهمة بيت ولده قد تمت بدون وجود رجال البيت؟! خاصة بعد أن شاهدهم يتحرشون بالشغالة الآسيوية، بأسلوب وقح، لا يمت إلى أخلاق العروبة وقيم الإسلام بأى صلة! ويختم الشيخ الفلسطينى حديثه إلى متسائلا- بتهكم شديد ومرارة

قوية- هل هذه العينة من العسكر، هى التى ستحرر لنا فلسطين؟! حسبنا الله ونعم الوكيل!.

والحادثة التى ذكرتها آنفا ليست حالة فردية شاذة.. بل أنها واحدة من مئات الحالات. إذ أن كل مواطن ومقيم يرابط فى الكويت المحتلة، ناله نصيبه من القمع والبطش والإرهاب والسلب! ويستثنى من ذلك الفئات الشاذة المتوطئة والمتعاونة مع سلطات الاحتلال العراقية!.

ولأنى لا أريد هنا تكرار نشر ما أذيع ونشر عن سلوك وأفعال قوات الاحتلال داخل الكويت المحتلة، فلذا سوف أكتفى بعرض بعض الأمثلة المدللة على عار النظام العراقى، وجرائمه البربرية، طوال الأسابيع الماضية. فثمة عائلات كويتية بأسرها، تم اعتقالها برجالها ونسائها وأطفالها بدون أى ذنب! لأن المحتلين العراقيين، لا يحتاجون إلى سبب وذريعة، يبررون بها ارهابهم وقمعهم وقتلهم وسلبهم وسلوكهم البربرى اللاإنسانى.

* والأمر الواضح فى هذا السلوك الإرهابى، الذى لا يضاهيه أى أرهاب فى العالم، هو أنهم يسعون إلى طرد الأهالى والمقيمين من الكويت المحتلة.. بحيث تكون الديرة خالية إلا منهم! وكأنهم يريدون ممارسة أفعالهم المشينة وتصرفاتهم اللاانسانية بدون وجود شهود يفضحون سلوكهم وممارساتهم التترية! ولو كان فى مقدارهم طرد جميع السكان، لفعلوا ذلك بدون أن يرف لهم جفن، أو يندى لهم جبين، فسلوكهم يضاهى سلوك العصابة الإرهابية، التى عرف القاصى والدانى بكل أفعالها المشينة، وممارساتها الدنيئة.. ولذا لم تعد تضع أى اعتبار للأعراف والتقاليد، والقيم العربية والإسلامية والإنسانية! إذ تقوم بممارساتها بدم بارد، وقلب ميت وضمير وحشى ووجدان حاقد! ومن هنا حق للعجوز الفلسطينى السالف ذكره أن يقول- دون مبالغة أو تجنى- بأن أفعالهم بزت وفاقت كل ما فعلته اسرائيل بأهالى فلسطين المحتلة! بل أن أفعالهم تجاوزت كل أفعال البغاة الطغاة المستبدين، الذين وصموا صفحات التاريخ بالخزى والعار، ولطخوها بالدم والقتل والأفعال الإرهابية، والتى لم يسبق لها مثيل! وبهذا

الصدد لا أعرف لم يشبه الإعلام العربى والدولى «صدام حسين» بهتلر!! إذ لا وجه للشبه، ولا مجال للمقارنة، بين الأثنين البته! لأن هتلر نفسه، لن يرضى بهذه المقارنة بينه وبين صدام! فلو كان هتلر حيا، فمن حقه رفع قضية رد اعتبار على أجهزة الإعلام التى وصمته بهذه المقارنة المشينة المسيئة إليه. صحيح أن هتلر دكتاتور وطاغية، وذا أطماع استعمارية، إلا أنه لم يحتل وطن أشقائه، ولم يغدر برفاقه، ويقتل أصدقاء عمره، وأقاربه وبنى قومه! كما أن هتلر لم يستخدم الأسلحة الكيميائية ضد شعبه، أو يسلب الدول التى احتلها، ويقتل ويعتقل مواطنيها المدنيين العزل، ويشردهم من منازلهموأوطانهم!.

وصحيح أيضا أن هتلر مجرم حرب، وطاغية مستبد، لكنة لم يقتل ويعتقل النساء والأطفال والمسنين، ويحرق منازلهم وينهب ممتلكاتهم، ويعذب آلاف المعتقلين، بسمل عيونهم واقتلاع أظافرهم، ونتف لحاهم وشواربهم، ويعتدى على أعراضهم ويقتلهم جهارا أمام ذويهم وجيرانهم!!.

وفى كلمة حق أقول: بأنه من حق هتلر، أن يتململ فى قبره غضبا واحتجاجا، على مقارنته بصدام حسين! فقد صحى ضميره، وكانت عنده الارادة والشجاعة، ليتناول المسدس ليطلقه على رأسه، اعترافا منه بذنوبه، وأفعاله الإرهابية! أما الرئيس المهيب، فإن شجاعته، تكمن فى اطلاق مسدسه على رؤوس معارضيه..! وعلى الذين يشك فى احتمال معارضتهم له أو مخالفتهم لرأيه! ولهذه الزسباب، وغيرها، يجب أن يكف الإعلام العربى والدولى، عن مقارنة صدام حسين بهتلر، لأن «صدام» نسيج وحده، لا يضاهيه أحد من طغاة التاريخ القديم والحديث والمعاصر! أن أفعال هتلر وهولاكو وجنكيز خان، وايفان الرهيب وستالين ودراكولا... الخ لا تعد شيئا، حين مقارنتها بأفعال طاغية العراق المهيب! ولن نغالى إذا قلنا بأن اسم «صدام حسين»، سيكون رمزا للبغى والغدر والإرهاب والطغيان والاستبداد والوحشية واللصوصية، وكل القبح البشرى! ومن هنا فإن صفة مجرم حرب، لا تعبر عن شخصيته، ولا تختزل صفاته

وأفعاله الإرهابية.. بل أنها مجرد صفة واحدة من صفاته، ولعل الذين تابعوا شهادة الأخوة العراقيين الذين كانوا من رفاقه وأصدقائه وأقاربه وأعوانه... الخ. سيدركون- من خلال هذه الشهادة- بأن الرئيس المهيب ليس مجرم حرب فحسب، بل أنه مجرم حرب ومجرم سلام! ومجرم في كل الأماكن والحالات والظروف!!.

❈ ❈ ❈

مناضل بدون قضية

* في أحد نقاط التفتيش أتيح لي التحدث مع أحد أفراد النقطة حين طلب مني سيجارة. كان صبيا مراهقا لم يبلغ السابعة عشر من عمره حسب قوله.. وكان برمه وضيقه بمهمته يغنى عن أي بيان! قال: أيمكنك تأدية خدمة انسانية لأخيك في العروبة والإسلام؟ قلت: ممكن إذا كان ما تبغيه في مقدوري. قال: كل ما أريده هو الاتصال بأهلي في النجف، لأخطارهم بأني حي وموجود هنا. فقد تم اختطافي من الشارع، دون أن يتيحوا لي اخطار أهلي![1] حيث شحنت بالشاحنة- مثل غيري- إلى الكويت وكأننا قطيع من الماشية! ولو حاول أحد منا ابداء أي اشارة تشي باعتراضه، لكان مصيره الموت الفوري على مشهد من رفاقه! ثم أردف قائلا: هل تعلم بأن قواتنا في الكويت، ترافقها كتيبة اعدام، مكرسة لقتل أي فرد من الجيش الشعبي أو النظامي قد تسول نفسه الشكوى أو الأعتراض على أي شيء؟! وحتى لو كان محقا في شكواه؟! أن حياتنا في الكويت بائسة تعيسة، نعاني البرد والجوع والمرض، ونتعذب من آلام الضمير، بسبب ما فعلناه في الكويت وأهاليها! هل تصدقني إذا قلت لك بأن الكثيرين منا تلاحقهم الكوابيس في منامهم؟ والهواجس المخيفة في صحوهم؟ بسبب المآسي التي

(١) اقرأ فصل «مضحكات مبكيات» كويتي في الجيش الشعبي ص٢٣٧.

خلفها احتلالنا للكويت؟! وهل تصدقنى إذا قل لك بأن الكثيرين من رفاقى يفكرون فى الهرب والانتحار؟! وإذا استمر احتلالنا أكثر من ذلك فسوف نصاب بالجنون لا محالة! وهنا أجهش فى البكاء وهو يقول بصوت مفعم بالحزن: لعل ما نحن فيه عقاب ربانى على أفعالنا!.. حقا أن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل. وغادرنى الصبى وهو يكفكف دموعه، حين جاء دور سيارتنا للتفتيش والمرور بين الحواجز.

وهذه الحادثة التى رويتها لا تعبر عن حالة فردية لصبى حى الضمير صاحى الوجدان.. بل أنها رمز لمئات الحالات المشابهة! فقد روى لى الأخوة هناك عشرات الوقائع التى تدلل على عدم قناعة من قابلوهم من الضباط والجنود بعدالة موقفهم.. وتبرهن على رفضهم لاحتلال الكويت. فقد سيق الآلاف منهم وشحنوا بالسيارات بدون أن يعرفوا المهمة التى يجب عليهم تأديتها! وأخطر الآلاف منهم بأنهم سيقومون بمناورة حول الحدود العراقية الكويتية! حماية للكويت من هجوم إيرانى محتمل! وقيل لغيرهم: بأن الكويت تتعرض إلى غزو من الأمريكان والصهاينة، لاحتلال منابع النفط! ولقن بعضهم خبر وقوع انقلاب فى الكويت يحتاج إلى نجدة من العراق الشقيق!

أما الذين كانوا يعلمون بنية وخطة الغزو والاحتلال فهم قوات الحرس الجمهورى التى اجتاحت الكويت فى اليوم الأول من الغزو!.

وليس سرا بأن المخابرات العراقية، باتت تخشى من قواتها المحتشدة فى أراضى الكويت! لأن هذه القوات صارت شاهدة على كل أعمال الإرهاب والسلب التى قامت بها الفرق والعصابات النظامية المخصصة لهذه الأهداف الدنيئة. فالمخابرات تخشى أن تتحول قوات الاحتلال إلى جيش تحرير يطيح بالنظام الديكتاتورى، الذى يجثم على صدر العراق الشقيق منذ عشرين سنة. ومن هنا فإنها ترهب قواتها بكتيبة الإعدام! وبطغيان وجبروت الحرس الجمهورى، وتسعى من جانب

آخر إلى زرع الفتن ودق الأسافين لكى تئد التعاطف الذى بدأ يظهر فى صفوف الجيش الشعبى والنظامى مع أهل الكويت وقضيتهم العادلة!.

ومن هنا فإن المرابطين يعتقدون بأن الوقت يسير لصالح الكويت وقضيتها العادلة.. بحيث ينقلب السحر على الساحر الطاغية المستبد الرئيس المهيب صدام حسين! أو سفاح حسين. لا فرق.



شهادة بكل لغات العالم

بعد أن أمضيت قرابة أسبوعين فى الكويت المحتلة، فى ضيافة الأخوة الكويتيين المرابطين، وشاركتهم صلاتهم وقيامهم، وصيامهم وعيشتهم ومشاعرهم، وحياتهم اليومية، لاحظت أن الانطباع المشترك السائد بينهم، يكمن فى أن الاحتلال العراقى لبلادهم يتجاوز مسألة الاحتلال إلى ما هو أسوأ من ذلك! إذ أن سلوك وتصرفات وأفعال قوات الإحتلال- التى يصعب وصفها-، تتجاوز الأهداف والدعاوى والمبررات المعلنة، والتى اتكأ عليها النظام العراقى لتبرير غزوه واحتلاله وضمه لدولة الكويت!.

ولعل أول ما لاحظوه على أفعال وسلوك وتصرفات قوات الاحتلال العراقية، كونها تنفى الأعراف والتقاليد المألوفة لدى الغزاة والمحتلين! إذ أنها لا تضع أى اعتبار لعلاقات الأخوة والجيرة، والنسب والعروبة والإسلام... الخ، التى تربط بين شعبى العراق والكويت منذ مئات السنين!.

أن العديد من الدول والشعوب مروا بمحنة الاحتلال، وعانوا من ويلاته ومآسيه... لكن محنة احتلال العراق لدولة الكويت لا سابقة لها فى التاريخ القديم والحديث على حد سواء! فقد كان الظن بأن الاحتلال العراقى سيكون احتلالا نظيفا شريفا، وغير موصوم بجرائم المحتلين وأفعالهم المشينة، التى قرأوا عنها فى كتب التاريخ، وشاهدوها

فى الأفلام، التى توثق لمآسى الاحتلال فى العالم. فعلى الرغم من أن الاحتلال- أى احتلال- مرفوض، ولا يمكن لأى شعب القبول به والرضوخ له، مهما كانت أسبابه ومبرراته.. ، إلا أن الكويتيين لم يتخيلوا البته- مهما شطح بهم الخيال- أن يحدث لهم ولديرتهم ما حدث من بطش وارهاب وقتل وقمع وحشى وسلب تترى همجى واستباحة للبلد ومن فيها! ومن هنا ساد الاعتقاد بين المواطنين والمقيمين بأن الاحتلال وتبعاته المأساوية، وآثاره المدمرة تتجاوز وتنفى كل الدعاوى والمبررات التى اتكأ عليها النظام العراقى لتبرير غزوه واحتلاله للكويت!.

ومن سوء حظ النظام العراقى أن الشهود على جرائم قراصنة وعصابات الاحتلال من كل الأقطار العربية ومن أغلب الجنسيات الإسلامية والأجنبية. وهم يجمعون- بحكم معايشتهم لهذه الجرائم كشهود عيان- على أن ما شهدوه وعانوا منه أثناء تواجدهم هناك لا سابقة له اطلاقا لا سيما أن جرائم الاحتلال العراقى حدثت فى هذا العصر الحضارى، وعلى مشارف القرن الواحد والعشرين. والحق أن أى صفة توصم بها لا يمكن أن تحيط بآثارها المدمرة ونتائجها المأساوية المفجعة. وهى نتائج وآثار لا تخص الكويت وأهلها فحسب.. لكنها تنسحب على كل العرب والمسلمين. أضف إلى ذلك كون تأثيرها ، سيتجاوز الوقت الحاضر والجيل الحالى، ليمتد إلى السنين والأجيال القادمة! وقد أصاب ذلك المواطن الفلسطينى المسن، ولم يتجاوز الحقيقة، حين قال بأن ما فعله قراصنة وبرابرة النظام العراقى فى الكويت وأهلها والمقيمين، لم يفعله الصهاينة فى فلسطين المحتلة! وهذا الشاهد الفلسطينى مقيم فى فلسطين وعايش كل الحروب والأحداث التى مرت بها منذ الأربعينات.

وذكر لى العديد من الأخوة العرب المقيمين هناك، بأن العربدة الإرهابية الوحشية، يعجز خيال أى مؤلف عن تصورها وتخيلها!.. حتى ولو كان هذا المؤلف من كتاب روايات الخيال اللاعلمى ومسرحيات اللامعقول! ولذا فمن حق طغاه التاريخ أن يفرحوا لأن طاغية العراق قد تفوق عليهم فى وحشيته وارهابه وطغيانه!.

أن جرائم الاحتلال العراقى لم توفر أحدا ، فطالت الحكومة والأهالى والمقيمين، والحيوانات والأشجار والمرافق والمبانى والمساجد والشوارع والمنازل، والبر والبحر

والميسورين والمستورين الكادحين! كما شملت النساء والرجال والشباب والمسنين والصبيان والأطفال، والأسوياء والمعوقين والأصحاء والمرضى والعجزة ونزلاء مستشفى الطب النفسي ودور الرعاية الاجتماعية.. الخ. وحتى أولئك الذين كانوا من مريدى الرئيس المهيب، الذين دبجوا عشرات القصائد والمعلقات فى مدبحة، وأولئك الذين بذلوا الغالى والنفيس لنصرته فى حربه مع إيران نالهم نصيبهم من القمع والإرهاب والسلب[1]!.

❋ ❋ ❋

المهيب تفضحه أفعاله

* إن القيم الخيرة التى يطنطن بها إعلام النظام العراقى ورئيسه المهيب، تنفيها وتكذبها أفعاله وجرائمه التى اقترفها فى العراق والكويت على حد سواء. فمن السهل أن يتشدق بشعار تحرير فلسطين، وعن حقوق العرب الفقراء، ومن السهل أيضا أن يتمسح بالإسلام ويعتمر عمامة شيخ الإسلام والمسلمين، ويلعلع بالحديث عن تعاليم الإسلام وقيمه، ويطل على مشاهدى التليفزيون بمسوح الإنسان التقى الورع، الذى لا تروق له الصلاة، إلا أمام عيون كاميرات التليفزيون وعدسات المصورين الفوتغرافيين!! لكنه ينسى ويتناسى: أن أقواله وشعاراته، تفضحها أفعاله وسلوكه طوال مدة حكمه.

والذى يسمع إلى شهادة المواطنين والمقيمين، بشأن جرائم هذا النظام المستبد فى الكويت، سيكتشف بسهولة ويسر، كذب شعاراته وزيف خطابه، وخواء مواعظه السياسية والأخلاقية! فالذى يجعجع بشعار تحرير فلسطين: نراه فى الكويت المحتلة يحرر الفلسطينيين من أموالهم! ويسلب مدخراتهم ويحرمهم من رواتبهم، التى يرسلون قسطا كبيرا منها إلى أهلهم أبطال الأنتفاضة فى فلسطين!.

والذى يتشدق بحقوق العرب الفقراء فى عائدات النفط العربى، تجد قواته القمعية

(١) اقرأ فصل مريدون لكن رافضين الجزء الثانى من الكتاب.

تشرد العمال العرب من الكويت، بعد أن صادرت مدخراتهم ورواتبهم، ورمتهم على الحدود الأردنية، وطردتهم شر طردة! على مدخل «البوابة الشرقية» اياها!.

والذى يتغنى بالوحدة الوطنية، يوحد أبناء شعبه بوحدة السلاح الواحد الذى يميتهم جماعة متحدة (كما فعل فى مواطنيه بحلبجه فى شمال العراق) والذى كان امتدح الملوك والرؤساء والأمراء العرب، وأشاد بمآثر حكوماتهم، وزفهم زفة جماهيرية اعلامية، ومنحهم الأوسمة الرفيعة، وأحاطهم بالحفاوة السخية، قلب لهم ظهر المجن لأنهم نددوا باحتلاله للكويت، وفضحوا ازدواجيته وميكيافيلته! وعروا سوءة ارهابه واستبداده، وفساد حكمه ونظامه.

والمؤسف بأن الكتاب والصحفيين والمؤرخين العرب لا يقولون الحقيقة عن نظام مستبد ورئيس طاغية إلا بعد أن يكون الرئيس والنظام عهدا بائدا بسبب البلاغ الأنقلابى رقم واحد، أو بحكم «بلاغ» الأجل المختوم عبر عزرائيل!.

والحقيقة التى تستأهل التنويه والأشادة: هى أن أغلب النازحين غير الكويتيين، كانوا خير شاهدى اثبات على جرائم الاحتلال العراقى، وانتهاكاته لكل حقوق الإنسان فى الإسلام والعروبة والإنسانية فى كل مكان وظرف وحين. وليس سرا بأن جمعيات حقوق الإنسان الأقليمية والدولية، فضلا عن منظمة الأمم المتحدة، قد اختارت مواقفها المنددة بالاحتلال وتبعاته، اعتمادا على شهادة شهود العيان التى سمعها العالم بكل لغات العالم! حيث راح المواطنون والمقيمون النازحون من الكويت المحتلة، يدلون بشهاداتهم عما شاهدوه وعانوه من جرائم وانتهاكات ترتكب فيها.

وهكذا تحولت محنة احتلال الكويت، إلى محاكمة جماهيرية دولية، تدين الغزو والإرهاب والاحتلال، وتفضح جرائمه الوحشية بكل لغات العالم الحية الضمير! أضف إلى ذلك كون مئات آلاف النازحين- من المواطنين والمقيمين- صاروا شاهدى اثبات ينطقون بشهادة الحق، التى تدين الاجتياح البربرى الوحشى، وتدمغ جرائم الاحتلال والمحتلين. ومن هنا أتيح للعالم كله- عبر أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام- الاستماع

إلى الشهود طوال الشهور التى أعقبت الاحتلال العراقى الفاشم.

لقد ظن النظام العراقى المستبد، بأن عزل الكويت المحتلة عن العالم الخارجى، سيكفل له التعتيم الإعلامى الذى يمكنه من ممارسة عربدته الوحشية، وارهابه البربرى وقرصنته المشينة، بمنأى عن العيون والأنظار... ظانا بأن ارهابه للنازحين- من المواطنين والمقيمين- سيلجم أصواتهم، ويخيفهم عن الجهر بصوت الضمير، وقول كلمة وشهادة الحق.. لكن ظنه خاب ولله الحمد!.

وعلى الرغم من أن شهادة الشهود، مازالت تتواصل وتتواتر كل يوم، إلا أن جرائم وارهاب النظام العراقى المستبد ما زالت هى الأخرى متواصلة! وهذا المنحى الشاذ: يشابه سلوك المجرم السادر فى غيه، والذى تزيده شهادات الادانة والتجريم بغيا وارهابا! وكأن لسان حاله يقول: مادام العالم قد فضح جرائمى، وكشف عورة أفعالى المشينة، فلم أكف عن ممارسة ارهابى وممارساتى العدوانية؟!.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا بالحاح وشدة: لم قام النظام العراقى- الظالم الغاشم المستبد- بكل أفعاله المشينة، وجرائمه المخزية، وممارساته اللاانسانية؟! هل قام بذلك لمجرد أنه نظام ديكتاتورى يستمرىء الظلم والعدوان والإرهاب؟!.

أن الكثيرين من الأخوة المرابطين الذين طرحت عليهم السؤال السابق يعتقدون بأن ممارساته العدوانية وأفعاله الإرهابية القمعية... الخ قد حدثت بسبب فشل هذا النظام فى كل رهاناته التى راهن عليها ابان احتلاله للكويت! وكأنه يريد أن يغطى فشله ويستر خسارته بجرائمه المذكورة! فقد كان يعتقد بأن غزوه واحتلاله للكويت سيتم بدون ردود فعل ذات قيمة وتأثير وفاعلية. لكنه فوجىء بالعالم كله يحتج ويرفض ويندد عدوانه الآثم.. بل يتداعى ويحتشد لطرد قواته الباغية من الأراضى الكويتية!.

وكان يظن بأن الشعب الكويتى الذى آزره ودعمه فى حربه مع إيران بشتى أنواع الدعم، سيرحب بقواته الغازية ويستقبلها بالأحضان، وسيتعاون مع سلطة الاحتلال

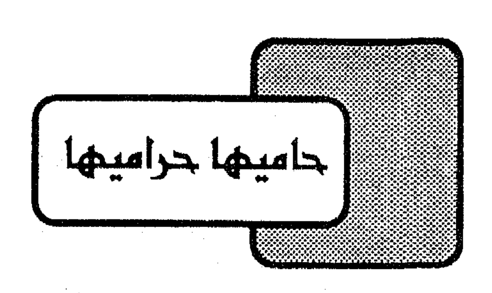
لمجرد، أن بعض الكويتيين ينتمون إلى حزب البعث أو يتعاطفون معه!.. لكنه صعق وذهل حين وجد أن هؤلاء يرفضون- بشدة وعناد وحسم- الانجذاب إلى اغراءاته المشينة، أو الرضوخ لتهديده الأرهابى المعهود! فلم يجد كويتيا واحدا يقبل أن يكون دمية تمثل دور الوزير، فى تمثيلية «حكومة الكويت الحرة» ولا دور محافظ الكويت وغيره من أدوار «الكومبارس» والدمى! بل أنه لم يعثر على كويتى يتيم، يقبل الظهور فى تليفزيون النظام العراقى ليردد النص السمج المكتوب له من قبل مؤلفى المخابرات العراقية. الأمر الذى اضطره إلى اسناد الأدوار المذكورة إلى بعض الأسرى والمعتقلين بالقسر والإرهاب والاكراه! ومن هنا ظهر إعضاء الحكومة المؤقتة- عبر شاشة التليفزيون- بصورة مزرية تدعوا إلى الرثاء وتثير السخرية من سماجة التمثيلية ورداءة الممثلين المغلوبين على أمرهم! ولعل أكثر ما أثار ما أثار غضب وجنون النظام العراقى هو موقف المواطنين المعروفين بتعاطفهم الشديد معه.. فحين اتصل بهم عارضا عليهم المناصب المغرية جوبه بالرفض الجازم، على الرغم من أن بعض هؤلاء المتعاطفين المريدين له ينتسبون إلى صف المعارضة الوطنية، متناسيا بأنهم يمارسون المعارضة جهارا عبر القنوات الدستورية.. وناسيا أن معارضتهم الشرعية لا ولن تفضى بهم إلى القيام بفعل غير مشروع مثل التعاون مع من احتلوا وطنه وعاثوا فيه فسادا وارهابا وسلبا!.

ومن تحصيل الحاصل: القول بأن جميع رهانات النظام العراقى قد فشلت فشلا ذريعا مخزيا! ربما لأن حساباته ورهاناته قد اعتمدت على تقارير خاطئة، وعلى تحليلات قاصرة جاهلة بالمجتمع الكويتى ومعدنه الأصيل، فعلى الرغم من أن الكويت كانت تمتلىء بعملاء المخابرات العراقية.. إلا أنهم فشلوا- بل خافوا- كتابه التقارير الصادقة التى لا توافق هوى الحاكم الطاغية! ولذا راحوا يحررون التقارير والأخبار والمعلومات، التى ترضى شذوذ الرئيس المهيب، وتدغدغ جنوحه وانحرافاته. ذلك لو أنهم تجرأوا على اخباره بحقائق الأمور، لكان مصيرهم الإعدام أو الاعتقال المؤبد.. كما جرت العادة!.

ولهذه الأسباب وغيرها قرر الرئيس المهيب وتنظيمه السرى الأرهابى، معاقبة أهل الكويت جزاءً وفاقا على رفضهم مشاركته فى جريمة احتلاله لبلدهم. وهكذا راح يقتص من الرافضين، ويعاقب المحتجين- وهم كل أهل الكويت- بجرائمه التى باتت معروفة للقاصى والدانى. ولهذا السبب: لاحظت أن سلطات الاحتلال، تجابه حركة العصيان المدنى الرافضة للاحتلال والضم، بالقمع والإرهاب بشتى درجاته وأنواعه وأدواته. مع أن العصيان المدنى، حق مشروع لأى شعب يعانى من نير الاحتلال.. لأن العصيان المدنى يعبر عن رفض انسانى حضارى، يمارسه المواطنون العزل كفعل رمزى للرفض والمقارنة والاحتجاج. لكن النظام العراقى المستبد- كما هو دأبه- لا يأبه بالحقوق المشروعة للإنسان.. ولا يتحمل أى سلوك احتجاجى رافض، وأن كان سلميا صامتا!.

ومن هنا تجده لا يكف عن ارهاب وقمع وقتل واعتقال المواطنين المدنيين العزل. وكأنه يريد منهم التهليل لاحتلاله الغاشم والسكوت عن جرائمه الوحشية! ولهذا السبب فأنه يعادى كل العالم المندد باحتلاله، فيكيل السباب لكل الدول والشعوب والمنظمات، التى أدانت عدوانه، وطالبت بردعه وطرد قواته المحتلة! فتراه يكيل السباب المقذع، والتهم المجوجة المضحكة لوزير خارجية الاتحاد السوفيتى- مثلا-، لمجرد أنه عبر عن موقف بلاده المطالب برضوخ النظام العراقى لقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة. ولذا راحت أجهزة اعلامه تصفه بأقبح الصفات والنعوت وتصمه بالارتشاء بمال النفط العربى! ولا تعجب- أخى القارىء- من هذا المنحى الشاذ «فكل يرى الناس بعين طبعه» كما يقول المثل الشعبى.





حاميها حراميها

* إن الكثيرين من الناس يعتقدون بأن حال الكويت المحتلة يشابه حال مركب بدون ملاح، أو «نوخذه»[1] يقودها إلى بر الأمان! بل ثمة من يظن بأنها مركب بدون شراع ولا مجاديف ولا نوخذه!!.

وقبل تسللي[2] إلى الكويت- خلسة- عبر الصحراء ومن خلال الدروب البرية الترابية، التي لا يعرف السير فيها بأمان، سوى الإنسان العربي الصحراوي، الذي يخبر جغرافية المنطقة، ومسالكها وموارد الماء فيها وكل ما ومن عليها!.

وكان السؤال الهاجس الذي يدور في ذهني قبل اختراقي الحدود الكويتية متسللا إليها هو: كيف يعيش المرابطون من المواطنين والمقيمون داخل الكويت المحتلة؟! أقول ذلك: لأن البلد منذ بداية الاحتلال، حتى يومنا هذا، تعيش على البركة! فهي بدون حكومة ولا مؤسسات تربوية وقضائية وأمنية.. الخ وهي كذلك خالية من الخدمات العامة التي تقدمها الوزارات والمؤسسات والمرافق الحكومية! أضف إلى ذلك غياب ونزوح العمالة الوافدة وتأثير ذلك على مسار وإيقاع وحركة وفعل الحياة اليومية بشتى

(١) نوخذه: ربان: قبطان.
(٢) راجع كلمة لا بد منها ص ٩.

متاحيها! فضلا عن قيام حركة العصيان المدنى التى قام بها المرابطون كفعل رمزى سلمى يعبر عن رفضهم للاحتلال ومقاطعتهم بشتى أنواع التعامل مع سلطاته وادارته وتشريعاته «الحمارابية» وغيرها.

ولأسباب، أمنية، اضطررت- ورفيق تسللى إلى الكويت- إلى اللجوء لمزارع «الوفرة». وقد راعنى أن أجدها خاوية من الأهالى- أصحاب المزارع- والمزارعين والعمال، والمواشى والدواجن والخيول والجمال والكلاب! كانت المنطقة موحشة، يلفها السكون الذى لا يعكر صمته، سوى هدير محرك آلية عسكرية عراقية.. وضجيج جنود الاحتلال، المحتشدون جوار مركز اطفاء منطقة «الو فرة». وبتوفيق من الله، تمكنا من دخول أحد المزارع، علنا نجد فيها انسيا يوحد الله! قابلنا الكلب البوليسى المخصص للحراسة، دون أن يهجم علينا أو ينبح بشدة على أقل تقدير! كان المسكين ضامر العود، غائر العينين، ويسير مترنحا متراخيا مثل سكران «طينة» عب من الخندريس حتى رأى القط أسدا والفيل فأرا! ولحسن حظه (الكلب لا رفيقى) كان بحوزتى بعض الزاد، فأطعمته حتى شبع، وساعتها فقط، تمكن من النباح! فقد كان قبل أن نلقاه غير قادر على النباح إلا بالإشارة!! أو الايماءة من شدة الجوع والعطش!.

كان العدم مزروعا فى كل جنبات المزرعة! أقول المزرعة؟ أى مزرعة؟! فقد تحولت الأرض المترعة بالخضرة والخير إلى أرض يباب خراب ترقد فوقها المواشى والدواجن النافقة والمحتضرة! أما المزروعات فقد غادرتها الخضرة الريانة بالحياة، فاصفر لونها، وجفت أوراقها وتساقطت على الأرض صريعة العطش!.

أما البشر، فلا أثر ولا وجود لهم فى المزرعة! لكن آثارهم وممتلكاتهم المبعثرة المتناثرة تشى بأن القوم قد فروا طلبا للنجاة، بعد أن أجبرهم جنود قوات الاحتلال على الفرار! ولا حاجة بنا إلى القول بأن أهالى المزارع والعاملين فيها، قد غادروها مرغمين... إذ لا يعقل أن يتركوها طواعية، بينما المواشى والدواب والمزروعات بحاجة إلى سقاية وزاد ورعاية. فخطر لنا الذهاب إلى المخفر- وهى كما ترى خاطرة ساذجة

غبية لا نغبط عليها - علنا نعرف ما حدث لمزارع الوفرة ومزارعيها وأهاليها ومواشيها. لكن فتوى القلب أثنتنا عن عزمنا، فعدلنا عن الفكرة غير آسفين! ذلك أن الأخبار التى سمعنا بها عن كل من جازف بالذهاب إلى المخفر، لا تشجع صاحب الحق والراغب فى الشكاية، على الذهاب بقدمية إلى وكر الأرهاب والقمع المعروف باسم المخفر!.

أن الكثيرين من المواطنين أصحاب النوايا الطيبة، يظنون أن المخفر التابع لسلطة الاحتلال، يؤدى نفس الدور الأمنى الذى يعهدونه فى المخفر الكويتى قبل أن يحتله الإرهابيون القمعيون. ولذا لجأ بعضهم إليه للتبليغ عن عمليات السلب والنهب التى تتم جهارا وعلنا! وقد فوجىء المبلغون بأنهم قد تحولوا إلى مجرمين- لا شهود اثبات-... ولك أن تتصور ما حدث لهم فى المخفر ما شاء لك التصور! يكفى أنهم يقولون بأن الداخل إليه مفقود، والخارج منه- هذا إذا خرج- مولود! من واجبه أن يولم لأصدقائه وليمة فرحا بنجاته!!.

ومن يومها كف أغلبية الناس عن اللجوء إلى المخفر، ولسان حالهم يقول: «الشكوى لغير الله مذلة»!.

❄ ❄ ❄

صاحب الحق مجرما!

* إن أى مراقب منصف يقيم فى الكويت بضعة أيام، أو يمر بها مرور الكرام، فسيكتشف أن «حاميها حراميها» كما يقول المثل الشعبى! وسيلاحظ أن البلد مستباحة تعيث فيها عصابات سلطة الاحتلال العراقية فسادا وسلبا وارهابا دون انقطاع!.

ومن هنا فإن الوضع هناك يزداد سوءا وترديا، يوما بعد يوم. كما أن كل الدلائل

تشير إلى أن سلطة الاحتلال عازمة على اخراج- بل طرد- البقية الباقية من الكويتيين المرابطين! ويتضح ذلك من خلال استمرار عملية سلب البيوت الخالية غير المسكونة، ومداهمة المنازل الآهلة بالسكان بدون سبب أو ذريعة!.

واعتقال المواطنين العزل- دون تمييز- بين المسنين والأطفال والنساء والشباب والصبيان! كأن تداهم أحدى الدواوين ويعتقل كافة من فيها بصورة تعسفية ارهابية كما هو دأبهم! أو أن يتم توقيف السيارات فى الشوارع ويتم تفتيشها.. فإذا كانت نظيفة من «الممنوعات» يتم مصادرتها بدعوى أنها مشبوهة، أو أن عليها مخالفة مرورية قديمة!.. إلى آخر المبررات الممجوجة الكاذبة. والويل للمواطن والمقيم الذى يملك سيارة «تويوتا» لأنه إذا تجرأ فطاف بسيارته فى الشوارع فلن يلومن سوى نفسه! لأنه سيجابه فى كل كيلو متر تطويه سيارته، باستجواب وتحقيق وتفتيش وشتم وضرب وتوقيف فى الشارع.. إلى آخر «وجبات» القمع الصدامية.. لكى يسمح لهم بمصادرة سيارته حالا.. وإلا فإنه سينال من نفس «الوجبه» كل يوم وربما كل ساعة. فسيارة التويوتا هى معشوقة المحتلين الطغاة، ومحبوبة رجال الأمن والاستخبارات، وحلم ضباط وجنود الجيش الشعبى!.. ولذا لابد من مصادرتها، وإذا رفض صاحبها الرضوخ صودرت السيارة وصاحبها!.

ويبدو أن كتائب السلب وعصابات السرقة، التابعة لسلطة الاحتلال العراقية، قد اتخمت بالمسروقات، ولهذا صارت عمليات السرقة منظمة مبرمجة انتقائية، بعيدة عن عشوائية السطو التى تمت ابان الأيام الأولى للغزو! وشاع يومها واستمر السطو الانتقائى المكرس لكل ما هو غال ونفيس ويمكن بيعه بسهولة!.

قال شايب ثمانينى على نياته: وين الحكومة؟ الشرطة؟ حرس الأسواق؟ البلدية؟ النجدة؟.

بالطبع لم تكن تساؤلات هذا الشايب تبحث عن أجوبة، بل أنها انطلقت من وجدانه، وتدفقت عبر لسانه، لينفس- من خلالها- عن احساسه بالقهر والغضب، والرفض والاحتجاج ضد تجاوزات وانتهاكات سلطة الاحتلال، وليعبر بها عن مشاعره الحزينة تجاه غياب حكومته الشرعية، ومؤسساتها القضائية والدستورية والإعلامية

والأمنية... الخ فضلا عن ما يترتب على هذا الغياب، من احساس بفقدان الأمان والأمن والسكينة والاطمئنان، وكل ما كان حاضرا فى الديرة قبل الاحتلال العراقى الغاشم!.

أن تجربة الحياة تحت وطأة سلطة الاحتلال، والتى لا تقدم للناس سوى «خدمات» التنكيل والرعب والقمع والأرهاب والسلب والنهب والظلم.. الخ، تعد تجربة جديدة غير مألوفة فى الحياة اليومية الكويتية.. فواحة الأمان والسكينة والاطمئنان، التى كانوا يقطنونها قبل احتلالها تحولت إلى بلاد مستباحة، يمارس فيها المحتلون شتى أنواع الجرائم والأرهاب واللصوصية! صحيح أن سلطة الاحتلال قد جلبت معها «مؤسساتها» الخاصة، لتقنع الناس بوجود حكومة وسلطة مكرسة لخدمة الشعب المعتقل وحمايته! لكن تجربة الأهالى والمقيمين معها، أثبتت لهم بأن الحامى هو الحرامى! أو «حاميها حراميها» كما يقول المثل الشعبى! ولذا فإن لسان حال المرابطين يقول «الشكوى لغير الله مذلة».

فكما نوهنا آنفا، فإن كل من لجأ إلى سلطة الاحتلال، لتبليغ شكاية أو للاخطار عن سرقة، أو أى سلوك شاذ منحرف، أو فعل غير سوى، فضلا عن مطالبته بحقه المغتصب.. فإنه يتحول إلى متهم ومجرم وصاحب بلاغ كاذب بغض النظر عن شهوده وأدلته وبراهينه! ولا تعجب أو تستغرب لأن المتهم- فى عرفهم- مذنب ومجرم حتى تثبت براءته! وعادة لا تثبت براءته إلا بعد اعدامه أو انزال أقصى عقوبة تعن «للحامى الحرامى»!.



أسوأ من الاحتلال الإسرائيلى!

* والأمر الذى يثير الأسى والقهر، أنى سمعت العديد من الأخوة الفلسطينيين

الشرفاء يقارنون بين ممارسات سلطة الاحتلال العراقية فى الكويت المحتلة، وبين ممارسات سلطة الاحتلال فى فلسطين المحتلة! والمؤسف أن المقارنة لصالح الأعداء الصهاينة!! ويدللون على ذلك بوقائع عديدة يخبرها كا فلسطينى عاش تحت وطأة سلطة الاحتلال الاسرائيلى. فيذكرون- على سبيل المثال لا الحصر- أن البنك العربى وفروعه فى مدن فلسطين المحتلة لم تنقص من صناديقه وخزاناته فلسا واحدا. فظلت ودائع وأمانات ومدخرات وحسابات العملاء فى أمان، بحيث أن كل زبون تمكن من استلام ماله كاملا غير منقوص! كما أن أصحاب المحلات والمتاجر لم يفتقدوا شيئا من بضاعتهم! لأن كافة المؤسسات والمرافق والأسواق.. الخ كانت تحت حمايتهم وحراستهم. ولم تكن الحماية وهمية وشكلية، لذر الرماد فى العيون (كما حدث فى الكويت المحتلة) بل أنها حماية جادة صارمة، إلى درجة أن أهالى المحلات والمتاجر دفعوا- بطيب خاطر- مصاريف الحراسة حين طالبتهم بها السلطات الأمنية الاسرائيلية! لأن العديد من المحلات التجارية ظلت مغلقة استجابة لدعوة الاضراب والعصيان المدنى! ولعلنا لسنا بحاجة إلى القول بأن المحلات التجارية المغلقة فى الكويت، بسبب الاستجابة لحركة العصيان، أو بسبب غياب ملاكها لداعى السفر، قد تم فتحها عنوة وقسرا، وشرعت أبوابها لتكون بضاعتها مباحة ومستباحة، للشطار والعيارين، وعصابات السلب، على مرأى من حراس ودوريات رجال الأمن، التابعة لسلطة الاحتلال العراقية! والأنكى من ذلك: يكمن فى أن التجار وأصحاب المجلات، والمعارض والمخازن التجارية يحتاجون إلى رخصة تمنحهم حق فتح محلاتهم! ونحن نسميها رخصة من قبيل المجاز! لأن تسميتها الحقيقية هى الرشوة! لأن التاجر الراغب فى تفقد بضاعته، والتصرف فيها بأى وسيلة مشروعة تعن له، عليه- بداية- دفع المعلوم من مئات وآلاف الدنانير! ماذا وإلا فإن التهم الجزافية، والغرامات التعسفية تقف له بالمرصاد. فكم من تاجر ضاع حلاله، وذهبت بضاعته، وتعرض للاهانة والقمع والحبس والاتهامات الجائرة، لأنه امتنع أو تردد فى دفع الرشوة للحامى الحرامى!.

وقد صدق من قال: بأن شر البلية ما يضحك.. أقول ذلك لأن الكثير من البضائع

والمواد المسروقة، لا تجد أحدا من العراقيين يشتريها أولا: لأن الكثيرين منهم يستحرمون شرائها، اثر صدور فتاوى عديدة من فقهاء العراق الاتقياء الشرفاء، يحرمون فيها شراء أى بضاعة مسروقة.. وثانيا: لأن ثمن المسروقات غاليا، وليس فى متناول العامة الذين لا يعلمون أنها مسروقة من الكويت. ولذا اضطر قراصنة السلب إلى بيعها إلى بعض التجار فى الكويت المحتلة!.

أن تجربة حياة الشعوب وممارستهم لحياتهم اليومية، بدون الحاجة إلى وجود دولة وحكومة ومؤسساتها، من التجارب المثالية التى حلم بوجودها الفلاسفة والمفكرون المثاليون. بدعوى أن هذا الحلم يجسد «المدينة الفاضلة» الخالية من عيوب ومثالب وفساد وأمراض مؤسسات الدولة! ولو أن هؤلاء الفلاسفة خرجوا من قبورهم، وعاشوا فى الكويت مَدة أسبوع، لكفروا بكل أحلامهم، وتبرأوا من كل نظرياتهم، وقوضوا معمار المدينة الفاضلة على رؤوس عصابات وقراصنة سلطة الاحتلال العراقية!.

والذين أتيح لهم الاستماع إلى شهادة الأستاذ «حسن العلوى» الكاتب والصحفى العراقى الشريف، والتى أدلى بها عبر شاشة تليفزيون دولة قطر، لم يعد لديهم أى شك بأن العراق الشقيق، تحكمه منظمة ارهابية سرية، مدججة بكل عدة القمع وأسلحة الأرهاب والموت!.

وقيمة شهادة الأستاذ العلوى، تكمن فى أنها صادرة من أحد من رفاق النظام البعثى العراقى! فقد كان الشاهد من المريدين للرئيس المهيب المخدوعين بأقواله وشعاراته.. ولذا لا يمكن وصم شهادته بأنها شهادة زور لا سمح الله. وبالمناسبة، أتمنى على وزارة الإعلام القطرية إعادة بث هذه الشهادة مرارا وتكرارا.. وحبذا لو أنها تسجلها على أشرطة فيديو، وتوزعها على كافة محلات الفيديو، لتكون فى متناول كل العرب فى المشرق والمغرب على حد سواء، لأنها - بحق - شهادة جامعة مانعة!.. وتستحق أن تكون فى مكتبة وأرشيف وذاكرة كل مواطن عربى!.

وبالمناسبة أيضاً فإن الكاتب ينتهز هذه الفرصة ليشيد بصراحة وجرأة وصدق

الأستاذ «حسن العلوى» الذى جسده فى شهادته المذكورة. والحق بأن الشهود على ممارسات النظام العراقى وجرائمه كثيرون ومنتشرون فى شتى ديار العالم! لذا فمن واجب الإعلام العربى بعامة، والإعلام الخليجى بخاصة، السعى اليهم فى مواطن نفيهم القسرى، لتسجيل وتوثيق شهادتهم، ومن ثم اذاعتها على العالم.

لأنها تغنى عن أى مقالة أو برنامج ينتميان إلى النوعية التى تطفح بهما محطات الإذاعة والتلفزة الخليجية! إذ أن الإعلام المقنع- كما هو معروف- هو الذى يعتمد على الحقائق الموثقة والشهادات الحية. بدليل أن شهادة الأستاذ «العلوى» التى نوهنا بها آنفا، لا تزال حديث المجالس والدواوين وكل الناس! وأحسب أنها ستسكن إلى الأبد فى ذاكرة السامعين اليها ووجدانهم.

صحيح أن مجتمع المرابطين يعانى من غياب الخدمات التى تؤمنها مرافق ومؤسسات الدولة.. إلا أنهم تمكنوا من تسيير أمورهم المعاشية وتوفير خدماتها بواسطة المتطوعين من المواطنين والمقيمين على حد سواء. وكأن الحكومة الشرعية ومؤسساتها ما تزال حاضرة بكافة خدماتها. وقد سبق لى- فى تقرير سابق- الافاضة فى الحديث عن هذه المسألة.. فضلا عن اشارتى اليها فى أغلب تقاريرى الصحفية عن الكويت المحتلة. وحسبى القول بهذا الصدد بأن المرابطين يديرون حياتهم اليومية بالاعتماد- بداية- على معونة الله ورعايته.. ومن ثم على قدراتهم الذاتية المشحونة بدافع التطوع والمفعمة بروح التكافل.

الإحتلال.. تراجيديا العصر

* فى حوار إذاعى مع الروائى العربى الكبير (نجيب محفوظ) سئل- فى معرض رأيه عن جريمة احتلال العراق للكويت- عما إذا كان يعتقد بأن هذه المحنة ستحرضه على ابداع رواية؟ فقال: بأن محنة الغزو والاحتلال، وتداعياتها العربية والدولية وآثارها الخطيرة ونتائجها المأساوية، تستأهل- حقيقة- أن يبدع فيها وعنها رواية. لأن حدوثها وأحداثها، ووقائعها وملابساتها، وزمانها ومكانها وشخوصها.. الخ تغرى الباحث والمؤرخ والروائى على الكتابة عنها. سيما وأن هذه المحنة، لا شبيه لها فى تاريخ المآسى الاحتلالية، التى خبرتها وعانت منها العديد من دول وشعوب العالم!.

ولن نتجاوز الحقيقة إذ قلنا بأن هذه المحنة المأساوية، ستكون محط اهتمام ودراسة المفكرين والباحثين والمؤرخين، والفنانين المبدعين فى القصة والرواية والمسرح والسينما والتليفزيون والشعر والفن التشكيلى والغنائى والموسيقى و... إلخ. ذلك لأن القضية تتميز بالطرافة.. والغرابة! وتمتلىء بالأحداث المأساوية والوقائع اللامعقولة! والشخوص الدرامية المتباينة، والمواقف الإنسانية المثيرة، والدروس والعبر والعظات العديدة، وكافة أنواع المفاجآت والصراعات والمحن والبلايا المثيرة للدهشة والتأمل و... إلخ.

ومن هنا فإن الروائى الكبير «نجيب محفوظ» لم يكن مغاليا ولا مجاملا، حين صرح بأن هذه المحنة قد تحرضه على ابداع رواية، على الرغم من أن المبدع الكبير بلغ من العمر عتيا، ولا يتوقع النقاد أن يسمح له سنه وصحته العليلة، القدرة على صياغة رواية جديدة. لكن يبدو أن المحنة المأساوية التى زلزلت الضمير العالمى، وشغلت العالم بأسره، قد أعادت اليه عافيته الابداعية، التى قد تمكنه من تنفيد رغبته!.

وفى أثناء زيارتى للكويت المحتلة، حرصت على المرور بدار أديب صديق فوجدته- كعادته- يقبع فى صومعته وسط كتبه وبمعية قلمه وأوراقه. فقلت له: أراك مشغولا.. فهل ثمة مشروع أدبى تستحويه من المحنة؟ قال: أنت تعلم بأن الأديب- والمبدع بعامة- يصعب عليه الكتابة عن أى حدث ما زال ساخنا وقائما ولم تنته بعد تداعياته ونتائجه. والذى يكتب فى مثل هذه الظروف فإن كتابته لن تكون فى صالح ابداعه! فالمبدع يحتاج إلى وقت تكون فيه المحنة قد انتهت، ويكون هو نفسه بعيدا عن وقائعها المتواترة وأحداثها الساخنة، حتى يتمكن من رؤيتها والتأمل فيها وسبر غورها، بمنأى عن تأثير مناخها المأساوى. ألا تلاحظ بأن المشاهد الراغب فى انعام النظر فى لوحة تشكيلية فإنه يتأمل فيها عن بعد حتى يتمكن من معرفة رموزها ومعناها وتفاصيلها ؟!.



أغانى الفنانين المرابطين

* وقد أتيح لى الاستماع إلى مجموعة من الأغانى الوطنية التى أبدعها مجموعة من الهواة. وقد انفعلت بها بشدة وسرعة! فوجدتنى أردد كلماتها، وأنجذب إلى إيقاعها الهادىء المؤثر بصيغة عفوية، لم أشعر بها عند سماعى للأغانى الوطنية،

الى ينتجها المحترفون فى المناسبات! وعلى الرغم من أن كاتب السطور ليس ناقدا فنيا إلا أننى أقول- دون محاباة أو مبالغة- بأنها أغان خارجة من رحم المحنة ومعاناتها. فكلماتها بسيطة عفوية مباشرة، تضاهى لغة عامة الناس فى حياتهم اليومية! إلى درجة أن سامعها، يحسب أنه قادر على صياغة أغان مثلها! أما ألحانها: فأنها تتميز بالهدوء البعيد عن الحماس والصراخ والضجيج، الذى عرفت بها الأغانى العربية الوطنية! وحين يتاح لها الوصول إلى السامعين، فأجزم بأنها ستقتحم وجدانهم وعقولهم بسرعة وسهولة! لأنها مكتوبة بحبر المعاناة، وملحنة بالوتر الحساس بنبض المرابطين، المترع بمشاعر الولاء والانتماء للوطن. والحق بأن أى مستمع منصف مرهف الحس يتاح له الاستماع اليها فسوف يفضلها على أغانى المناسبات بدون تردد!.

وعلى الرغم من أن الحياة فى الكويت المحتلة محفوفة بالمخاطر، وطافحة بمشاعر الخوف والتوتر والقلق والحزن... إلخ، إلا أن الباحثين والمبدعين، الذين اختاروا المرابطة فى الكويت المحتلة، أتيحت لهم فرصة معايشة ومعاناة محنة فريدة، تشكل معينا لا ينضب لمباحثهم وابداعهم! كما أنها ستكون- كذلك- لغيرهم من الباحثين والمبدعين، العرب والأجانب بعد أن تنتهى- بمشيئة الله-، ويتاح للجميع الاطلاع على أسبابها ومبرراتها، وأسرارها وخفاياها، ومآسيها وآثارها السلبية والايجابية، على كافة الأصعدة. وبعد أن تطرح على العامة والخاصة، وقائعها الموثقة، وشهادات شهود العيان، المدعمة بالأدلة والبراهين، وكل ما يتعلق بشأنها من أخبار ومعلومات واحصائيات ووثائق وصور وأفلام وأشرطة صوتية وما إلى ذلك[١].

والكاتب يعتقد بأن محنة احتلال الكويت من قبل قطر عربى شقيق، ستظل لسنوات عديدة، محورا أساسيا وموضوعا رئيسيا، لمئات المباحث والروايات، والأفلام والمسلسلات التليفزيونة والأعمال المسرحية وغيرها. ولست أنوه بذلك من باب التخمين

---

(١) قام المركز الإعلامى فى «الجابرية» بالكويت بتجميع وتصوير ٣٧ ساعة فلمية توثق- بالصوت والصورة والحركة لمحنة الاحتلال العراقى الغاشم. وقد قام بتصويرها مواطنون مرابطون فى الكويت المحتلة.

والتنبؤ والحدس، بل أنى أعتمد فيما ذهبت اليه، على السوابق الابداعية التى كرست لأحداث ومآسى وجرائم وأبطال ودروس الحرب العالمية الأولى والثانية. فعلى الرغم من مرور عشرات السنين على تاريخ وقوعها، إلا أنهما ما زالتا تثيران اهتمام ودراسة وخيال وتحليل الباحثين والمبدعين إلى يومنا هذا! إذ ما زلنا- حتى هذه الساعة- نشاهد الأفلام الوثائقية والروائية، والمسلسلات التلفزية المكرسة لهاتين الحربين العالميتين.

❋ ❋ ❋

التوثيق ضرورة وطنية

* والمؤسف أن عادة التوثيق وكتابة المذكرات اليومية، ليست سائدة بيننا- نحن معشر العرب- كما هى شائعة لدى قادة وشعوب الغرب! ولذا تجدنا نلجأ إلى أرشيفهم ومحفوظاتهم، ومذكرات ووثائق قادتهم، ورحالتهم ومسشرقيهم وساستهم وسفاراتهم.. إلخ. لنستعين بها على كتابة تاريخنا ومعرفته، أو لإنتاج فيلم عن تاريخنا. ما علينا.. ومعذرة للاستطراد!.

وفى هذا السياق، نتمنى على مدراء التليفزيون فى دول مجلس التعاون الخليجى، الحرص على أرشفة الأخبار والتقارير الأخبارية المصورة، المكرسة- لما سمى- بأزمة الخليج، حيث يمكن توظيفها لإنتاج أفلام وثائقية، وبرامج سياسية وتقارير أخبارية تحليلية.. الخ. أقول ذلك لأن العادة قد جرت، على إعدام هذه المادة الأخبارية فى كل موسم جرد! بدعوى عدم صلاحية الأفلام للعرض من الناحية التقنية، مع أن عدم الصلاحية للعرض، مرده سوء التخزين، وعدم صلاحية المكتبة للأرشفة والحفظ والتخزين! وللتدليل على ما ذكرته آنفا يكفى تذكر مئات الأفلام الوثائقية والبرامج التاريخية، المعتمدة على صور وأفلام وثائقية عمرها نصف قرن! وفى الكويت المحتلة

شاهدت بمعية بعض الأخوة المرابطين، فيلما وثائقيا ألمانيا عن «سيرة هتلر» مدته ثلاث ساعات. والفيلم يعتمد على الصور الفتوغرافية، والأفلام الأخبارية والإعلامية، والدعائية الوثائقية. لكن الصور في فيلم «هتلر» تبدو للمشاهد كما لو أنها صورت لتوها!.

وقد سألت الأخوة: لم اختيار فيلم عن «هتلر» بالذات لمشاهدته؟! قال كبيرهم: لقد اخترناه بمناسبة المقارنة المتواترة في وسائل الإعلام العربية والأجنبية بين «صدام حسين» وبين «هتلر». فسألتهم: وبم خرجتم من الفليم بعد مشاهدته؟ هل ثمة مقارنة حقا بين مجرم الحرب «هتلر» وبين الرئيس المهيب؟!.

قالوا بصوت واحد: الظلم سيء! وليس من العدل مقارنة «صدام» بـ «هتلر» خشية أن يغضب هتلر! وربما يرفع دعاوى يشكوى فيها الإعلام العربي هذه المقارنة «الظالمة» المجحفة بحقه! وربما يطالب برد اعتباره! (هتلر لا صدام... بالطبع)!!.

ومنذ ثلاث سنوات كتب الفنان المسرحي «عبد العزيز الحداد» مسرحية كوميدية طريفة، تناولت موضوعا طريفا لم يسبق لأحد أن طرحه! حيث كرسها للعمالة الوافدة، ودورها في الحياة اليومية الكويتية.. وتخيل فيها البلاد، وقد خلت من هذه العمالة، ومن ثم راح يستعرض حال الديرة، بعد أن غادرتها العمالة الوافدة، والكيفية التي استجاب بها المواطنون لهذه الحالة غير المتوقعة. وحاول أن يسأل: ماذا يحدث للكويت وأهلها إذا غادرها الوافدون لسبب أو لآخر؟! وهل يمكن للحياة الكويتية أن تستمر بدون هزات ولا خلل في حالة غياب كل العمالة الوافدة عن الوطن؟! ولعل اسم المسرحية المعنية «دفاشة» إذا لم تخني الذاكرة.

وأحسب أن المؤلف حين شطح به خياله، وكتب مسرحيته، لم يكن يظن أن حدسه، يمكن أن يتحقق على مسرح الحياة! لكن محنة احتلال الكويت ونتائجها المأساوية، وآثارها اللامعقولة جعلت المستحيل ممكنا، والخيال واقعا! فها هي الكويت المحتلة، تعيش بدون عمالة وافدة عدة شهور وكأن شيئا لم يكن! لأن أبناء الكويت حلوا

مكانها، وملأوا الفراغ بكفاءة وجدارة! فتراهم فى جميع مرافق الخدمات، وهم يؤدون مهامهم فى الافران والمخابز، ومحطات البنزين والجمعيات التعاونية، ودائرة المطافى، وسيارات النظافة، والمستوصفات والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية، والمهن الحرفيه اليدوية مثل (الحدادة- النجارة- الصيانة- إصلاح الأجهزة الكهربائية- الجزارة- الفلاحة ورعاية وتربية المواشى- الحلاقة... إلخ). وقد صدق من قال بأن الوقائع والأحداث، التى تقع على مسرح الحياة ودراما الواقع المعاش، قد تكون أكثر مأساوية وخيالا وصراعا، ومفارقة وإثارة ومفاجأة و «مسرحة» من المسرحيات التى يبدعها المؤلفون المسرحيون!!.

والا قل لى: من كان يتصور أنه سيأتى يوما على دولة الكويت تجد فيها نفسها خالية من العمال والموظفين الوافدين؟! وفى ظنى بأنه حتى مؤلف مسرحية «دفاشة» نفسه لم يتصور إمكانية نزوح كافة العمالة الوافدة بين يوم وليلة! ومن هنا فإن الفنان «عبد العزيز الحداد» كان يتداعى إلى ذاكرتى كلما شاهدت- عبر شاشة التليفزيون- جموع النازحين من العمالة الوافدة وهى تهج من الكويت خشية جرائم وارهاب النظام العراقى المستبد!.

ومن هنا أيضا قلت بأن محنة احتلال الكويت معينا لا ينضب من الدراما، وانها ستكون موضوعا أزليا للباحثين والمفكرين والمبدعين!.

أى أنها موضوع وقضية يبحثان عن المؤلف والباحث!!.

في عيون ووجدان الأطفال

* من الأسئلة[1] التي كانت تضطرب في ذهني تلك التي تتعلق بالآثار النفسية والأخلاقية والتربوية، للغزو والاحتلال، على الأطفال المرابطين مع ذويهم في الكويت المحتلة!. فهل هم نفس الأطفال الأبرياء الذين يدرجون في الشوارع، ويمرحون في الملاعب والحدائق، ويمارسون الترويح واللعب في المدينة الترفيهية، ومخيمات الربيع في البر؟! أما زال وجدانهم يمور بالدهشة والبراءة، ويطفح بالحب والشيطنة؟! وما هي رؤيتهم ومشاعرهم، لما حدث في ديرتهم ولأهليهم، من موت وارهاب وسلب ودمار؟!

حين كنت أتجول في المناطق السكنية، لاحظت أن أغلب المدارس فيها، تحولت إلى ثكنات عسكرية يقيم ويتمترس فيها، عسكر الاحتلال! وقد احتلوها، بعد أن فرغوا ما فيها، من أثاث ومعدات وكتب وكراريس وأقلام.. إلخ، على مرأى من عيون التلاميذ الصغار! فكان الأطفال يشاهدون عمليات سلب مدارسهم، فيهرعون إلى ذويهم باكين صارخين بالشكوى، طالبين من ذويهم انقاذ مقاعدهم وطاولاتهم ودفاترهم.. إلخ،

---

(١) أثر تحرير الكويت نظم المركز الإعلامي في الجابرية مسابقة مفتوحة للرسم عنوانها «محنة الاحتلال في عيون ووجدان الأطفال المرابطين».

من الحرامية الذين احتلوا غرفهم الدراسية، ودنسوا ملاعبهم الرياضية، وعاثوا فسادا وعبثا وتدميرا، فى مواطن ذكرياتهم الجميلة، ومواقع دراستهم ومعرفتهم!.

وإذا كان الأطفال يخبرون الحروب والقتل، ودوى القنابل ومشاهد العنف والارهاب، والدماء، عبر شاشات التليفزيون والفيديو... فإنهم- بعد اجتياح ديرتهم وغزوها واحتلالها من قبل قوات الاحتلال العراقية- قد عايشوا خبراتهم التليفزيونية على الطبيعة الحية، فشاهدوا الجنود العراقيين يدمرون ويحرقون المنازل، ويقتلون ويعتقلون آباءهم وأمهاتهم واخوتهم وجيرانهم، وينهبون طعامهم، ولعبهم، ويخربون ملاعبهم وحدائقهم، ويسلبون ممتلكات وطنهم ومواطنيهم، ويثيرون الرعب والقلق والتوتر فى كل مكان يحلون فيه!.

إن المشاهد المأساوية التى عايشوها طوال شهور الاحتلال، تختلف عن تلك التى ألفوا مشاهدتها عبر شاشة التليفزيون! والاختلاف لا يكمن فى الشكل فحسب، بل فى المحتوى والمضمون، **فقد اعتادوا مشاهدة الحروب بين الأعداء.. وهى مسألة مبررة يتقبلها عقلهم. فلا تثير دهشتهم، أو تستوجب تساؤلاتهم المعهودة. لكن احتلال بلادهم، من قبل قوات عسكرية، تنتمى لبلد جار شقيق، تربطه بديرتهم أواصر متينة، وعلاقات حميمة، وكل ما يربط الشقيق بأخيه التوأم!.. فإنه فعل يبدو لهم، كمشهد عبثى، فى مسرحية لا معقولة مجنونة! تنفى المنطق والعقل!.. ولا يمكن تصوره حتى فى الكوابيس وشطحات الخيال!.**

❋ ❋ ❋

العسكرى العربى القبيح

إن الآثار المادية للغزو والاحتلال، يمكن ازالتها، على الرغم من فواجعها ومآسيها،

لكن الاثار المعنوية يصعب محوها وازالتها! ولعلها تحتاج إلى سنوات وأجيال، حتى يمكن للبلد المحتل ازالتها من ذاكرة ووجدان الأطفال والصبيان!.

ومن المؤلم حقا للإنسان العربى فى الكويت، أن يجد صورة العسكرى العراقى فى وجدان أطفال الكويت، تمثل كل ما هو قبيح وكريه ومدمر فى الذات البشرية!! أضف إلى ذلك: كون الاحتلال العراقى وتبعاته المأساوية، قد زلزلت إيمانه المورث بالعروبة والأخوة العربية، والمصير المشترك وكل القيم التى درسها فى كتاب التاريخ المدرسى، والتربية الوطنية، والأناشيد القومية التى يبح صوته من ترديدها كل صباح (بلاد العرب أوطانى.. من الشام إلى بغدان).

ولا أنسى- فى هذا السياق- ذلك الطفل الذى سأل والده- بعفوية، وبراءة الأطفال المعهودة- هل الجندى العراقى عربى ومسلم مثلنا ؟! ولم يجد والد هذا الطفل جوابا سوى أن يجهش بالكباء وينتحب بحسرة وألم يصعب وصف شدة وطأتهما!.

وقد طلب أحد الأخوة من أطفال الحى رسم لوحة تشكيلية يرسم من خلالها انطباعاته عن الاحتلال والمحتلين. ولم يفاجأ حين وجد رسوم الأطفال، تفوح منها رائحة الموت! وتطفح بالدم وتصرخ بالرعب، وتمتلىء بالدمار والحرائق والحقد!.. وكل آثار الاحتلال العراقى لبلاده! وفى كل الرسوم كانت صورة الجندى العراقى تظهر على هيئة الشيطان المدجج بالحقد والارهاب والقمع والقرصنة!.

وقد سمع الضباط والجنود العراقيون- من الأطفال- عبارات أحسب أنها وخزت ضمائرهم، وأقلقت مضاجعهم، وحرضتهم على الأحساس بالذنب والخطيئة! فكم من ضابط وجندى توارى عن الأنظار أثر مظاهرة احتجاج وتنديد صرخت فيها الحناجر الصغيرة بدون خشية من سلاح. أو قمع!.

أما جدران المبانى والبيوت، فقد تحولت إلى منابر إعلامية يخطون عليها الشعارات الوطنية، وعبارات الرفض والتنديد بالاحتلال الغاشم فضلا عن رسوم العراقى القبيح، الذى سرق منه وطنه ومدرسته، وملاعبه وحلاوته وألعابه، ودفاتره وعلبة ألوانه

وأقلامه، وألبوم صوره وبالوناته ودراجته، وحصالة نقوده ومريلته المدرسية ومجموعة قصصه... إلخ. الأمر الذى أدى إلى غياب مرحه وفرحه، وضحكته الصافية وبراءته وطفولته، وذكرياته وأحلامه الوردية، وعالمه الطفولى المترع بالدهشة والحركة، والشقاوة والقصور الرملية، والحيوية والحرية.. وكل ما ومن فيها!

ولو أنك طفت أحياء وشوارع الديرة- فى المغربية- كل يوم، فسوف تجد الأطفال والصيبان، يخطون ويرسمون على الجدران جريدتهم اليومية، لكى يقرأها العسكر فى الصباح! الذين يعمدون إلى مسحها وتشويهها، ومصادرتها بالشطب والإزالة! لكن الأطفال لا يأبهون بالمصادرة اليومية، لصحفهم اليومية، فتراهم يعيدون صياغتها- كل مغربية- بعناد وحماس، وحب وشجاعة لا تعرف فى حب الوطن لومة لائم، وتخشى أذى أو عقابا.

❋ ❋ ❋

سنة أولى مقاومة

إن انفعال الأطفال بالاحتلال، وردود فعلهم إزاء عربدته، لا يقف عند حد، ولا يعرف الكسل والتراخى والملل والكلل، بل انه صار جزءاً هاما من حياتهم اليومية، التى يؤكدون من خلالها رفضهم العفوى، واحتجاجهم المتواصل، وتنديدهم اليومى بالاحتلال وبممارسة المحتلين البربرية الارهابية! ولذا تراهم يكمنون لجنود الاحتلال وضباطه، ليرشقونهم بالحجارة والعلب الفارغة والهتافات المضادة! ومن ثم يتوارون عن أنظارهم بلمح البصر! وكأن الأرض انشقت وبلعتهم، لتحميهم وتحضنهم داخل رحمها! الأمر الذى أطاش صواب العسكر، وأثار غضبهم وجنونهم! وأدى إلى اعتقال وتوقيف الكثيرين فى المخافر والمعتقلات، حيث يتعرضون للمساءلة والتحقيق، والعقاب

والحبس! فلا يطلق سراحهم إلا بعد أن يتعهد ذويهم خطيا وشفهيا، بعدم تكرارهم لهذه اللعبة النضالية! لكن الأطفال والصبيان، لم ولن يرضخوا للوعيد والتهديد، فتراهم يمارسون فعلهم بعناد واصرار واضحين. فهم- كما ترى- يقاومون ويحتجون على طريقتهم الخاصة.. وكأنهم «فى سنة أولى مقاومة» تأكيدا على أنهم لا يقلون شأنا وفعلا عن رجال المقاومة الوطنية!.

وحين كنت أزور عائلة صديقة: هزنى من الأعماق مشهد طفلة فى الثالثة من عمرها، وهى تمسك بسماعة التليفون، متخيلة أنها تحادث والدها الأسير، الذى لم تقابله منذ اليوم الأول للاجتياح! وكانت تخاطبه بلغة عفوية بريئة تقطع نياط القلوب، وتثير المواجع والاحزان والبكاء النبيل! فتسمعها تناديه (وينك بيه؟ أبغى أشوفك الحين؟ أمى العودة[1] تسلم عليك وأمى الصغيرة جابت لى أخت صغيرونه دايما تبكى لأنك ما جيت تشوفها!) والمدهش أن هذه المحادثة التليفونية الخيالية، تقوم بها الطفلة كل صباح إثر استيقاظها من نومها! حتى أنها صارت من طقوس حياتها اليومية التى لم تتخل عنها منذ أسر والدها!.

وسمعت صبيا فى الثامنة من عمره، يصر على والده بضرورة تغيير اسمه الذى أطلقه عليه والده، لأن أقرانه الصغار يعايرونه باسمه ويسخرون منه، الأمر الذى اضطره إلى حبس نفسه فى البيت، واضرابه عن الطعام! حتى يتم له تغيير اسمه. وحين سئل الطفل عن الاسم الذى يرغب فيه عوضا عن اسمه «صدام» قال بسرعة وحسم: سمونى «بوش»!! ومن يومها فإن الكل لا يناديه إلا باسم «بوش». ولو أخطأ أحد وناداه باسم «صدام» فإنه يمتعض ويغضب وهو يردد «اسمى بوش مو صدام.. مفهوم؟» فينفجر الجميع بالضحك الخارج من باب «شر البلية ما يضحك»!.

وأمام صورة للرئيس المهيب منصوبه أمام أحد المرافق الحكومية سمعت ولدا يخاطب الصورة قائلا (شوف صداموه.. والله العظيم راح اعجنك وأبلعك «حاف» بدون

(١) أمى الكبيرة : الجدة

مرق أو غموس!».

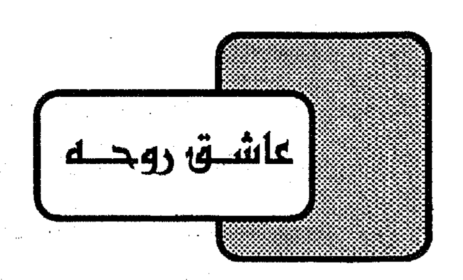
ولو شئت الاستطراد- فى هذا السياق- لملئت الأسطر والصفحات، بالوقائع الموثقة لانفعال الأطفال بمحنة الاحتلال، المجسدة لمشاعرهم تجاه الوطن وبابا جابر وسعد وكل رموزه ومعالم هويته.

وقبل قدومى- بل تسللى- إلى الكويت المحتلة كنت أسمع من بعض النازحين الكويتيين من يقول (مساكين أطفالنا المتواجدين فى الكويت المحتلة، فقد ضاعت عليهم السنة الدراسية بسبب غياب المدرسين واحتلال العسكر لمدارسهم فضلا عن سلبهم لكل ما فيها) لكنى- بعد أن عاشرتهم وحاورتهم- أيقنت بأن الرأى السابق خاطىء وجانبه الصواب! لأن الدروس التى تعلموها طوال الأسابيع الماضية، لن يتاح لهم تعلمها فى الكتب وغرف الدراسة! كما أنهم تعرضوا لامتحانات، لن يجربوها فى حياتهم المدرسية! لأن دروس وامتحانات بلية الاحتلال غير واردة فى المقرر وجدول الحصص الدراسية!.

ومن هنا أقول بأن أطفال الكويت النازحين، هم الذين ضاعت عليهم فرصة التعلم، من دروس المحنة ومعارفها وتجاربها!.

فالطفل المرابط مع ذويه صار تاجرا حرفيا وعاملا... الخ. فاكتسب معارف وخبرات وتجارب، وتعرض لامتحانات مضنية قاسية تخطاها بنجاح مشرف! فقد أكلت خبزا «إيرانيا» واحتسيت شايا معتبرا وطعمت حلوى لذيذة... الخ. من صنع الصبيان والأطفال الذكور والإناث على حد سواء. وشاهدتهم يكنسون الشوارع، وينظفون المساجد والمنازل، ويعلفون المواشى والدواجن، ويخدمون الكبار فى الديوانية، ويحلبون البقر والمعيز، ويتبارون فى معرفة أنواع الأسلحة من خلال تمييزها لأصوات فرقعتها ودويها! ويتنافسون فى الفعل واسداء الخدمات لأهل الحى، ويتحاورون فى السياسة- ما شاء الله عليهم- كما الكبار! ويمارسون ألعابا مفعمة بالفتوة والفروسية، والكر والفر وروح الجهاد! ويسمعون دوى المدافع والقنابل والصواريخ، دون أن تصدر عنهم اشارة

خوف أو علامة جبن! ويجادلون العسكر بسلاطة لسان يغبطون عليها! ويتبادلون ألعابهم ومقتنياتهم بروح الايثار والتكافل! ويقودون الضرير إلى المكان الذى يقصده، ويهرعون صوب المسجد حال سماعهم صوت المؤذن،... الخ. وفى كلمة أقول بأن المحنة خلقت منهم رجالا، وأضافت إلى عمرهم العقلى والزمنى عدة سنوات! ولا بأس عليهم- بعد ذلك كله- لو ضاعت عليهم السنة الدراسية التقليدية!!.



* حين مررت بشارع الصحافة حيث تقع مبانى أهم الصحف والمجلات الكويتية راعنى أن جنود الاحتلال يطوقونها من كل صوب.. بما فيها سطوح الدور الصحفية. لكن «دار القبس» خصت بحراسة مشددة ملحوظة.. وكأنها ثكنة عسكرية أو موقع استراتيجى يستأهل كل هذا الحشد من العسكر! سألت مرافقى عن السبب قال: لأن سلطة الاحتلال تصدر صحيفة مستخدمة مطابع «القبس» اسمها «النداء» وهى توزع مجانا. وقد اطلعت على بعض أعدادها فلاحظت أن صورة الرئيس المهيب تحتل ثلث الصفحة الأولى! وهى تنشر الصورة بالألوان يوميا بمناسبة وبدونها!.

وعلمت أن الذين يتولون اصدارها حفنة من الصحفيين العراقيين بمساعدة بعض المرتزقة المستعدين للتواطىء مع الشيطان نفسه، ما دام سيدفع لهم ثمن خيانتهم للبلد الذى احتضنهم!.

وأخبرنى الأخ المرافق بأن جميع المتعاونين مع صحيفة الأحتلال العراقى معروفين فى الوسط الصحفى بعلاقتهم الحميمة بالسفارة العراقية هناك لأسباب «روحية» ودوافع «كحولية» والعياذ بالله! وعلمت بأن كافة الدور الصحفية قد تم سلب مطابعها ومخازن ورقها وأرشيفها ومكاتبها وكل محتوياتها!.

ووجدتنى استدعى إلى ذاكرتى تأييد الصحافة الكويتية للعراق أثناء حربه مع إيران.. فقد كرست الصحف الكويتية إمكاناتها وانتشارها وخبرات العاملين فيها من أجل نشر لقاءات الرئيس العراقى مع رؤساء تحريرها.. فضلا عن تعاطفها وانحيازها الواضح لمواقف النظام بدون تردد أو تحفظ! بدعوى أن عراق «صدام حسين» بوابة العرب الشرقية وحامى حمى الأقطار الخليجية من «مطامع» إيران التوسعية! وغير ذلك من الشعارات الزائفة التى يجعجع بها كذبا وزيفا وضحكا على ذقون القراء العرب!.

وقد هممت بأن أسأل صاحبى: لم ينهب نظام صدام حسين الصحف التى ايدته وآزرته عشر سنوات كاملة... لكنى بلعت سؤالى لسذاجته المفرطة! فكيف أطرح سؤالا كهذا ما دامت الكويت كلها قد نهبت؟ على الرغم من أنها كلها - أيضا - دعمته بالروح والمال والتموين ومعلقات الشعر وكافة إمكانياتها وقدراتها ؟! ولذا فالسؤال حسن النية، لأن الرئيس المهيب لا يحب التمييز والتفرقة بين الكويتيين لأن «العدالة» واجبة حتى فى عمليات السلب!.

بل إن عدالته طالت المقيمين من الأخوة العرب المسلمين والأجانب! وبهذا المعنى يمكن القول بأن «وحدة - حرية - إشتراكية «الشعار التقليدى لحزب البعث، والذى كان حلم ملايين الشباب العرب ابان عقد الخمسينيات قد تحقق - ولله الحمد! - فى عهد «صدام حسين»! فالشعار ترجمته قوات الاحتلال العراقية عبر «حرية» السلب والنهب، و «اشتراكية» القتل والارهاب والقمع، و «وحدة» الفجيعة التى تسكن وجدان المواطنين والمقيمين على حد سواء.

وقد أخبرنى أحد الزملاء بأن السلطة المحتلة قد عرضت على صحيفة «الوطن» إعادة صدورها نظير عدم سرقتها! ولا حاجة بى إلى التنويه بأن العرض الوقح جوبة برفض حاسم وحازم ملىء بالمرارة. ونفس العرض طرح على مجلة «الرسالة» الأسبوعية بدعوى أن الناشر رئيس التحرير كان من «الرفاق» القدامى. ولهذا السبب كان الرفاق يقيمون فى مقر المجلة بدون غضاضة ولا تأنيب ضميرا الأمر الذى دفع بناشرها إلى أن يترك لهم الدار الصحفية وما فيها ويهج من الديرة.

* ويبدو أن النظام العراقى المستبد، كان يراهن على استقبال الكويتين قواته الغازيه، بالورود والبخور والمظاهرات الفرحانة! اعتمادا على تأييدهم له أثناء حربه مع إيران! لكنه فوجىء برفض خاصة الكويتيين وعامتهم! بما فيهم الرفاق القدامى وزملاء الدراسة «لصدام» أثناء إقامته فى القاهرة فى مطلع الستينيات!.

إن الحاكم الظالم الطاغية المستبد لا يتعظ من شهادة التاريخ ودروسه، ظانا بأن الحرس الجمهورى وكتائب الإعدام وسياسة البطش والارهاب، ستجعله آمنا مطمئنا.. متناسيا النهاية المأساوية «لشاه إيران» وأمثاله! ومتناسيا قبل ذلك كله بأن المولى سبحانه وتعالى.. «يمهل ولا يهمل». حين تحين ساعة هلاكه لن تحميه قوات الحرس الجمهورى والجيش الشعبى والنظامى. وهذه الساعة آتية لا ريب فيها، تسمع دقاتها تنبض فى عروق المواطنين، وتراها فى عيونهم المليئة بالغضب، ويهمس بها الشعب الصابر المقهور! أما مظاهرات التأييد وحفلات عيد ميلاد الرئيس وطقوسها الإمبراطورية.. وهتافات وأغانى التمجيد فإنها تتم بواسطة «الريموت كونترول» ونقابات «الهتيفة» الذين صار شغلهم ومصدر رزقهم الاستجابة لأوامر «الريموت كونترول» الخاص بالمخابرات والأمن القمعى!.

ومن المؤكد بأن شخصية الرئيس المهيب ستكون موضوعا دائما لدراسة وبحث وتحليل علماء الجريمة والنفس والطب النفسى والتاريخ. فضلا عن المبدعين فى الدراما بكافة أنواعها ومدارسها وأساليبها! زد على ذلك أن تمثاله الشمعى سيكون له مكان الصدارة- ولا فخر- فى متحف «مدام توسو» المكرس لمشاهير ونجوم العالم فى السياسة والفنون والجريمة. والسؤال الآن: أين سيوضع تمثال الرئيس المهيب فى متحف الشمع بلندن؟ أفى قاعة الرؤساء والقادة السياسيين والعسكريين.. أم فى قاعة أقطاب ونجوم الجريمة؟!.

* وفى حدود معلوماتى المتواضعة فأننى لا أعرف رئيسا «عاشق روحه» ومغرم بذاته مثل هذا المخلوق. فصوره فى بغداد- وغيرها- أكثر من أعمدة النور! فتراها فى

كل شارع، وداخل كل مكتب ودكان ومسجد، وكل مكان! بحيث يمكننى القول- دون مبالغة- بأنها تزيد على عدد سكان العراق! وقد تذكرت فى هذا السياق فنان الكاريكاتير الكبير «بهجت» وكتابه الرابع عن الرئيس المستبد فى العالم الثالث، الرئيس مدى الحياة الذى يورث الجمهورية «لولى عهده» ويوزع المناصب على الأقارب والازلام، ويكبل شعبه بقيود القمع والأرهاب، ويحاسبهم ويعاقبهم على نواياهم بدعوى الأمن الوقائى!! زد على ما ذكرته فرض صوره على الشعب بحيث أن من يتجرأ على نسيان تعليقها فى صدر منزله يناله التعليق على المشنقة هو وعياله وأقاربه! وكتاب الفنان الأستاذ «بهجت عثمان» بليغ جدا فى رسومه الكاريكاتيرية. وعلى الرغم من أنه لم يقصد به رئيس ديكتاتور طاغية بعينه.. لأنه يرمز إلى كل طاغية، إلا أن الكتاب الرائع ينطبق على «صدام» فى كافة رسومه لأنه (صدام لا بهجت) صار رمزا للاستبداد وعشق الذات المرضى، والتعلق بالرئاسة مدى الحياة، وتبديد ثروة الشعب على اقامة تماثيله وصوره، التى يعدم فورا كل من تسول له نفسه بعدم اقتنائها وتعليقها فى كل غرف وجنبات البيت.. بما فيه «بيت الأدب» كرمكم الله! ولهذا السبب فإن الكتاب لا يمكن لك أن تجده فى مكتبات العراق، ليس لأنه نفذ فحسب.. بل بدعوى «كاد المريب».. اياها! ومع أنى- مثل آلاف القراء- من عشاق ابداع «بهجت» الساخر.. خاصة ابداعه الذى نشر فى كتابين «حكومة وأهالى» و «دولة بهجاتيا العظمى» الذى نحن بصدده. إلا أن الواقع المأساوى «لجمهورية صداميا» يبز ويفوق خيال الفنان المبدع وسخريته المرة!.

* أقول ذلك لأنى حين زرت الكويت فوجئت بصورة «المهيب» تسد مداخل الفنادق والمستوصفات والمستشفيات! وتتوسط «الدورات» المرورية والساحات العامة! وتطل على المارة والسيارات الماشين على الطرق السريعة والبطيئة! والأنكى من ذلك أنها اقتحمت- عنوة- الجمعيات التعاونية والأفران الآلية والمخابز الشعبية ومحلات الحلاقة ودكاكين البقالة... الخ... الخ! وفى كل مكان ومرفق يخطر أو لا يخطر على بالك! وكأن الرئيس القائد مؤسس وبانى دولة الكويت وراعى نهضتها التنموية!.

والغريب أن بعض الصور الكبيرة «الجداريات» محاطة بالحرس ليل نهار خشية الاعتداء على الصورة! وأترك لك- أخى القارىء- مهمة التفكير فى دلالة هذه الخشية على الصورة! أما خشية الاعتداء على «الأصل» فحدث عنها ولا حرج.. فمهما شطح بك خيالك فستجد أن الخوف على أصل الصورة وصاحبها يفوق أى خيال! أما دلالات كل ذلك فأنها واضحة لكافة القراء!.

والغريب أيضا أن الشعب الكويتى المرابط فى الكويت- كعادته وجد فى «الاسهال الفوتغرافى» مادة للتندر والسخرية اللاذعة! وسمعت بعضهم يقول: بأنهم سيطالبون بلدية الكويت بالابقاء عليها وعدم ازالتها لتكون رمزا لجريمة الرئيس الذى غزا واحتل الوطن.. والذى صار اسمه فى حد ذاته رمزا يكثف ويختزل كل فعل قبيح وضار ومدمر ولا معقول ومشبوه.. إلى آخر المثالب والعيوب والرذائل الموجودة فى النفس البشرية!.

ومن اليوم فإن مجرد ذكر اسم «صدام حسين» حاف بدون اضافة أدام صفاته وأفعاله- التى يندى لها الجبين- يكفى للدلالة على كل وصف قبيح نريد اشتقاقه من قاموس حياته اليومية الدموية!.

سيكون «صدام» فقط رمزا لشيطان الانس، وعلامة على كل ما هو قبيح وفاسد فى الشخصية الإنسانية!.

ومن هنا بادر الكويتيون الذين أطلقوا اسمه على أحد أولادهم إلى تغييره! وفى هذا السياق نتساءل هل تجد اليوم أوروبيا وأمريكيا يحمل اسم هتلر؟! بل هل تجد أبا فى العالم كله يطلق على مولوده اسم هولاكو- نيرون وغيرهما من الطغاة؟!.

ولولا تحذير الأخوة لى من خطورة حمل واستخدام الكاميرا.. واصرارهم على عدم الظهور بها لوثقت لكم كل ما ذكرته بعيون الكاميرا وشهادتها!.

أن المآسى والجرائم الناشئة عن ممارسات عصابات القمع والإرهاب لم تكتب بعد

بتفاصيلها. وأما نشر عنها مجرد أمثلة ليس إلا. وسوف يأتى اليوم الذى يعرف فيه العالم بأن آثار ونتائج احتلال الكويت لن تنتهى بانسحاب المحتلين للأسف الشديد. لأن آثار العدوان والاحتلال ليست مادية فحسب بل أنها تنسحب على كافة الأصعدة! ولذا فإنى أعتقد بأن همنا الأساسى لا يكمن فى الانسحاب- لأنه- سيتم طوعا أو كرها بإذن الله- لأن الهم الأهم فإنه يكمن بعد الانسحاب!!.

الكويت المحتلة.. والعتمة العراقية

* فى الأيام القليلة الماضية[1]، فوجىء العراقيون فى مدينتى بغداد والموصل، بوجود عشرة آلاف كويتى «من الجنسين» محتشدين أمام ما يسمى «بمكتب ضحايا الحرب!» ومن البديهى أن يثير هذا العدد الهائل من الكويتيين والكويتيات- على مختلف اعمارهم- فضول العراقيين وتساؤلهم! فقيل لهم: بأن هذا الحشد يمثل أهالى وأقارب الأسرى والمعتقلين الكويتيين، المحبوسين فى سجون ومعتقلات العراق! وقد فوجىء العراقيون بهذا الخبر، على الرغم من أن الأسرى والمعتقلين، صار لهم أزيد من خمسة شهور، فى «ضيافة» النظام العراقى! ولم يدر بخلد الأخوة العراقيين بأن جريمة احتلال الكويت يمكن أن تخلف هذا العدد الكبير من الأسرى والمعتقلين! ولولا وجود أهاليهم وتجمعهم أمام «مكتب ضحايا الحرب» لما عرفوا بوجودهم البته، بسبب عزلتهم، والتعتيم على خبر وجودهم!.

والحق بأننا لا نلوم الأخوة العراقيين إذا كانوا يجهلون وجودهم، لأن الشعب العراقى- نفسه- معتقل ومحاصر بالتعتيم الإعلامى، فصلته بالعالم الخارجى،

(١) مطلع ديسمبر ١٩٩٠م.

محصورة بوسائل الإعلام العراقية والأردنية فقط، والتى لا يتوقع منها أحد الاشارة إلى وجود أسرى ومعتقلين كويتيين يقدر عددهم بعشرة آلاف واحد! منهم حوالى آلف وستمائة أسير عسكرى!.. والباقون كلهم من المدنيين، الذين اعتقلوا بعد الاحتلال. والمعتقلون المدنيون يضمون النساء والأطفال والصبيان والشباب والمسنين! وثمه أسر بكامل أفرادها تم اعتقالهم! وفى عرف وأخلاق وتقاليد النظام العراقى المستبد، فإن الاعتقال يمكن أن يتم لأوهن الأسباب وأتفهها! فثمة مئات تم اعتقالهم «بجريمة» حيازتهم لعلم البلاد أو صورة سمو الأمير! وثمة مئات غيرهم اعتقلوا، لأنهم ضبطوا متلبسين بكتابة شعارات تندد بالاحتلال الغاشم، وتؤيد القيادة السياسية الشرعية، وتحتج على الممارسات الإرهابية، التى تقوم بها كتائب الاعدام وقوات القمع، المرافقة لقوات الاحتلال! أضف إلى ذلك: المئات من المعتقلين الذين تم اعتقالهم بدون سبب أو ذريعة! والحق أن سلطة الاحتلال فى الكويت المحتلة، تمارس الأرهاب والقمع والاعتقال بدون الحاجة إلى سبب أو ذريعة! اللهم إلا ذريعة ابتزاز أهالى المعتقلين! فالأهالى بحكم خشيتهم من تعرض عيالهم للقتل والتعذيب الوحشى، فإنهم يسعون إلى اطلاق سراحهم بشتى السبل. وحين اكتشف رجال الأمن وبعض القضاة والمحامين ورجال الاستخبارات، حرص الأهالى واستماتهم واستعدادهم لبذل الغالى والنفيس فى سبيل سلامة وحرية أبنائهم، راحوا يتفننون فى ابتزازهم! ووجد المبتزون فى المعتقلين مصدرا للارتزاق، وكنزا سخيا للاثراء، ووسيلة سهلة لابتزاز أهالى المعتقلين والضحك على ذقونهم! فتكونت جمعية منتفعين مكرسة لهذا الغرض! فكل من يرغب فى زيارة ولده، أو اطلاق سراحه وايصال طلباته داخل معتقلة، عليه أن يدفع الثمن! والمؤسف أن الكثيرين من الأهالى المستورين، اضطروا إلى بيع بعض ممتلكاتهم، وإلى طلب المعونة المالية من الميسورين الخيرين، ليتمكنوا من دفع الرشوة السخية المطلوبة! لكنهم مع ذلك كله، خرجوا من مولد الابتزاز بدون نتيجة ايجابية! فحين استلم المبتزون آلاف الدنانير من الأهالى، راحوا يماطلونهم ويطالبونهم بالمزيد من آلاف الدنانير! ومن ثم يتهربون منهم ويطردونهم، أو يفرجو عن بعضهم إذا شاءوا ذلك!

وقد صار معروفا لكافة الناس فى الكويت، بأن الاعتقالات الكثيرة التى تتم يوميا بطريقة جزافية تعسفية، يقصد منها الابتزاز ليس إلا! ومن هنا تجد فرق الأمن القمعية تداهم منزلا أو ديوانية، وتعتقل الناس بالجملة! والملاحظ هنا أن هذا المنحى الاعتقالى انتقائى وليس عشوائيا! حيث يتم اختيار المواطنين الميسورين القادرين على دفع الرشوة السخية والعطايا الثمينة! وهذا المنحى الابتزازى المسلط على الأغنياء، لا يعنى أن الفقراء بمنأى عن الاعتقال! فهذا الأمر غير وارد بحكم أن النظام العراقى الإرهابى «عادل» ولا يحب التفرقة بين عباد الله المقموعين! بل أنه يؤمن «بديموقراطية» القمع و «اشتراكية» الأرهاب و «وحدة» الاعتقال التعسفى! ولذا فإن القمع والإرهاب لا يوفر أحدا ويطال الجميع.. ولله الحمد!.

* إن غالبية المعتقلين المدنيين، تم اعتقالهم لأسباب واهية تافهة، ولا تستوجب الاعتقال! وأن كان لابد منه، فلم يدوم اعتقالهم عدة أشهر؟! ولو أن المسألة تقف عند حد الاعتقال لهان الأمر. أقول ذلك لأن المعتقلين- وأغلبهم من الصبيان والشباب-، يتعرضون لشتى أنواع ودرجات البطش والتعذيب، اللذين يدلان على السادية المرضية، والحقد الأعمى، والشذوذ الجنونى! وكأنهم يمارسون هذه الجرائم الوحشية، كغاية مقصودة لذاتها! أو أنهم يتعاطونها كأدمان مزمن، لا يقدرون على الفكاك منه! بمعنى آخر أقول: أنهم لا يمارسون التعذيب بقصد اعتراف المعتقل بذنبه، أو بدعوى ارغامه على تزويدهم بالمعلومات المطلوبة، بل أنهم يعذبون الواحد يوميا حتى بعد حصولهم على بغيتهم منه!.

ولا تسألنى عن أنواع ودرجات التعذيب التى يتعرض لها المعتقلون لأنها تفوق كل ما هو معروف فى تاريخ القمع والتعذيب! إلى درجة أن قلمى يخجل من ذكر نوعيته. ولذا فسوف أعرض بعض أنواع التعذيب الذى يمكن ذكره ولو على مضض! فثمة شباب قلعت أظافرهم، وسملت عيونهم، ونتفت لحاهم وشواربهم، وكهربوهم بجهاز الصدمة الكهربائية، وعلقوا من أقدامهم بالمراوح السقفية، وانتهكت أعراضهم على

مشهد من رفاقهم فى المعتقل! أما الجلد والضرب، والحرق بأعقاب السجاير والولاعات، فتعد من الطقوس القمعية اليومية المألوفة! والويل للمعتقل الذى يخطر بأمر الافراج عنه! ذلك أنهم يطلبون منه أن يقودهم إلى منزله لكى يوصلونه بأنفسهم! ويصدق المسكين الافراج ويسر بها... وحين يصل معهم إلى بيته، يدقون الجرس ومن ثم يردونه قتيلا، بزخات من رصاص المسدس ويفرون، ليجده أهله جثة هامدة أمام منزله! وهناك العديد من المعتقلين أفرج عنهم، وهم على حافة الموت والجنون من شدة التعذيب الذى كابدوه! وقد شاهدت بنفسى، أثناء زيارتى الصحفية، شابا فى المسجد راعنى أنه كان يتناول «الشوكلاطه» بدون حرج! ولم يتعرض له أحد من الحاضرين، لاعتقادهم بأنه واحد من نزلاء مستشفى الطب النفسى، الذين طردتهم السلطة القمعية من المستشفى مثل غيره من النزلاء. لكن أحد المصلين تعرف عليه وتبين أنه خارج لتوه من المعتقل! وأن حالته الصحية والنفسية المتردية كانت من جراء وحشية وقسوة وتواصل عمليات التعذيب!.

وفى أحد الدواوين لقيت أحد الشخصيات العامة. وقد لفت نظرى تغير شكله المألوف لعامة الناس، حيث وجدته امردا حليق اللحية والشوارب! وحين سلمت عليه.. رد بغمغمة مبهمة، ومن ثم ظل طوال الجلسة صامتا شارد الذهن، زائغ النظرات وارم الوجنتين! ولم أكن بحاجة إلى السؤال عن سبب حالته المروعة، فقد كان هو الآخر خارجا من السجن منذ أسبوع! وما زال يعانى من آثار التعذيب!.



امراض الاحتلال

* وفى أحد المستشفيات، لاحظت أن رجال الأمن يحيطون بسرير أحد المرضى

من كل صوب، خشية أن يشاهد أحد آثار التعذيب الوحشى المنتشرة فى كل أنحاء جسمه. وقيل لى: بأن حالته الصحية خطيرة، وتستوجب العناية المركزة. لكن عصابة القمع يبدو أنهم يريدون له الموت. لا سيما أن أجهزة العناية المركزة- وغيرها- قد تم شحنها إلى العراق امتثالا لشعار «عودة الفرع إلى الأصل»!.

وحين زرت مقبرة «الرقة» أحصيت- على عجالة- عشرات القبور الجماعية التى تضم رفات الشباب الذين اغتيلوا برصاص الإرهابى بشبهة انتمانهم للمقارمة الوطنية أو «بجريمة» حيازتهم لصورتى سمو أمير البلاد وسمو ولى العهد! وغير ذلك من «ممنوعات» مضحكة!.

وقد أخبرنى أحد الأطباء عن شيوع ظاهرة الاجهاض بين الحوامل الكويتيات، بسبب مناخ الرعب، الناشىء عن سياسة الأرهاب السائدة فى البلد!.

أما حال الأطفال فى الكويت المحتلة فحدث عنه ولا حرج، فقد شاع بينهم الخوف المرضى، والأمراض الجسمانية والنفسية، الغير مألوفة لمن هم فى سنهم. فتجد العديد منهم يتهتهون فى الحديث، ويهبون من رقادهم فزعين من «العلاقيين» على حد تعبيرهم الطفولى! فضلا عن معاناتهم اليومية من القلق والرعب، والأرق والكوابيس، التى تزورهم كل ليلة!.

وقد نوهت بكل ذلك على سبيل المثال لا الحصر. لكنى أقولها فى جملة مفيدة، بأن الأطفال والمرابطين مع ذويهم فى الوطن، يحتاجون إلى علاج نفسانى، يحدده المختصون القادرون- بعون الله- على تخليصهم من مخاوفهم المرضية، وجراحهم المعنوية، وميولهم العدوانية، وكل ما يعانون منه!.

وصدقونى- يا جماعة الخير- إذا قلت- كشاهد عيان- بأن محنة احتلال الكويت وآثارها المأساوية، قد طالت الجميع ولم توفر أحدا! فقد رأيت نتائجها الاجرامية فى المآقى الحزينة لعيون الضباط والجنود العراقيين ذوى الضمائر الحية! ولاحظتها فى دموع ونحيب الثكالى والأرامل واليتامى والمفجوعين فى غياب واعتقال عيالهم! وسمعتها

تدوى فى بيوت الله فى قنوت الصلوات الخمس! وشهدتها - مثل الملايين- عبر شاشة التليفزيون مشاهد مأساوية، على وجوه العمالة الوافدة، التى أجبرت- بسطوة القمع وبطش الأرهاب- على مغادرة موطن الكدح الشريف والرزق الحلال تاركة مدخراتها وممتلكاتها، وذكرياتها بحسرة تقطع نياط القلوب! فنزحت العمالة الوافدة الشريفة، وهى تلعن «الذى كان السبب» بكل لغات العالم!.

وصدقونى أيضا إذا قلت بأن هذه المحنة المأساوية، قد أثرت كذلك على الحيوانات والأشجار والمزروعات والبر والبحر وكل ما ومن فى الكويت ويدب على أرضها ويطير فى سمائها ويسبح فى بحرها!.

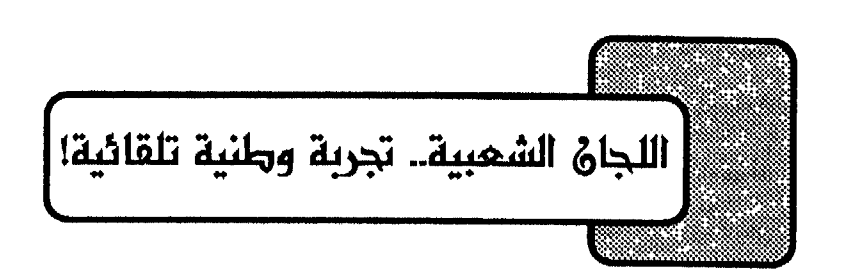
ففى جولة لى بمعية صديق، طفنا خلالها أغلب مناطق الكويت لمشاهدة العجب العجاب.. كما يقولون. فثمة مهرة عربية ضامرة العود تسير متهالكة مترنحة، ويكاد يغمى عليها بسبب الجوع والعطش! فلعلها لم تأكل شيئا منذ أن طردتها عصابات الأرهاب من اسطبلات نادى الصيد والفروسية! وراعنى الحزن الشديد الساكن فى عينيها، حتى خيل إلى أنها مغرورقة العينين، وتنوح بصمت وشموخ!.

أما القطط فقد كانت تموء بأسى واضح، وهى تحوم حول أكياس القمامة، دون أن تعبث فيها كما هى العادة. بسبب اكتشافها، أن الأكياس خالية من بقايا الزاد المعهودة! ولولا اهتمام الأخوة المرابطين باطعامها لنفقت أما الطيور الداجنة المقيمة فى البيوت، فقد غادرت أعشاشها، حين أدركت بفطرتها الربانية، بأن أهالى البيوت قد غادروها، ونزحوا عن الوطن! الأمر الذى اضطرها إلى أن تهج فزعة، وتطير على غير هدى من أثر الصدمة! ولن أنسى مشهد الجمال بحزنها الشامخ النبيل وهى تراوح فى مكانها لا تريم! وكأنها تفكر فى الاغارة على العصابة التى شردتها وحرمتها من صاحبها واستولت على زادها على غير عادة العرب الذين يحبونها وتحبهم ويقدرونها فتتخلص لهم!.

وعلى الطرق السريعة وفى الحدائق العامة والخاصة رأيت صفرة الموت تنفى الخضرة والحياة من الأعشاب والأشجار والمزروعات بعامة. وكم آلمنى مشهد «عطش النخيل»

وقد طأطأت هاماتها قهرا وحسرة! ومشهد الأرض المترعة بالخضرة والخير وقد أحالها جراد النظام العراقى البربرى إلى أرض يباب خراب تفوح منها رائحة العدم والخراب والحقد الأعمى ضد كل مخلوقات المولى سبحانه وتعالى!!.





اللجان الشعبية.. تجربة وطنية تلقائية!

فى ظروف المحن والأزمات يتباين البشر فى نوع ودرجة استجابتهم للتحديات التى تتمخض عنها. فالناس الأسوياء- بداهة- يتصدون لها بالفعل الايجابى، والسلوك الصحى السوى.. وبذا يمكنهم احتواء نتائجها السلبية وآثارها المأساوية المدمرة.

وبهذا المعنى يمكن لنا القول بأن الإنسان الكويتى الذى عاش المحنة بكل ويلاتها ومعاناتها ليس هو نفسه عين الإنسان الذى كان موجودا قبل الثانى من أغسطس «آب ١٩٩٠» تاريخ غزو النظام العراقى واحتلاله لدولة الكويت.

فمن رحم المحنة: ولد بشر جدد وحضرت قيما وعادات وأفعال جديدة.. وتوارت سلبيات وأخطاء وخطايا كانت حاضرة فى نسيج الحياة اليومية بشتى مناحيها.

فالصبى المراهق الذى كان لا هم له سوى التسكع فى الأسواق والتمخطر والعبث بسيارته الرياضية الفخيمة وممارسة البحلقة فى كل انثى تدب على الأرض.

أقول هذا الصبى الهامشى العابث تحول- بقدرة قادر- إلى رجل جاد فاعل يؤدى دوره الحيوى فى الحياة اليومية لمجتمع المرابطين. فاستطاع أن يكون بديلا للعمالة الوافدة بدون أن يكتنفه الاحساس بالتعالى أو الدونية تجاه الإعمال والحرف اليدوية المتواضعة التى كان يؤديها الشغيلة غير الكويتيين.

والمرأة الكويتية التى توصم بالكسل والمنظرة والاتكالية و«البرجزة» وحب التملك وعشق التسوق.. إلى آخر قائمة السلبيات المعروفة. وأثبتت المحنة أن الرأى السابق محصور فى فئة وفصيلة معينة من النساء. وأن غالبية النساء كن «أخوات الرجال» وأثبتن بالفعل والسلوك والممارسة بأنهن يضاهين الرجال فى كل فعل وطنى بطولى! ويكفيهن فخرا ذلك الفعل الفذ الذى رفع هامة الوطن والمواطن.. فعل الاستشهاد! وهو فعل تعجز اللغة عن الاحاطة به.. بل هو لا يحتاج إلى البلاغة الأدبية لأنه ذاته أبلغ فعل إنسانى يمكن أن يقوم به الإنسان المسلم فى حياته.

وكانت الشهيدة تغبط من قبل أترابها ورفيقاتها فى الخلية الفدائية.. وقد سمعت مهرة عربية شيماء شامخة تقول لصديقة لها بأنها تغبط كل بنات الديرة اللواتى استشهدن! وانها تتمنى على الله أن يهبها الشهادة.

والحقيقة أن دور المرأة فى فترة الاحتلال العراقى الغادر كان أشمل من دور الرجل وأشد زخما وأكثر عطاء وايثار وتراحما وتكافلا.

وقبل أن نخوض فى الحديث عن دورها المدهش فى مقاومة العدو ومحاربته. تعالوا- قبلها- نتعرف على مهامها ونشاطها ودورها وحركتها فى الحياة اليومية للمرابطين.

إن ظروف الاحتلال وتحدياته جعلت كافة الكويتيين المرابطين فى الديرة المحتلة

تجمع الأجيال الثلاثة من كل أسرة فى بيت واحد. الأمر الذى أدى إلى أن يكون البيت مثل مساكن أهل الكويت قبل النفط.. حين كان البيت الكويتى الطينى يحضن كل من الجدين وأولادهما وأزواج أولادهما وأحفادهما فضلا عن «حوش الغنم والبقر والدواجن» وما إلى ذلك! وفى شهور المحنة عاش المرابطون الحياة اليومية للكويت العتيقة.. كويت بيوت الطين والكدح والعرق والخشونة والقناعة.. و .. غيرها.

ومن باب «رب ضارة نافعة» تعرف الجيل الجديد من الكويتين على كويت الآباء والأجداد عن كثب.

وقد سبق للجهات المختصة القيام بمحاولات تهدف إلى أن تتواصل كويت اليوم مع كويت الأمس.. وهى محاولات مشكورة على كل حال.. إلا أنها حصرت حضورها فى الفرجة العابرة والطقوس الاحتفالية. ولا مجال للمقارنة بين دور المتفرج وبين دور الفارس الفاعل!.

ففى البيت الكويتى شاهد وشارك الشباب (من الجنسين) فى تسيير خدمات المنزل، فهذا يعجن ويخبز، وذاك يكنس ويسقى الزرع ويطعم المواشى والدواجن! والثالث يتسوق ويحضر اللوازم اليومية. والشايب يغسل المواعين ويتحول إلى جليسة و «بيبى ستر» للرضع والصغار!.

والحجية «أمنا العودة» [1] تفز من فراشها قبل الفجر.. تصطبح بتلاوة آى من ذكر الحكيم.. ثم تتفقد دواجنها وبيضهن وتحلب المعزة أو البقرة وتطعم «الفريخات» من «الغبيبة» [2] وتقطف عثقا من النخل الذى يحضن البيت من كل صوب. تعد خبز الرقاق وتغلى القهوة العربية. ومع آذان الفجر يصحو الجميع ملبين النداء.. ومن ثم تدب الحركة فى البيت الكبير وتشيع روح السعى فى الأرض.. اثر تناولهم طعام الفطور! لا أحد بدون شغل. ولا منة أو غضاضة أو ترفع إزاء أداء أى شغل! ففى

(١) أمنا الكبيرة كالجدة. (٢) الطعام البايت.

الحركة بركة.. كما يقال.

فى الكويت المحتلة «تكوت» كل شيء.. فقد فرضت التحديات استجابة التكويت.. وهكذا كان.. صار الخباز من الديرة والحال نفسه ينسحب على أغلب المهن والحرف. والكل متطوع ويبغى الأجر لا الأجرة! ولا أحد يفكر فى مكاسب أو امتيازات. والذى يسلك هذا المنحى ينكشف أمره بسرعة مثل فضيحة البقعة السودة وسط الدشداشة البيضاء من غير سوء!.

❋ ❋ ❋

محنة الاحتلال وفعل المرابطة

إن موقف واختيار فعل المرابطة يمثل تجربة نضالية سلمية إنسانية فريدة ثرية متميزة بكل ما فيها من تحديات واجابات ومواقف واحباطات وتضحيات وبطولات وانتكاسات ومواجع ودموع وأمل وثقة بالله.. وغير ذلك.

وحين أذكر المرابطين، فى أى سياق يردون فيه، فأنى أعنى- بالضرورة- كافة المرابطين، على اختلاف أعمارهم وثقافاتهم واختياراتهم الفكرية. أقول ذلك: لأن هناك من يحاول سرقة الاسم وتجيير الفعل ونسبته إلى جماعتهم! على الرغم من أن المرابطة: اختيار عفوى، وفعل جماعى يمثل الاستجابة الجماعية، التى تصدى بها الشعب لتحدى الاحتلال العراقى وممارساته الإجرامية.

ومن خلال اللجان الشعبية المتواجدة فى كافة المناطق السكنية، تكون ما يشبه القيادة الشعبية الجماعية لمرابطى كل منطقة.. وقد يحدث أن يكون بعض أفراد اللجنة الشعبية ينتمون إلى إتجاه سياسى واحد.. لكن ذلك لا يعنى ارتباط حركة المرابطين

بحزب أو إتجاه سياسى دون غيره.. وان حاول البعض- الايحاء والتصريح- بأن المرابطين هو الاسم الحركى المستتر لجماعتهم!.

* والحق أن عامة المرابطين- من المواطنين والمقيمين- يعرفون الجنود المجهولين الذين تطوعوا لتسيير قطاع الخدمات العامة طوال أشهر المحنة على الرغم من أن المتطوعين لا يبحثون عن المجد والشهرة، وليس فى بالهم أى مطمع دنيوى البتة. حسبهم أن ينالوا الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى. ومن هنا فقد كانوا يمارسون مهامهم بمنأى عن الأضواء وبدون الأحساس بالمنة! فنراهم يسهرون الليل، ويكابدون المعاناة القمعية من عصابات السلطة المحتلة، دون ملل أو خشية، لأن عطاء المتطوع يختلف- بالضرورة- عن عطاء الموظف المرهون بساعات الدوام واغراءات الترقيات والدرجات والعلاوات و «الإضافى» وغيرها من الحوافز! ولذا تجد عطاء المتطوع متواصلا ليلا ونهارا، يحافظ فيه على زخمه وحماسه بجذوة روح التطوع ليس إلا.

وهكذا عاشت الكويت المحتلة- طوال أشهر الاحتلال- بدون أن تغيب عنها الخدمات العامة التى كانت تقوم بها المرافق والشركات والمؤسسات الحكومية والأهلية. فعملية تأمين وصول المياه إلى عامة السكان- مثلا- قام بها جنود مجهولون من المهندسين والتقنيين والإداريين الكويتيين والمصريين العاملين فى وزارة الكهرباء والماء. وقد تولوا هذه المهمة دون أن يساعدهم المحتلون العراقيون. فقد انحصر دورهم فى تنصيب مدير عام عراقى «لا يهش ولا ينش» أو يحرك ساكنا! حسبه التربع على كرسى الإدارة والبحلقة فى التقرير اليومى الخاص بمخزون المياه فقط.

أما نظافة الديرة: فقد قام بها شباب وشياب كل منطقة. بغض النظر عن حسبهم ونسبهم، وأصولهم القبلية ومواقعهم الاجتماعية، ومناصبهم المهنية! فكنت تجد فيهم أستاذ الجامعة وبمعيته عدد من طلابه، فضلا عن المحامى والمهندس والطيار المدنى، والمدير العام والتاجر.. إلخ. وكانوا يؤدون هذه المهمة بروح رياضية خالية من «العقد» اياها! والتى تكمن فى النظرة الدونية أو المتعالية لمهنة الزبالة والزبال. ومن هنا لم

تجافى الحقيقة أو نبالغ حين ذكرنا آنفا بأن إنسانا كويتيا جديدا قد ولد من رحم المحنة ومعاناتها وتحدياتها واستجاباتها.

وهذا مخلوق- فى تقدير العبد لله- يصعب عليه- أن لم أقل يستحيل عليه- التعايش والعيش فى ظل المناخ والظروف والتقاليد الغير سوية والغير صحية والتى كانت سائدة فى كويت النفط.. إلى تاريخ ٢/ ٨/ ١٩٩٠!.

إن تجربة المرابطة فى الكويت المحتلة، فعل عفوى جماهيرى اختاره الكويتيون- جميعهم- على مختلف مذاهبهم الدينية، ومعتقداتهم الفكرية، واجتهاداتهم السياسية.

ولعل القارىء يلاحظ أن الكاتب يلح كثيرا على هذا المعنى ويكرره فى مواقع عديدة من هذا الكتاب. لأن الوجود الإعلامى الكبير فى الكويت المحررة دفع البعض إلى التصريح والتقرير بأن فعل المرابطة من صنعهم.. وكأن الديرة ستضيع لولا جهودهم ونشاطهم وفعلهم!!.

بالطبع نحن لا ننكر دورهم.. ولا نبخسهم حقهم فى العطاء والفعل.. كل ما فى الأمر هو أننا نود دحرجة جملة اعتراضية تضع النقاط على الحروف موضحة بأن المرابطة فعل واختيار الجميع وليس «الجماعة». والذى يزعم غير ذلك فهذا شأنه. لكننا نأمل بألا يثور إذا نعته الجميع بشاهد الزور! أو إذا شهروا عليه أسنة ذاكرتهم وأدلة أفعالهم الموثقة بشهادة المائتى ألف مرابط!.

ومن تجربة العبد لله الشخصية كعضو فى «اللجنة الشعبية لمنطقة كيفان» يمكنه القول بأن اللجنة لم يستأثر بعضويتها جماعة سياسية دون أخرى.. بل كانت تضم كافة الإتجاهات المتواجدة فى المنطقة. أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (عبد العزيز يوسف العدسانى، أحمد عبد العزيز السمكة، خالد عبد الغفور تيفونى، د. بدر الشيبانى، د. بدرالوهيب، جاسم عبد العزيز العون، عبد العزيز الشايع «بو معاذ»، عبد الله العساكر، محمد الشيبانى، صالح المزينى «بو مشارى»، د. عادل الصبيح،

براك الصبيح) وغيرهم.

وهى أسماء تدلل على أن اللجنة تحضن كلا من (جمعية أحياء التراث الإسلامى) «السلفيين»، جمعية الإصلاح (الاخوان المسلمين) فضلا عن المستقلين.

وكان الأخ «جاسم العون» هو الذى يرأس اللجنة واجتماعاتها.. وأذكر أنه هو، الذى قام بالاتصال بنا لاستمزاج رأينا فى الانضمام إلى اللجنة، وهذه معلومة لابد من التنويه بها.. لأن الأخ «العون» كان يمكن أن يكون «فرعون» ويستأثر هو وجماعته من السلفيين بعضوية اللجنة.. وكان فى مقدوره أن يفعل ذلك.. لأن «كيفان» موطنة الانتخابى.. ولأن مريديه فيها كثيرون. لكنه- وجماعته- اختاروا الشورى أساسا لمعمار اللجنة الشعبية لمنطقة «كيفان». والشورى- بداهة - لا تتحقق إلا فى حضور التعددية السياسية الممثلة لكل أو لجل الإتجاهات والاجتهادات. وهذا الاختيار «التعددى» لمعمار «لجنة كيفان الشعبية»، حرض الكثير من المناطق على الاقتداء بها، وأضفى عليها حيوية وزخما فى التفكير والتقرير واختيار المبادرة الضرورية، فى الوقت المناسب وغير ذلك مما سيتضح فى ثنايا متن هذه الذكريات.

وكانت اللجنة الشعبية لمنطقة كيفان تضم فرق العمل واللجان الفرعية التالية:

١- لجنة التموين والاعاشة.

٢- لجنة التوعية والإعلام.

٣- لجنة الصحة العامة.

٤- لجنة الجمعية التعاونية.

٥- فريق عمل الفرن الآلى.

٦- فريق عمل المخابز الشعبية.

٧- لجنة الصدقات والزكوات.

٨- فريق النظافة.

٩- لجنة الخدمات العامة.

١٠- لجنة الطوارئ».

وكل فريق عمل أو لجنة فرعية تضم العشرات من المتطوعين «من الجنسين، حيث مارست المرأة دورها بجدارة فى أغلب الأنشطة والمجالات.

وكانت اجتماعات اللجنة الأم واللجان الفرعية تعقد فى مسجد سعد بن وقاص بالمنطقة.. ثم ارتأى عقدها فى بيوت بعض الأعضاء درءا لخطر العيون والجواسيس!.

فقد كانت «كيفان»- مثل غيرها- مسورة بنقاط التفتيش، ومراقبة بدوريات الأمن والاستخبارت التى تجوب المنطقة ليل نهار، ومهددة بقوات الجيش الشعبى والنظامى التى احتلت المدارس والمنازل الخالية والمسكونة.. وبخاصة تلك التى تقع على الطرق والمنافذ الرئيسية. أضف إلى ذلك عشرات- وربما مئات- الجواسيس المزروعين فى كل حى وقطعة سكنية!.

ومن هنا فإن كل اجتماع تقوم به اللجنة الشعبية- فى أى منطقة سكنية- كان يشكل خطورة على أعضائها.. لكن الربع اتخذوا الحيطة والحذر وهم يسكنهم اليقين بأنه لن يحدث لهم- بعد الأخذ بالأسباب- إلا ما قدر لهم. سيما و أن «الأخوة الأعداء» يعتقلون المواطنين بالشبهة والمظنة وبدون الحاجة إلى ذريعة! ولهذا السبب- وغيره- أعدم واعتقل العديد من أعضاء اللجان الشعبية ومن الجنود المجهولين العاملين فى كافة أنشطتها وأعمالها!.

وقد تمكنت هذه اللجان من إدارة وتسيير الخدمات اليومية لمجتمع المرابطين فى الكويت المحتلة.. وحافظت على استمرار حركة العصيان المدنى. وعلى تواصل المقاومة السلمية وشحن «بطاريات» الروح المعنوية للأهالى الصامدين.. إلخ.

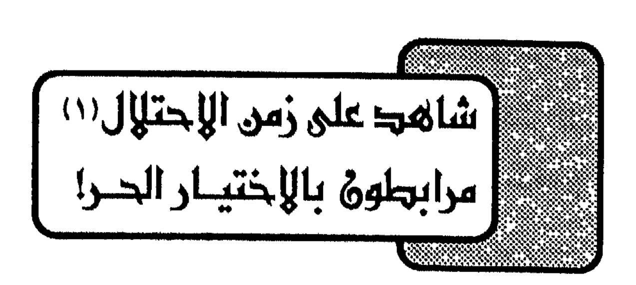
ولم تكن حركة المقاومة الوطنية العسكرية مقطوعة الصلة باللجان الشعبية فى

كل منطقة سكنية، فثمة علاقة تعاون وتنسيق كانت تتم عبر رؤساء اللجان.. أو أحد أعضائها. سيما أن مهام هذه وأنشطتها تستوجب مثل هذا التعاون والتنسيق.

ومن هنا تمكنت اللجان الشعبية من تسيير الخدمات الحياتية اليومية.. وتواصل حركة العصيان المدنى الرافض للاحتلال الغاشم.. وحماية الرهائن الأجانب وإخفائهم فى حضن الشعب الكويتى المرابط.. وما إلى ذلك من أفعال سنأتى على ذكرها وسط سياقها الموضوعى.

والعبد لله ينتهز مناسبة الحديث عن اللجان الشعبية ليدعو الأخوة رؤساءها وأعضاءها للأدلاء بشهادتهم لأن ذلك من حقهم وواجبهم.





* عصرية الأربعاء ١/ ٨/ ١٩٩٠ هبطت الطائرة السعودية القادمة من الرياض مدرج مطار الكويت.. عدد الركاب قليل.. إذ ليس من المألوف فى هذا الوقت من السنة زيارة شاب سعودى أقاربه وأصدقاءه فى الكويت. لأنه يمثل الفترة التى تخلو فيها البلاد من غالبية السكان.

يهبط «أحمد محمد الكعكى» من الطائرة، وبعد انهاء الإجراءات يمتطى تاكسيا ليطير به إلى «الشيراتون»، وقبل أن يتأكد من وجود غرفة خاوية من مكتب الاستقبال، يهتف إلى أصدقائه وأقاربه، بعد ربع ساعة كان يغادر الفندق، بعد أن ترك فيه شنطته، وراح بمعية اثنين من الأصدقاء إلى كيفان، حيث يقع مسكن أحد أقاربه وأصدقائه الحميمين. يهبط الثلاثة سرداب البيت الواسع القديم البناء- يضج السرداب بفرحة اللقاء بين الأصدقاء المعجونة بالتندر المعهود بين الربع (ايش جابك الكويت فى ها الحر)؟! جاى أشوف وجوهكم الجلحة الملحه[2] لمدة يومين بس وسأعود عصرية

---

(١) نشرت فى صحيفة ٢٦ فبراير فى شهر مارس ١٩٩١. أول صحيفة تصدر بعد تحرير الكويت مباشرة.

(٢) القبيحة.

الجمعة- إلى الرياض- إن شاء الله يوم الجمعة الجاية؟! لا.. مو معقول! خليك معانا كام يوم.. باكر رايحين الشاليه.

* ألغى الشباب فكرة الذهاب إلى الشاليه واستعاضوا عنها بالنادى البحرى. فى الواحدة بعد منتصف الليل عاد إلى الفندق على وعد بالإنتقال إلى دار أحد الربع فى الغد، وهكذا جرى الاتفاق على أن يمروا عليه فى العاشرة صباحا لتمضية النهار، فى النادى البحرى، نام أحمد ليلتها نوما عميقا، لأنه لم يهمد أو يرتاح مذ ساعة وصوله، صحا على صوت التلفون.ألو نعم.. ايش تقول؟ مين هما اللى دشوا[1] عليكم واحتلوكم بالليل؟! قول كلام غير ذا ؟! المهم الآن: اجمع ملابسك واغراضك وسنكون عندك بعد نصف ساعة خلك «زاهب»[2] ترى الدينا مقلوبة والواحد ما هو عارف رأسه من «كرياسه» فى أمان الله. يلملم أحمد أغراضه وملابسه بسرعة، ويهبط إلى الاستقبال فيجد «اللوبى» مكتظا بحشد من الرجال المفتولى العضلات الذين تشى نظراتهم ومسدساتهم البارزة أنهم من رجال الأمن والمخابرات! هكذا حدس الشاب السعودى «أحمد الكعكى». وحين وقف أمام مكتب الاستقبال لدفع الحساب والذى منه.. فوجىء باثنين من الذين سلف ذكرهم يحيطون به. ثم ينهالان عليه بالأسئلة. من أنت؟ سبب حضورك؟ لم سكنت هنا ؟ أين جواز سفرك ولحسن حظه أن موظف الاستقبال اللبنانى تدخل بطريقة توحى لرجال المخابرات بأنه زبون قديم ومعروف لديهم! وهكذا نفذ «أحمد» بجلده من «السين والجيم» وربما الاعتقال.

* ولكنه حين وجد نفسه وسط الشباب «الربع» الطافحين بالغضب قرر ألا يغادر الكويت إلا حرة كما كانت! وحبس قراره فى صدره، فكلما خبروه بأن قافلة من السيارات ستعبر الحدود إلى السعودية والتى يمكنه السفر بمعيتها تعلل بأى عذر! وفى خلال الشهر الأول من الاحتلال الغاشم، كانت المقاومة الوطنية العسكرية عفوية وشعبية

(١) دخلوا عليكم.

(٢) جاهز ومستعد.

شاملة لكل محافظات ومناطق الكويت، وأكاد أقول بأنه في المنطقة السكنية الواحدة أكثر من فصيل وفرق للمقاومة العسكرية! وهو «تكتيك» عفوي يعبر عن انفعال الشباب بمحنة الاحتلال وتحدياتها. وعن استجابتهم لهذه التحديات بفعل المقاومة المسلحة.

وقد ساعد التكتيك العفوي على إرباك استخبارات السلطة المحتلة لكنه في الوقت نفسه: حرضهم على دوام مداهمتهم للبيوت، واستباحة حرمتها واعتقال من يروق لهم اعتقاله! لأن ذريعتهم التي يعتمدون عليها في اعتقال مرابط تكمن في الشك فيه! فكل مرابط معرض للاعتقال بسبب أو بغيره، وبذريعة أو بدونها، وهذا المنحى التعسفي في الارهاب والقمع والاعتقال والإعدام والتعذيب وكافة الممارسات الإجرامية الصادرة عن السلطة العدوانية المحتلة: حرض كافة المرابطين على شحن موقف المرابطة بفعل المقاومة والصمود والصبر وعدم الخضوع لأي وسيلة أرهابية قمعية، مهما كانت وطأتها! وهذا يفسر التعذيب الوحشي الذي لا نظير له: المتجسد على وجوه وأجساد العديد من أسرانا ومعتقلينا وشهدائنا الأبرار.

إن السلطة الارهابية المحتلة لا تحفل بحقوق الإنسان.. ولا تعرف سوى شريعة الغاب! نقول ذلك مع الاعتذار الشديد لشريعة الغاب بالطبع! لأن الممارسات الإجرامية التي تعرض لها المرابطون بعامة، والأسرى والمعتقلون بخاصة، تجاوزت حدود شريعة الغاب ووحشية البهايم المفترسة.

إن الشاب السعودي «أحمد محمد الكعكي» ليس حالة خاصة فريدة ولله الحمد.

فثمة آلاف من الأخوة العرب والمسلمين وغير المسلمين كانوا يرغبون في البقاء والمرابطة هنا.. ولكنهم رابطوا هنا مدة شهرين ثم غادروا في أمان الله ليكونوا شهود إثبات على جريمة الاحتلال وتداعياتها المأساوية وثمة مئات وآلاف مثل «أحمد» في الموقف والاختيار من مختلف الديار العربية والإسلامية.. بل والأجنبية الصديقة.. يجمعهم عامل مشترك واحد هو اختيارهم للمرابطة مع أهالي الديرة تعبيرا وتجسيدا

لموقفهم المنحاز للحق ضد الباطل! ومن هنا كنت تجد الكثيرين منهم الذين يخالفون- بهذا الموقف- سياسة النظام الذى يحكم بلادهم المنحازة مع الباطل ضد الحق! ولابأس عليهم من هذه المفارقة! لأنها تشين وتدين الباطل والمنحازين اليه. ان الباطل كان زهوقا لكل الشرفاء الذين رابطوا معنا.. وشاركونا معاناة المحنة.. وفرحة التحرير وعودة الشرعية.

سليمان الفهد



مواطنون بالفعل!

عيب التاريخ والمؤرخين الأزلي يكمن في أنهم لا يذكرون سوى سيرة القادة والزعماء والأبطال المعروفين والنجوم المشهورين وينسون ويتناسون دور «الجنود المجهولين» الذين أدوا مهام بطولية فذة، وقاموا بأعمال إنسانية رائعة، ولم يكفوا عن الفعل والعطاء طوال أشهر محنة الاحتلال الغاشم. وما زالوا مستمرين في ذلك المنحى.. لأنهم مسكونون بروح العمل التطوعي وفعل الخير للوطن والمواطن والمقيم!.

لهؤلاء الجنود المجهولين سيكرس العبد لله شهادته! مع كامل تقديره واحترامه لدور القادة والزعماء والأبطال المعروفين وأمثالهم.

في الصباح الباكر لثاني أيام التحرير امتطيت سيارتي وطرت بها صوب «الجهراء».. وفي الطريق كنت أفكر في ذلك المثل الذي يقول «الشر يعم والخير يخص» وكيف أن الذي صاغه كان انسانا يتسم بالحكمة والمعرفة بخبايا النفس البشرية الامارة بالسوء.. فالمثل يعبر عن عادة التعميم الضارة التي تستحوذ على عقول البعض منا! فتراهم يعممون التهمة والوصمة على الكل والجميع لمجرد أن فئة شاذة منحرفة من هذه

---

(١) نشرت في صحيفة ٢٦ فبراير في شهر مارس ١٩٩١.

الجماعة أو تلك وقعت فى مستنقع الخيانة والغدر والتعامل مع أعداء الوطن! أى أنهم يصمون الكل بجريرة البعض! وهو- كما ترى- تعميم خاطىء ظالم لا يرضاه المولى سبحانه وتعالى.. ولا تقره الشرائع السماوية ولا الأعراف والقوانين الوضعية الأرضية!.

وبهذا المعنى لا يمكن أن نحاسب ونتهم ونصم الشعب العراقى بوصمة الغدر والأرهاب والقمع والاستبداد والسلب وكافة الممارسات الاجرامية التى قامت بها عصابات المنظمة السرية التى تتحكم بالعراق الشقيق وتجثم على كاهله منذ أن تربع على كرسى رئاسة المنظمة «الرئيس المهيب»! ومن هنا لا يجوز ادانة شعب بكامله بجريرة جرائم قائد أرهابى مستبد وزمرته الباغية امتثالا للقانون الربانى العادل المتجسد فى قوله سبحانه وتعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى». أقول ذلك لأن البعض منا- لسبب أو لآخر- أعمى بصيرته الغضب والرغبة فى الثأر الفورى والقصاص المتعجل فنصب نفسه قاضيا وراح يزهق الأرواح البريئة بدافع التعميم السىء الذكر.

إن «الأخوة الأعداء» يعرفون شيوع عادة التعميم لدى البعض منا.. ولذا راحوا يشيعون عن الأفراد والجماعات والفئات والجاليات التى ترفض التعاون معهم تهمة العمالة والخيانة.. معتمدين على منطق «الشر يعم والخير يخص».. ومتكىء على الفصيلة التى تستحوذ عليها فكرة التعميم الخاطىء الظالم.

وفى هذا السياق فقد وقع الظلم على فئات بكاملها لمجرد أن حفنة شاذة من أفرادها قد خضعت لترهيب وترغيب استخبارات المنظمة السرية الأرهابية أياها.

ورب متسائل: لم ذهبت إلى الجهراء قبل غيرها من المحافظات والمناطق؟! فأقولها لأنها تضم فى بيوتها الشعبية الطينية مئات الأسر وآلاف المواطنين بالاختيار والولاء والانتماء والفعل والموقف. أى نعم هم من الناحية الادارية غير كويتيين و «بدون» جنسية كويتية، إلا أنهم كويتيون «قول وفعل» ولا يقلون عن بقية المواطنين المرابطين عطاء وتضحية وفداء وانتماء للأرض التى حضنتهم فولدوا وترعرعوا وتعلموا وتزوجوا وعاشوا فيها عشرات السنين لا يعرفون وطنا غير هذه الديرة ولا ينكرون

أصولهم القبلية فضلا عن أن أهل الجهراء القدامى يعرفونهم عن كثب ولا يقولون فيهم سوى كلمة الحق والخير والعدل التى تزكيهم وتشهد لهم بأنهم مواطنون بالاختيار والسلوك والفعل والانتماء والولاء!.

وقد تعرضت هذه الفئة الخيرة إلى شتى أنواع القمع والإرهاب والتنكيل... الخ سعيا إلى استمالتها للوقوف مع أعداء الوطن... لكن جميع مساعيهم تحطمت أمام صلابة وعناد موقفهم واختيارهم الرافض للاحتلال و «الضم» المنحاز بشدة وصدق لقضية الوطن العادلة. ويعلم الله أنهم اختاروا هذا الموقف بعفوية واستجابة المواطن الغيور على موطنه.. بدون أن يدور فى خلدهم أى مطمع دنيوى سوى أجر وثواب المولى سبحانه وتعالى.

ولا أذكر مرة زرتهم فيها- بمعية بعض الأخوة المواطنين المرابطين- أنهم طلبوا منا حاجة مادية، على الرغم من علمنا بمعاناتهم القاسية فى حياتهم المعيشية. فإذا سألناهم عن حالهم ردوا: بالحمد والشكر.. وأنه لا شىء ينقصهم سوى شوقهم إلى رؤية الأرض التى حضنتهم حرة ترفرف على مرافقها بيارق الشرعية وأعلام النظام الدستورى بقيادة سمو الأمير وسمو ولى العهد. سيما وأن تحرر البلاد سيتيح لهم رؤية آبائهم وأخوتهم وأقاربهم الأسرى والمعتقلين مع بقية المواطنين بالميلاد والجنسية والانتماء.. والولاء!.

وإلى باكر... نراكم على خير.

سليمان الفهد



ديوانيــة

المرابطين



الديوانية فى الحياة اليومية الكوتية

الديوانية فى الكويت ومنطقة الخليج العربى وشبه العربية، هى مجلس الرجال اليومى ومقهاهم ومنتداهم، الذى يختلفون إليه مساء وليلا، للقاء الجيران والأصدقاء والأقارب وغيرهم. وثمة «ديوانيات» مكرسة للشباب والمسنين، تشرع أبوابها بعد صلاة الفجر، حيث يتردد عليها العواجيز والشباب الذين اعتادوا الصحو مبكرا لأداء الصلاة.

وحضور «الديوانية» فى الحياة اليومية للمجتمع الكويتى، أكثر زخما واستمرارا من غيره من المنتديات. ولذا تجد الإنسان الكويتى يرتادها يوميا إلى درجة أن بعض الزوجات المتعلمات يعتبرن الديوانية الضرة التى تشاركها فى زوجها وتستأثر بفراغه واهتمامه كما الزوجة الجديدة!.

والحق أنه يستحيل النفاذ إلى المجتمع الكويتى ومعرفته وسبر غوره، بدون المرور والتردد على «الديوانية» لأنها أحد أهم مفاتيحه!.

ومن هنا تجد أن زوار البلد، من باحثين واعلاميين وأمثالهم، يحرصون على

الاختلاف إليها وزيارتها مرات عديدة. حيث يجد فيها الزائر ضالته وبغيته، من خبر ومعلومه ورأى واشاعه ونكتة.. الخ. ويتعرف من خلالها على شئون وشجون وهموم الناس والمجتمع.

وهذا الحضور الشديد للديوانية الكويتية، غير موجود فى الحياة اليومية للمجتمعات العربية فى ديار الخليج والجزيرة العربية.. والتى تقلص فيها دور وحضور الديوانية، أثر تفجر النفط فى أراضيها وما أعقبه من انقلاب فى العادات والتقاليد والقيم. صحيح أن الكويت قد مرت- مثل غيرها- بمثل هذا الانقلاب. لكن الديوانية- مع ذلك كله- ظلت راسخة الجذور! فلم تقدر معاول «التثمين»[(١)] على هدم معمارها وتقويض وجودها وحضورها اليومى العريق!.

ولعل «الديوانية» قد حافظت على دورها ووجودها فى ظل الكويت المعاصرة، بحكم حاجة المواطنين إليها، وبسبب حرصهم على استمرار حضورها، لأنها وسيلتهم الموروثة عن كويت بيوت الطين والكدح والسعى فى الأرض والبحر والغوص والسفر والأجداد، للتواصل والاتصال بين الأهالى بكافة أعمارهم وطبقاتهم، وتباين أفكارهم واجتهاداتهم!.

ومن هنا كان من البدهى حضور«الديوانية» فى أوساط مجتمع المرابطين ابان الاحتلال العراقى «الصدامى» الأرعن. فكنت تجد الرواد يتربعون على الكراسى الخشبية التقليدية، وهم يحتسون الشاى والقهوة العربية، ويتبادلون الأخبار والمعلومات والأحاديث و «السوالف» والتنظيرات، فى القضايا الحيوية الوطنية والعربية والدولية. ولا بأس- وسط هذا كله- من نكتة ومزحة وطرفة تثير الابتسام أو القهقة!.

ويبدو أن الكثيرين من ضباط وعسكر قوات الاحتلال يجهلون ظاهرة «الديوانية» الكويتية ولا يخبرونها أو يفهمونها البتة! لذا فإنها كانت تحظى بالكثير من بحلقتهم وريبتهم، وتفتيشهم ومداهماتهم واعتقالاتهم، ومضايقاتهم وتطفلهم، الذى لا يعرف الملل ولا الكلل!.

---

(١) الاشارة هنا إلى معاول المقاولين التى قوضت معمار منازل ومرافق الكويت القديمة التى استملكتها الحكومة ابان عقد الخمسينيات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



في السما غيم

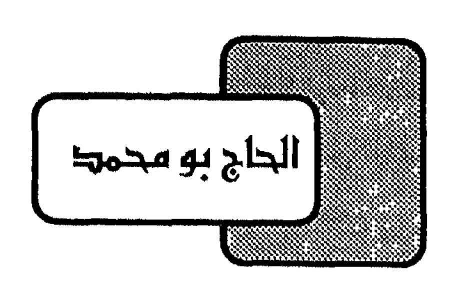
فترى القيادى الحزبى الكبير أو الضابط صاحب الرتبة العالية، يهبط من سيارته وهو مدجج بكافة الأسلحة، وبمعيته حشد من الجنود المدججين - هم الآخرين - بالسلاح وعدة القمع والإرهاب! ولا حاجة إلى القول بأن الربع فى الديوانية كانوا يتابعون بعينى الصقر موكبه الامبراطورى «المهيب!» الأمر الذى يمنحهم فرصة تغيير دفة الأحاديث الحميمة السرية إلى منحى «السوالف» العادية التى لا ريبة فيها ولا أسرار ولا يحزنون!.

وقد يهفو أحد الحاضرين بعبارة أو كلمة تشى بخبر أو معلومة، لكنه يبادر يبلع ريقه ومن ثم يئدها فى التو والحال، أثر بحلقة الربع فيه بعين التحذير والتنبيه و «فى السما غيم يا المحفوظ بالسلامة» فتمر الهفوة على خير! ويتنفس رواد المجلس الصعداء!.

يجلس الضابط أو الحزبى القيادى ويحيط به الحراس من كل صوب! لم السلاح والحرص وأنت وسط ناس عزل لا يضمرون لك شرا؟! أنه شعور الإنسان الخائف المتوجس من رفاقه، ومن أهالى الديرة المحتلة، ومن نفسه المضطربة الخاوية من اليقين بعدالة

قضيته ولا أغالى إذا قلت بأن المرابطين العزل يشعرون بأنهم أقوى من الضباط والجنود الاحتلاليين المدججين بالسلاح وعدة الأرهاب! لأن المرابطين مدججون بعناية الله سبحانه وتعالى ورعايته، ومسلحون بيقين عدالة قضيتهم وحتمية دحرهم للمعتدين المحتلين بمشيئة الله وقدرته، لأن الله سبحانه وتعالى حق وعدل. وفى مقدور العبد لله التدليل على ما ذهب إليه بعشرات ومئات الشواهد التى تجسد قوة ويقين وثبات الحق والعدل، وضعف وشك واضطراب البغى والظلم!.

وسيرد فى سياق فصول هذا الكتاب العديد من الأمثلة المؤكدة لصحة مزاعم العبد لله. وحسبى الآن أن أذكر هذه الواقعة التى حدثت فى الديوانية.



ففى صبحية يوم من الشهر التاسع «سبتمبر ١٩٩٠» طب علينا القيادى الحزبى «بو محمد» بينما نحن نتربع على الكراسى فى أحدى «ديوانيات» منطقة «كيفان». ولأننا فى الصيف ولا نرغب فى القبوع داخل الديوانية الداخلية، فقد اخترنا الجلوس على المقاعد المرصوصة على الرصيف المخضوضر بالعشب والتواصل!.

كان «بو محمد» أصلع ويلبس الزى العسكرى، ويتمنطق بمسدس مفتوح الجراب ويسير مترنحا على طريقة «الرئيس المهيب» بينما يحيط به الحرس من كل صوب! يدحرج السلام وأصابعه تعبث بجراب المسدس! يصر على مصافحة كل الحاضرين. يهمس أحد الربع «جنه[1] هذا راح يرشح نفسه» هس! يقولهاواحد آخر. يلوذ الجميع بالصمت. وكأنهم فى حالة حداد! يكح أحد المسنين.. فيتبعه كم واحد بكحة التداعى!.

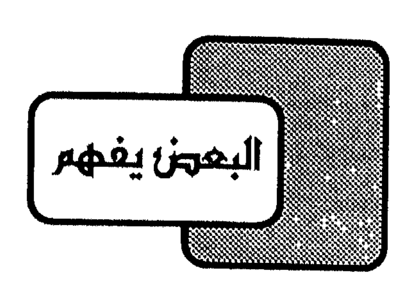
وقد اختار القائد الحزبى أن يقدم نفسه باسم الحاج «بو محمد»، وأن يشير إلى أنه انسان ورع تقى يصلى ويصوم ويزكى، فضلا عن أنه قد حج واعتمر هذه السنة! قال واحد هامسا: وهل هذه المعلومات تستأهل الاشهار؟ لم يصر هذا الرجل على أن يخبرنا

(١) كأنه.

بتحصيل الحاصل؟! لا حول ولا قوة إلا بالله! زدنا «ياشيخ علام؟!» يتقيأ القائد الحزبى- اثر ذلك- سلسلة من الأكاذيب الجوفاء، بشأن الحق التاريخى للعراق فى الكويت، وعودة الفرع إلى الأصل، وما إلى ذلك من الترهات والمحفوظات العبثية المضحكة! بينما وجم الجميع من أسلوبه المتهافت الرخيص فى الحديث وغسل المخ، والدعاية الطافحة بالأكاذيب ولوى الحقائق، والوقائع والدس واللمز والغمز الذى لا طائل منه، سوى اهدار الوقت عبثا! ويستمر ويستطرد فى حديثه الفج الممجوج، بينما ينفض عنه رواد الديوانية واحدا تلو الآخر، بطريقة بينه الدلالة على رفض منحاه فى الحديث! وساعتها- بس- ينتبه «حضرته» إلى أن القوم طفقوا يتسللون من المجلس تباعا، بحيث لا يبّقى فى حضرته سوى بعض المسنين المصابين بطول البال وضعف السمع!.

وقد اعتاد هذا الانسان القمىء التردد على الديوانية كل صباح، بدون أى احساس بالغضاضة وكأنه محل ترحيب من الربع رواد الديوانية! ولو كان انسانا بصيرا لشاهد الغضب فى عيون الأهالى وأفعالهم وسلوكهم. لكن غسيل المخ المترع بالحقد الأعمى قد أعمى بصرهم وبصيرتهم!.

وقد شهدت «ديوانيات» المرابطين مداهمات وزيارات تطفلية قام بها ضباط وجنود الأمن والاستخبارات والعديد من قيادى الحزب الحاكم فى العراق «الصدامى» الأرهابى! ولشهادة الحق فإن البعض منهم كانوا يعلنون لرواد الديوانيات معارضتهم لغزو الكويت واحتلالها، فضلا عن عدم قناعتهم بعدالة وجودهم هنا، واحساسهم بأن النظام الأرهابى الديكتاتورى الذى يجثم على العراق الشقيق سيوردهم التهلكة والخذلان.



وكان هذا البعض المتعاطف مع الكويت والكويتيين، يرتاد الديوانيات فى الأوقات التى يعرفون أنها لا تتم فيها مداهمات... وكانوا يزودون الحضور بالمعلومات والأخبار والأسرار. كأن يأتى أحدهم- خفية- إلى الديوانية، ثم يدحرج على السامعين معلومة بشأن بيع البنزين للسيارات المرقمة بنمر عراقية، وأخرى بشأن معادلة الدينار الكويتى بالدينار العراقى الذى سيكون العملة الوحيدة فى السوق، وغير ذلك من الأخبار والوقائع والقرارات «الهمايونية» التى ما أنزل الله بها من سلطان!.

والعادة أن الربع لا يعولون كثيرا على مثل هذه النوعية من الخدمة المعلوماتية، لأنها قد تكون طعما أو بالونه اختبار، لمعرفة رأى الجماعة فى مسألة ما! ولذا: فقد كانت المعلومات لا تؤخذ بعين الاعتبار التى تليق بها! كأن يتعمد نسيانها واهمالها، بدعوى أنها مسربة إلينا لأمر ما، وبالتالى لابد من التعامل معها بحذر ومتابعة وتحليل. وهذا المنحى صحى وأمين. ويمكن أن يجنب الجميع، أى أضرار أرهابية أو سلبية وما إليهما!.

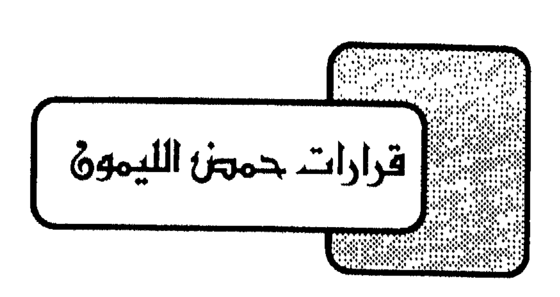
أما الضباط والجنود الأكراد والتركمان فقد كانوا يزورون الديوانية- أى ديوانية-،

وتجدهم يتصرفون فيها وكأنهم يخبرون ويعرفون الربع وأهله، فيصبون لأنفسهم الشاي والماي والقهوة، وإذا توفر في المكان بطيخة سفحوها في طرفة عين، وهم يزأرون بصوت الرفض الغاضب، ضد سياسات وممارسات العصابة الأرهابية التي تحكم في العراق! وأذكر أن مجموعة مسلحة كردية جاءتنا الديوانية لأول مرة. وقد ظلوا في السيارة الواقعة بحذاء موقد الشاي والقهوة العربية... ثم أطلوا من الشبابيك وطلبوا شاي وماي، بعد أن ألقوا بالسلام! ثم صرخوا بصوت واحد «ستكانة[1] شاي سنجيل[2] من فضلك! انجذبت إلى صدقهم وعفويتهم وبساطتهم، ولفت نظرى أنهم ختموا جملتهم المفيدة بعبارة «من فضلك»! لأنها جديدة على قاموس مفردات الحياة اليومية لقوات الاحتلال! وبعد أن شربوا من يد أحد الصبيان نفحوه دينارا عراقيا يتيما، وهم يتساءلون «بكم الاستكانة؟» ضحك رواد الديوانية لهذا الالتباس الطريف. فقد ظن «الديوانية» مقهى أو «شيخانه» عمومية مشرعة الأبواب لعابري السبيل وعامة المارة ومريدي الشاي «الحاجم»[3] وما إلى ذلك. وقد اعتذر السقاء الصغير عن قبول ثمن الشاي والماي قائلا له: هذا المكان نسميه هنا ديوانية فيه قهوة، لكنه ليس مقهى! وفيه شاي لكنه ليس «بشيخانه! فلذا فإن مشروباتها تقدم مجانا لوجه الله ومقدمة من مولى الديوانية وصاحبها!.

(١) استكانة : كوب الشاي الصغير.

(٢) سنجيل : الشاي الثقيل.

(٣) الحاجم: أي الحاكم: أي المغلى كثيرا.



قرارات حمض الليمون

ويبدو أن اشتراكية الديوانية، أعجبتهم أكثر من اشتراكية الحزب الكرتونية! وهكذا تراهم على الدوام يداومون عليها فى الصباح والعصر والليل. وربما يمر أحدهم- أو مجموعة منهم- فى اليوم الواحد أكثر من مرة! حسب الواحد منهم أن يختار الوقت المناسب له، ليجد الديوانية مشرعة الأبواب، بينما أصوات روادها يتهلون بهم ويرحبون بهم بصدق وعفوية.

وكنا نسألهم: ألا تجدون بأنكم تغامرون، حين تتجشمون مشقة زيارتها وخطورتها ؟! وكانوا يضحكون، وهم يقولون، بأنهم يجمعون القرارات الجمهورية والثورية ومن لف لفها، فيقوم بتنقيعها فى حامض الليمون، ومن ثم نرشها بقليل من البهارات والملح، ثم نأكلها لتكون نهايتها بيت الأدب!:

ولو عن لك سؤال أحدهم: لم تعاطفكم مع الكويت لأجابك بأنه: بلد عربى مسلم مسالم، لم يؤذ أحدا طيلة تاريخه.. فضلا عن أنه صار الآن توأمنا فى محنة الاحتلال والأرهاب والقمع والممارسات الاجرامية التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا!.

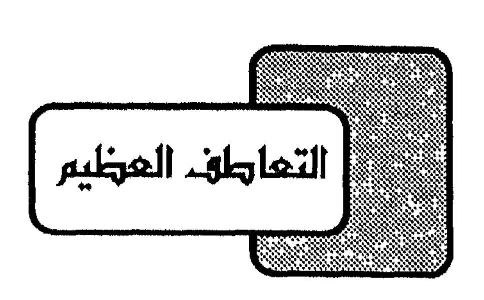
أن ما حدث لكم فى ٢/٨/١٩٩٠ حدث لنا فى «حلبجة» الكردية العراقية فى

١٩٨٢م. وأحسب أن هذا الشرح- يقول الأخ الكردى: لا يحتاج إلى استطراد سوى القول بأن المحنة- عادةً- توحد بين البشر الأسوياء، بغض النظر عن عرقهم وجبلتهم ومذهبهم واجتهاداتهم الفكرية!.

ففى الكويت المحتلة المستباحة بعدة السلب والاعتقال التعسفى والأرهاب الوحشى وجدنا «حلبجة»، التى دكت بالأرض فصارت المدينة العامرة بالحركة والسعى فى الأرض والحوانيت والأسواق والدكاكين... الخ. قاعا صفصفا وأرضا يبابا ينعق فيها بوم الحقد الأرهابى المجنون!.

وهنا يتساءل أحد الأكراد- بمرارة- هل علمتم الآن سر تعاطفنا مع عدالة قضيتكم؟!

وحين يجدون رواد الديوانية يتحدثون عن ترسانة القمع والتعذيب التى تضم فى مواقعها السرية كل عدة وأدوات ووسائل التعذيب التى عرفتها البشرية طوال تاريخها! يقتحمون عليهم احاديثهم وسوالفهم ويشاركونهم فيها فيثيرون موضوعا بشهادتهم عن «وجبات» التعذيب التى كانوا يتناولونها بين حين وآخر! كانوا يقولون للمواطنين الكويتيين- بدعابة عفوية- نحن السابقون وأنتم اللاحقون. والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذى لا يشكر على مكروه سواه! واشارتهم السابقة إلى أنفسهم بالسابقين تشير إلى ما حدث لهم فى «حلبجة» المدينة الكردية العراقية التى قوضها وهدمها الجيش العراقى أثر تمردها المعروف، مستخدما غاز الخردل وشتى أسلحة العدم!.



ولعل كل مرابط كويتى وغير كويتى شعر بأن الأكراد فى الجيش الشعبى والجيش النظامى يختلفون عن بقية العراقيين فى السلوك والطباع والمزاج.. فضلا عن أنهم «السابقون» فى تلقى محنة الأرهاب والقمع والحرق والتدمير... الخ. بحيث جعلهم يقتربون كثيرا من المواطنين الكويتيين ويألفونهم ويخالفون الأوامر الصادرة إليهم من قياداتهم! وكان تعاطفهم مع الكويت والكويتيين بينا واضحا لا يخطأه البصر ولا البصيرة.

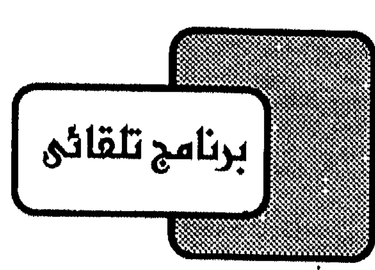
وكان الكويتيون- بدورهم- يتعاطفون مع الأخوة الأكراد ويحدبون عليهم ويعاملونهم بروح التواد والرحمة والايثار والتكافل.

وفى هذا السياق يحكى أحد الشباب الكويتيين بأنه حين ذهب إلى بغداد للسؤال عن صديقه المعتقل فوجىء بالاستخبارات العسكرية يعتقلونه ويعذبونه ويستجوبونه بطريقة تعسفية لا مبرر لها. والبلية- يقول هذا الشاب- بأن المحامى العراقى الذى وكلوه للدفاع عن صديقهم المعتقل لم يحرك ساكنا. فقد لهف ألف دينار وتوارى عن الأنظار! وبعد وجبات التعذيب «الدسمة»، وجلسات الاستجواب الممجوجة المملة،

والحبس الانفرادى الكئيب، تمكنت عائلة كردية كريمة من اخراجنا من الحبس- إذ كان بمعيتى صديق سعودى- وأخذونا إلى دارهم ونصحونا بالسفر جوا، وبنسيان فلوسنا وملابسنا وأغراضنا الموجودة بالفندق! لأن رجال الأمن والاستخبارات سيعاودون اعتقالنا.. على الأقل لابتزاز أموالنا وعطايانا ورشوتنا! وقد تبرعت هذه الأسرة بنفقات اقامتنا، وثمن حاجاتنا الضرورية وبطاقات سفرنا من بغداد إلى الكويت! ويجدر بى أن أذكر بأن ثمن بطاقات سفرنا- صديقى السعودى وأنا- دفعتها شابة كردية من مدخراتها فى «الحصالة» التى رافقتها سنوات الدراسة المتوسطة والثانوية. وكانت على وشك كسرها واخراج ما فيها لشراء المراجع الجامعية والملابس اللائقة فى سنة أولى جامعة!.

وقد رافقنا اثنان من رجال العائلة إلى المطار خشية أن يتعرض لنا أحد بسوء.. وفوجئنا بأحدهما يصر على مرافقتنا إلى الكويت. وأصر على أن يكون بمعيتنا إلى حين وصولنا إلى منزلنا!.

وفى الظهيرة كان يتحلق معنا حول مائدة الغذاء فى بيتنا. وكان مثار تقدير واعجاب وشكر كل الحاضرين.. ولا أملك هنا سوى القول لهذه الأسرة الكردية العفيفة الكريمة: جزاكم الله خيرا آملا من المولى سبحانه وتعالى أن يفرج كربتهم ومحنتهم ويمنحهم السلام والحرية والأرض الطاهرة غير المدنسة بأقدام ووجود الطغاة الأرهابين مجرمى الحرب والسلام! ولأن الديرة المحتلة فى حالة عصيان مدنى لذا كان من الطبيعى أن تشرع «الديوانيات» أبوابها للناس فى النهار والمساء وقسطا من الليل. الأمر الذى جعلها- على الدوام- عامرة بالناس.. كل الناس! ولا يغيب الناس- عادة- عنها إلا فى السويعات القليلة التى تفصل بين صلاتى الظهر والعصر فقط. ورب متسائل: بكيف يمضى رواد الديوانيات وقتهم؟.



من تحصيل الحاصل أن نقول بأن الأخبار والمعلومات تتصدر المائدة الرئيسية للجلسة. فتسمع أخبار وأسماء من استشهد اليوم برصاص الأرهاب والغدر، ومن دوهم منزله ونهب، أو أحرق أو اعتقل سكانه أو بعضهم! بدعوى اخفاء «ممنوعات» قوامها صورتا أمير البلاد وولي عهده وعلم الوطن وملصقات قديمة من بقايا احتفالات العيد الوطني فضلا عن ضبطهم متلبسين بحيازة آلة كاتبة وكاميرات وآلات تصوير واستنساخ وكتب سياسية ودينية وتاريخية... الخ.

زد على ذلك أخبار المظاهرات والاعتقالات النسائية، وبطولات المقاومة الوطنية المسلحة التي أفقدت «الأخوة الأعداء» صوابهم فحرضتهم على العريدة والاعتقال التعسفي، وزيادة «وجبات» الاعدام الفوري الذي كان يتم بواسطة كتيبة الأعدام إياها.

وبعد الأخبار الداخلية، يعرج القوم- من باب التهكم والترويح- على «المعلقات» التي يزأر بها رئيس العصابة المهيب «سفاح حسين» صباح مساء، عبر كل محطات اذاعات وتلفزة العراق، فتسمع أحد القوم يعلق على ظاهرة الاسهال الخطابي لدى «المهيب»، فيقول «كان الله في عون العراقيين فهم لا يستمعون الراديو، ولا يشاهدون التليفزيون درءا للغثيان الذي ينهمر من معدة الرئيس الطافحة بلحوم الأهل والأقارب والأصدقاء والرفاق وكافة المواطنين العراقيين.

صدقونى يا جماعة الخير: إذا قلت لكم بأنى لن ألوم العراقيين لو كفوا عن فتح الحنفيات وأجهزة الطبخ، خشية أن «يطلع» عليهم حس وصوت المهيب مترنحا بإيقاعه الطاووسى الرخو!.

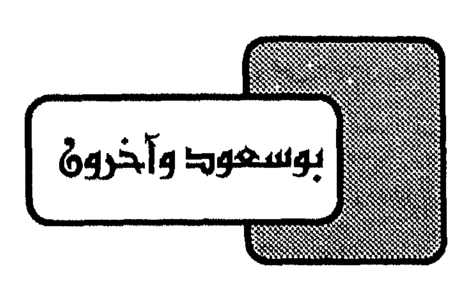
ولعلهم يفضلون الصوم على سماع «المشعلقات» العنترية، الطافحة بالكذب والنفاق ولوى الحقائق والضحك على الذقون... وما خفى أنكى وألعن! يبتسم بعض الرواد، وتضحك عيون الشباب، وتضج الديوانية بقهقهة الشباب والأطفال، ويلوذ البعض بالصمت والتأمل وتمشيط اللحى المرسلة بأصابع اليد اليمنى، بينما اليسرى تداعب حبيبات المسباح. ويختتم أحد الشباب هذا المشهد الترويحى الساخر بقوله" «حسبى الله عليك يا ظالم..خليت الناس تكره تفتح الباب والشباك والراديو والتليفزيون ومكينة الكهرباء وجهاز التسجيل والحنفية والبوتاجاز! و.. حسبى الله عليك.. ولك يوم يا ظالم!!.

فى الديوانية إنسان له العجب! ملابسه ولسانه وعفويته وبساطته وخفة دمه وصراحته تذكرنى بكويت أمس، حيث البيوت الطين والبراحة العامرة بالتواصل، الخالية من بقع وتلوث الزيت والجاز والديزل والمازوت. وإذا تحدث خيل إليك أن الرجل خارج لتوه من رحم كويت الأربعينات، «بدشداشته»[1] المكرمشة وغير المكوية و «غترته»[2] المعلوكة[3]، وعقاله العريض ولهجته الطينية التى تكثر فيها مفردات وعبارات غابت وغيبت عن قاموس حياتنا اليومية مثل (اقلط- ماعون- الغضارة- برجة- باسجيل- الحرس- النواطير- الفداوية- الغدير- الخبارى- العتوى- الضب- الموتر- الغبه- الخرمس- المخزى- الرميلة! وحقولها النفطية!! العرفج- شهابوه- يو عنكوره- العنكريزى- الصاحب- الشيخانه المرزام- العنجكك- البراحة- الديرة- البيرق- الملفع- الوزار- العاير- الحجيمية- المعدان- الكاوليه- العبايرة- الجنبازية- الملغوث- البراد- الأرضه- السيسم- الأيانب- أهل قرية- صدامو! عميل للبريالية والبرمائية).

(١) الدشداشة : الجلابية.

(٢) الغترة : الكوفية.

(٣) الممضوغة.



«أبو سعود » أو «عزوز» كما يحلو لبعض الربع تسميته هو إنسان خمسينى أسمر طويل القامة جهير الصوت.. كما صوت فحل فى موسم الخصوبة! والذى فى قلبه على لسانه.. فتراه يدحرج الخبر بلهجته الكويتية العتيقة، وبطريقة فهمه الشعبية البسيطة العفوية للخبر.. فتسمع منه المعلومة وتفهمها، بدون الحاجة إلى متابعة الإذاعات!.. لأنه وكالة متنقلة للأنباء، بحكم كثرة تنقله بين الدواوين، على مدار الأربعة والعشرين ساعة! ويمكنك اضافة إلى ذلك أن تعده من أقطاب «وكالة أنباء «يقولون» للأنباء المحلية المشهورة فى أوساط ديوانيات المرابطين!.

وهذه الوكالة شفاهية، تعتمد فى نشر وتواتر أخبارها، على نقل الرواة المتطوعين! أولئك الذين يدمنون رواية الأخبار ونقلها، فى كل مجلس، بغض النظر عن صحتها! يكفيه أن يتكىء على مخدة «يقولون» ومن ثم يسرد الخبر مثل جهينه مولى الخبر اليقين!.

وإذا حاصره الربع بعبارات الاستنكار للإشاعة التى يلوكها «بو سعود»، ويدحرجها على السامعين بحسن نية لا يغبط عليها! أقول إذا حاصره الربع هرب منهم

بقوله «يقولون» ما غيرها!.

وأبو سعود إنسان عامر بالطيبة.. والدلالة على ذلك: اقرأ هذه «السالفة».. فذات عصرية جاءنا «بو سعود» وسيارته «الشفر»[١] تترنح وتتطوح يمينا وشمالا، من آثار صدمة مدمرة قضت على هيكل السيارة. خرج من السيارة دامى الوجه واليدين.. و«خير يا بو سعود؟» قال: أبد. ماكو[٢] شيء. كنت أتمشى بالعدال[٣] فوق الدائرى الرابع. وفجأة لقيت قطوة[٤] مسكينة ميتة من اليوع قاعدة تنبش فى جيس زبالة طايح على القار وسط اللى رايح واللى ياى الحمد لله أنه ما كنت سايق سرعة. ومن جذبه طقيت بريك[٥] بسرعة وما حشتهم.. لكن العراقيين حاشونى[٦] بدبابة أو مدرعة أوهذى ما درى شنو اسمها! المهم ما حسيت إلا بظلمة خرمس[٧] طبت على وعلى سيارتى، ولما رفعت رأسى أشوف شنى[٨] السالفة كانت دعامية[٩] ودبة سيارتى فى حلق الدبابة.. والله ستر اللى ما غصت فيها كنت رحت فيها! والحمد لله أن القطوة[١٠] ما صار لها شيء. لكن سيارتى أصلحها عند التأمين ليما ترد الحكومة!.



بو أحمد المتوتر

* وأبو أحمد هو الآخر من شخصيات الديوانية التى لفتت نظر العبد لله.. أراه

(١) الشفروليه. (٢) لا يوجد شيء.
(٣) بتأن. (٤) قطة.
(٥) كبحت سرعة السيارة. (٦) أصابونى.
(٧) شديدة الظلام. (٨) ما الخبر؟!
(٩) مقدمة وصندوق السيارة. (١٠) القطة.

على الدوام متوترا قلقا برما محتجا متوجسا مرتابا! فإذا جلس دقيقة غير مكانه عدة مرات، يقوم خلالها بصب الشاى لنفسه، والذهاب إلى السبيل ليكرع ما ءا قراحا. ثم يستأذن ليذهب إلى ديوانية أخرى! ولا يكف عن الدوران، إلا حين يلعلع صوت المؤذن بآذان الصلاة. وعلى الرغم من أنه إنسان تقى نقى مؤمن، ودود واجتماعى ومحبوب وظريف وطيب القلب، إلا أنه «متشائل» على الدوام.. تتقاذفه أمواج التفاؤل والتشاؤم فلا يريم! فكلما بشرته بخبر فرح له لثوان، ثم تلبد وجهه بغيوم التشاؤم، وراح يقوضه بمعول الوساوس والشك والريبة والتوجس والخشية حتى يقضى عليه! وساعتها لا يهمد ولا يرتاح، بل يغادر إلى ديوانية أخرى.. ربما لكى يعذب نفسه بسماع الأخبار الكاذبة، والاشاعات المضلة التى تنشرها استخبارات العدو وطابوره الخامس. ولا أذكر مرة أنه سمح لنفسه بأن يفرح ولو لدقائق قليلة!.

ومن هنا لم أعجب حين هنأته وباركت له التحرير فقال: ولكن غياب اخواننا وعيالنا الأسرى والمعتقلين، وأهلنا وأقاربنا وبنى قومنا الموجودين فى حضن الديار العربية الشقيقة والصديقة.. أجهض فرحتنا! وهذه المرة قلنا له.. صح لسانك. لأن «تشاؤلك» ايجابى وحقيقى وشعبى!.

❋ ❋ ❋

سوق شعبى اسمه بو محمود

* والشخصية الثالثة لشيخ مسن بلغ أرذل العمر، لكنه- ما شاء الله عليه- يدب الأرض سعيا وحركة، إلى المسجد والجمعية وبسطته فى الشارع ودكانه داخل البيت، والذى يروج لبضاعته داخل المسجد بطريقة غير مقصودة. إذ يدخل الجامع أوقات الصلوات، وجيوبه عامرة بالهيل والزعفران والقحافى[1] والمساوك والبخور

(١) الطواقى.

والعطور والميادير[١] والنبابيط[٢] والنيل[٣] والجراغي[٤] والكبريت. وقد اعتاد بعض أقرانه الشباب الذين يصغرونه سنا- مداعبته بالتجسس على جيوبه في غدوه ورواحه. وكان يتملص منهم ويهرب متسللا برشاقة وسماحة وبشاشة وهدوء. يحبه الجميع. ولم يسأل أحد لماذا «ربما لأن هذا الإنسان لا تملك سوى أن تحبه»! فحالما تراه بعوده الناحل، وخطواته المتلاصقة السريعة، ومحياه الباسم وروحه الساخرة الضاحكة، وطيبته وورعه... الخ. تجد نفسك منجذبا إليه بصورة مغناطيسية أتوماتيكية. وهو تاجر ناجح جدا أكثر من الأسواق الشعبية، لأنه قنوع ومتهاود في الأسعار، وليس في ذهنه- لا سمح الله- أن يكون تاجر حرب من اياهم!.

وتجارة وبضاعة العم «بومحمود» قرفيعان و«سمك لبن تمر هندي» ودكانه داخل بيته مثل سفينة نوح! وقد ذكرنا آنفا بعضا من البضاعة التي يبيعها. أما كل البضاعة فحدث عنها ولا حرج من العم «بومحمود» طال عمره المديد.

ورغم أنف القرارات الهمايونية المهيبية لسلطة الاحتلال العراقي.. فقد كان «بومحمود» يبيع للأهالي بالدينار الوطني والعراقي، ولم يكن يخزن النقود العراقية ولا يجعلها تبات في منزله أبدا! فقد كان يبادر بالتخلص منها بأي ثمن!.

أن بيت «بو محمود» متحف وسوق شعبي! سوبر ماركت وطني، فيه من ريحه «سوق واجف وسوق الحريم والصفاة وسوق الغنم والحمام، والمتحف الشعبي وبازار الانتيكات وحي الغورية وسيدنا الحسين في مصر المحروسة، وميدان جامع الفنا بمراكش، وسوق الحميدية في الشام، وسوق القيروان واسطانبول»... الخ. بيت له العجب! ومن النادر ألا تجد فيه ضالتك! ففيه قواري[٥] شاي من الثلاثينات مطرز بصورة الملك غازي ملك العراق السابق، الذي مات بحادث سيارة. وهناك عدة صيد برية

---

(١) السنانير.

(٢، ٣ ، ٤) ألعاب أطفال.

(٥) أباريق شاي.

قوامها «السيالة والنباطة» والفخ وبمعيتها طقم القنص والصيد المناسب. دع عنك المكسرات والبهارات والعطور والبخور وماء الورد والمسابيح والقحافي والطواغي والشمع والغتر والسراويل المكسر والوزرة العدنية والهندية والبالوناث والهيل والزعفران والدارسين، والحلويات والعقل وكل ما يخطر على البال.. أو لا يخطر على البال. لا فرق!.

وكان يرفض التعامل مع أفراد قوات الاحتلال، ولا يبيع لهم الأمر الذى أوقعه فى مشاكل معهم. لكنه- بقدرة قادر- يتملص ويتخلص منهم بدون أذية!.

وفى يوم التحرير حلق واغتسل، وصلى لله شكرا وحمدا.. ثم تأبط بضاعته اليومية، التى كرسها- بهذه المناسبة- للأطفال، وكان قوامها المفرقعات «الجراغى» والبالونات وأعلام الكويت القطنية التى لا أعلم أين كان يخفيها؟! وشعر البنات والبنك[1] والحب الرقى[2] والقرع[3] والبيذان[4] والفيمتو والجاكليت وغير ذلك. وكان يبيع للأطفال بأى عملة وبدون عملة.

بعضها بيع، وبعضها دين «ليما ترجع الحكومة» وبعضها هدية دعاية وفوق البيعة!.

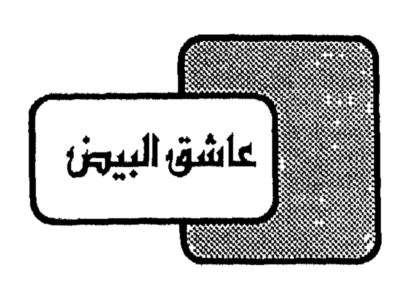
كان «بو محمود» بسمة وحكمة وورعا وتواضعا وسعيا فى الأرض، واتصالا وتواصلا بكل الأهالى على اختلاف أعمارهم. وكان بركة وطيبة وطيبا يدب على الأرض!.

وإذا غاب «بو محمود» عن المسجد والشارع مرة فزع القوم للبحث والسؤال عنه. فيعودون إلى الحى وهم ضاحكين لأن أم محمود قد اعتقلته فى بيت أهلها، بسبب وجود سرداب يقيه شر الغارات الجوية والبرية والبحرية. وقد حاول «بو محمود» التمرد على هذا الأسر والعودة إلى عرينه فى «كيفان» إلا أن «الحجية» لم تمكنه من تنفيذ حيله ومحاولاته للهروب! ومن هنا فإن فرحة «بو محمود» بيوم التحرير كانت مزدوجة.. الأولى لتحرير الديرة والأخرى لتحريره من «أسر» أم محمود!.

(١، ٢، ٣) المكسرات الشعبية.

(٤) شراب اللوز.





حضوره الزمنى إلى الديوانية قليل ومتباعد، ولكن حضوره الاجتماعى طافح بالطرافة والابتسامة والضحكة والغشمرة[1] والدعابة البريئة، وهو قليل التردد على الديوانية، لأنه بار بأبيه المسن المريض «شفاه الله»، عاكف على رعايته والحدب عليه وإذا حضر إلى الخيمة أو الديوانية سبقه وجهه الأبيض المضرج بدماء الغشمرة والدعابة.. فتسمعه يلعلع بالسلام من على بعد. وكأنه ينبه الربع لتغيير موجة المزاج للديوانية وضبطه على موجة بث عاشق البيض! وحالما يتربع فى مكانه، يقتحم سياق السوالف والحوار، ويدلى بدلوه قبل أن يتأكد من الورد والابل والناس! وإذا شعر بالتورط فى الحديث، أخذته العزة بالاثم فراح يتمادى فى التورط دون أن يشعر أنه أسقط فى يده وأفحم!.

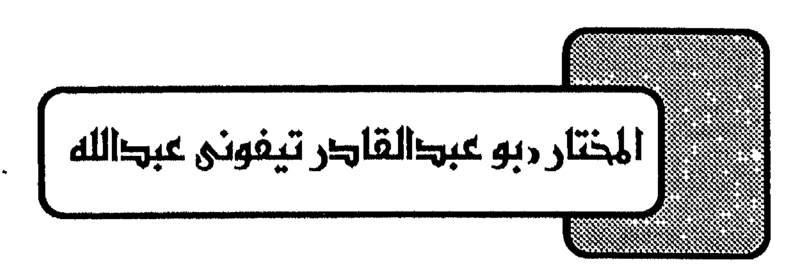
ولقب عاشق البيض صار علما عليه، حتى أنه اخترق أسوار الأسر والمعتقلات العراقية، ليصل إلى أسماع بعض أخوتنا الأسرى والمعتقلين! ولم يعد أحد يناديه بأسمه. لأن «عاشق البيض» صار رمزا له وعلامة عليه وكناية عنه! وقد اكتسب هذا

---

(١) الدعابة.

اللقب: حين لاحظ أن بعض أفراد الجيش الشعبى العراقى المحتل، يسطون على البيض فجرا من «الجواخير»[1] التى تضم مواشى ودواجن وطيور أهالى الحى! ولكى يفوت عليهم الفرصة، كان يسبقهم فى السطو! الأمر الذى حرضهم على سلب الخراف والدجاج والبط! والمدهش أنه فطن إلى سرقة البيض، ولم ينتبه إلى سلب ما هو أغلى وأثقل قيمة وفائدة! فقد عماه حب البيض، عن رؤية عمليات وسلب الجواخير من الدواب الطيبة والدواجن الأليفة المعطاء!.

(١) الحظائر.



المختار «بو عبدالقادر» تيفوني عبدالله

سألته لم سموك «المختار»؟ رد بسرعة هازا كتفيه ومطوحا بيديه وقال «والله ما أدرى! » زين! لا يهم.. لأنى أدرى ولأن الناس يدرون. وذاكرتهم صاحيه مستيقظة.

وأعتقد أن تسمية المختار تظلمه وتغمطه حقه! فهى- تسمية المختار- تشى بالموظف الأدارى، الذى يقبع فى مكتبه لأداء بعض الخدمات العامة العادية مثل ختم وصل الكهرباء، وشهادة لمن يهمه الأمر بأن فلانا يقيم فى سكن ذوى الدخل المحدود! وما إلى ذلك. والحق أن صاحبنا ليس مختارا.. بل كل شىء.. أو «بتاع كله» كما يقول أخوتنا فى مصر المحروسة! وأن كان صاحبنا «بتاع كله» فى النجدة والايثار وفعل الخير لوجه الله ورضاه فقط لا غيرا.

و «بو عبدالقادر» قرد وممثل، وحذر وصقر، وطيب وعاطفى وحنون واجتماعى، ويتمتع بحضور إنسانى مدهش.. إلى درجة أنه تمكن بظرفه وشدة حضوره ونخوته، من الاستحواذ والسيطرة على رجال «السيطرة، والتفتيش والمخفر والجيش الشعبى وكبار الحزبيين».

وقد قلت أن «بو عبدالقادر» ممثل، والواجب أن أقول بأنه ممثل يستأهل

«الأوسكار» في الضحك على ذقون «النشامى» الأشاوس، في ميدان التصوير السينمائي والتليفزيوني، فضلا عن قدرته على ضبط أعصابه وكبت مشاعره وتحريك لسانه وانطاقه بالتحية البصراوية الساخنة.. يعقبها بفد وكاحة وغشمرة بغدادية يكون مسك ختامها بوذية معجونة بالهجع!.

وأثر هذه الزفة الاحتفالية، ينفرد به حضرة الضابط أو القائد الحزبي ليطلب من «المختار» المقسوم الذي يبغيه! وقد يكون المقسوم «فد فيديو أو فد سيارة! أو فد اثاث فاخر فخيم! لاني عنده فد بنيه ستتزوج بعد انتهاء الاحتلال»!.

وحين ينتهي من جرد قائمة الطلبات على «بو عبدالقادر» ينصرف، ليترك المجال للجنود ليحققوا «اشتراكية» الابتزاز! ولم يكن «بو عبدالقادر» يرضخ لابتزازهم جبنا لا سمح الله.. بل تقية ومكرا واحتيالا! زد على ذلك كونه يلجأ لهم لتقديم بعض الخدمات الإنسانية والحيوانية!.

كأن يدعي بأنه يطلب رخصة لأحضار الطيور من بيت أحد أصدقائه ليجلب معه كل الوثائق والمقتنيات الثمينة الغالية! واضعا قفص الطيور على هامته ليراه القريب والبعيد! أو رخصة لتهريب بعض المعروفين عبر الحدود.. وهكذا.

وترى «بو عبدالقادر» مشغولا على الدوام، ففي الصباح الباكر تراه يقضم سندويتشه، ويطعم المواشي والدواجن، ويفرق الفحول والتيوس والثيران، عن النوق والمعيز والبقر! ويطارد الديوك الشرسة ليبعدها - هي الأخرى - عن الدجاج المسالم. ويتفقد المواليد والبيض، ويكتشف آثار سطو وسرقة (راجع عاشق البيض!). ويذهب إلى المخفر «لبلاغه[1] الشف» فيكتشف أن «الأخوة الأعداء» لم يسرقوا البيض فحسب.. بل الدجاج وغيره!.

وقد أنقذ «بو عبدالقادر» حياة عشرات الطيور والدواجن والمواشي والقطط

(١) التطفل والفضول الشديدين.

والكلاب. فصار بيته «حديقة للحيوانات»، ومأوى يجدون فيه الزاد والشراب والرعاية والحب!.

ومن المألوف رؤيته في الشوارع راكضا بملء سرعته، ليطارد قطة نزقة أو كلبا أو طائرا هاربا من قفصه!.

وفي الضحى تراه تحت الشمس يقود جرافة يجمع وينقل فيها الزباله ويكومها وسط الساحة.. ومن ثم يحرقها. وإذا فرغ من الزبالة، طاف على السفارات والمكاتب الدبلوماسية في المنطقة، ليزودها بالتموين والبنزين والماء وكل ما تحتاجه، بطريقة بوليسية سرية لا أعرف سرها حتى الساعة! ولا ينسى بعد ذلك تفقد الأسر المستورة المتعففة، والعائلات التي غاب وليها وتحتاج إلى رعاية وتواصل دائمين. وهو إنسان يكره الراحة والجلوس على كراسي الديوانية كما يفعل- العبد لله- بدون شغل ولا فعل أو حركة! ولذا فإنه لا يهمد أو يرتاح، إلا في العشية بعد الصلاة، حيث يطعم زاده ويجلس ساعة في الديوانية. لينام بعدها حتى الفجر.. وربما قبله. ليبدأ عمله وحركته من جديد معيدا سيرته الأولى.

في الأيام الأولى للاحتلال، رافقته إلى زيارة وتفقد مكاتب شركة المباني الجاهزة.. ومقر نادي اليخوت. كانت البلد وقتها مستباحة لكل من هب ودب على طريق الحرمنة! وكانت عمليات السلب العشوائي تجري على قدم وساق وراس وبدونهما ودخان الحرائق يلحف الحرامية بعباءة خزي، بينما عيون العسكر هي عين عيون الحرامية! فتحقق القول «حاميها حراميها».

في وسط هذا المناخ المأساوي عن «لبو عبدالقادر» زيارة مقر الشركة التي يعمل بها «شركة المباني الجاهزة» دلفنا المقر ففوجئنا بالبوابة مكسورة، والمكيفات الحائطية منهوبة، وأبواب وشبابيك المكاتب مكسورة ومحطمة، والأوراق والوثائق مبعثرة. واضح أن الحرامية كانوا يبحثون عن مسروقات يمكن حملها والاستفادة منها. جمع «بو عبدالقادر» الأختام والأوراق الهامة وتفقد بقية المكاتب وأرجاء المبنى ثم خرج وهو شارد

الذهن حزين.

وحين رحنا إلى نادى اليخوت، لم تمكننا قوات الاحتلال المتواجدة هناك من الدخول. فقد كان المكان يعج بالجنود المسلحين.. وكل ما استطاعه صاحبنا هو الاقتراب من «شبك» النادى.. حيث تملى «الطراد» الخاص به، واطمأن إلى وجوده، وبعد يومين كان يسحبه إلى بيته، بعد أن دفع المعلوم لأحد ضباط المخفر! وبهذه الوسيلة تمكن من انقاذ عشرات السيارات والمنازل من السرقة والنهب والمصادرة! وكان شعاره فى هذا المسعى «انقاذ ما يمكن انقاذه»!.

وبعد التحرير لم يشأ أن يظل عاطلا بدون شغل ولا نشاط أو حركة.. لذا غادر الديرة إلى مدينة «عرعر» فى المملكة العربية السعودية ليكون فى استقبال الأسرى والمعتقلين فى سجون العراق. فأمضى هناك قرابة غشرة أيام، ثم عاد إلى الوطن المحرر، بمعية مجموعة من الأسرى والمعتقلين، حيث كان طوال الطريق يسرى عنهم بالسوالف والنكات، ويطمأن الذين يعرفهم عن كثب على أهليهم ومنازلهم وممتلكاتهم. مثل أى حارس وناطور معتبر!.

والآن.. ألا ترون معى بأن حركته ونشاطه وفعله أكبر من لقب «المختار» الذى اشتهر به؟!.



فهمي-الأسطى

حين كانت الحدود العراقية الأردنية، تشهد عشرات ومئات الألوف من النازحين العرب والمسلمين وغيرهم، من الكويت المحتلة ابان الأسابيع الأولى من الاحتلال الغاشم، كان الأخ «فهمي» الشاب المصرى يتردد على الديوانية فى العصارى، وهو فى كامل قيافته وأناقته وكأنه على موعد للفسحة مع العيال وأمهم!.

وإذا داعبه أحد رواد الديوانية بشأن أناقته قال ساخرا (هو كتير قوى عا الواحد يلبس قميص نظيف وبنطلون مكوى؟! أما عالم فقرى بصحيح! على الأقل الواحد يقابل ربنا وهو طاهر ونظيف ولابس زى الناس!.

وحين يسأله أحد «ليش ما تسافر مثل غيرك؟» أجاب: «أسافر ليه؟ هو أنت مش شايف العالم بتقطع فى بعضها على الحدود عشان شربة ميه ولا حتة من رغيف! أنت ما تعرفش أنه فيه ناس ماتت فى الطريق أو عا الحدود!؟ ثم تعال هنا هيا الناس لما هجت من البلد مش عشان خايفه من الموت؟! الله؟ هما نسيم أن المقدر والأجل مكتوب؟! أما حاجة غريبة؟ قال أسافر.. قال! يا عم صل عانبى وقول يا منجى!.

وهو مثل كل مصرى، مرح متفائل، ابن نكتة وصاحب قفشة! لا يحب النكد ولا

نقاط التفتيش أو «السيطرة» كما يسمونها فى عراق «سفاح حسين»!.

وقد أوذى كثيرا، واعتقل مرة لمدة بضعة أيام، وكان فى سبيله إلى الأعدام أو السجن المؤبد بتهمة تخزين مواد تموينية مع أنه لم يفعل! فكل ما قام به هو أنه نقل- بمعية شريكه وصديقه- بضاعتهما من كراج البيت إلى السرداب[1]، لكن ذمة القاضى الواسعة أنقذته وشريكه من المؤبد أو الاعدام الفورى! إذا أقاما «بدهن سيره»[2] بحفنة من الآلاف العراقية! فتبدل الحكم بفضل الرشوة الكاملة الدسم إلى براءة! والغريب- ولا غرابة فى عراق سفاح حسين وزبانيته- أن جل القضاة العراقيين الذين مارسوا مهام العدالة ابان فترة الاحتلال العراقى، يرتشون جهارا بدون أن يرف لهم جفن، أو أى احساس بوخز الضمير! وكان واحدهم يبادر بنفسه، معلنا بصريح العبارة عن امكانية لحسه لحكم الأعدام، واصداره لحكم البراءة، نظير دفع المعلوم الذى يرغب فيه حضرة القاضى! ولأنه مواطن مصرى اختار المرابطة مع المرابطين.. فقد كان محل شك وريبة واتهام وتفتيش ومداهمات وسين وجيم.. لكنه كان يخرج من المأزق.. مثل الشعرة من العجين.. بفضل شعاره العتيد «أديله ميه يديلك طراوه» والذى كان يردده ساخرا متهكما وهو يقول (الجماعة دولم بيفكرونى بسيادة اللوا محمد عبدالوهاب وهوه بيغنى «كلما قلت له خد قال هات» آه والله.. ما يشبعوش خالص! تقول جراد ولا دود والعياذ بالله!.

وصاحبنا يقطن فى شقة بعمارة جلها من العزاب، وهو يظن أن جيرانه من المشبوهين، بدعوى كثرة تردد ضباط وجنود الأمن والاستخبارات على شقتهم بصفة مستمرة ليلا ونهارا! ويبدو أن جيرانه المشبوهين كانوا يتوجسون منه، ويرتابون فيه خشية أن يكون عينا عليهم، يراقب حركاتهم وسكناتهم، وقد يبلغ عنهم أثر تحرير البلاد وعودة الشرعية والحكومة! فتفتق ذهنهم عن خطة «كاد المريب» ما غيره.. حيث

---

(١) القبو أو البدروم.

(٢) كناية عن رشوته.

بادروه فسبقوه إلى التبليغ ضده فى المخفر الكويتى بعد التحرير! وقد راعنى غيابه الأيام الأولى التى أعقبت التحرير. تمنيت أن يشاركنا السراء كما شاركنا الضراء. لقيته بعد مدة «أين أنت يا راجل.. رحت فين؟» رد بنبرة شجن معجونة بالمرارة (كنت فى ضيافة الحكومة يومين.. وأدونى هناك «علقة» التحرير المعتبره! لكن الحمد لله اللى جت على كده. تصور ولاد الأبالسة «اللى على رأسهم ريشه» جيرانى الخونة بلغوا عنى وشاية لما حسوا بالخطر وخافوا أنى حا بلغ عنهم! لكن ربنا الكريم العادل يمهل ولا يهمل. ربنا على الظالم والخاين والمفترى.

سلام عليكم بقى يا عمى الحج. وين رايح يا راجل؟ مروح مصر.. حاكم العيال وأمهم وحشونى قوى.. مصر كلها وحشتنى خالص.. أشوف وشكو بخير. وبالأحضان ودعنا «الأسطى فهمى» وعلى الطائر الميمون غادرنا إلى مصر المحروسة.



عبدالعزيز مسبع الكارات

عبدالعزيز شاب متزوج فى الثلاثين من عمره «فيلكاوى»[1] المنبت والأصل، ويمتاز بلسان ساخر لاذع، تتدفق منه التعليقات الكاريكاتيرية مثل انطلاق قذائف الرشاش! وهو يعمل بالاطفاء. وقد استمر فى أداء مهمته أغلب شهور محنة الاحتلال. وحين يعود من عمله الخطر المضنى يظل لابسا «بلسوته» زى مهنته، لأنه يعلم أن عليه أداء مهام كثيرة فى بيوت الجيران الكثيرين- اللهم زد وبارك-، قبل أن يذهب إلى بيته ليطل على عياله ووالديه وزوجته أم عياله! فتراه يتسلق منارة المسجد حتى يصل إلى هامتها ليصلح مصابيح المنارة! وتجده يخوض ويغوص فى قاع «البركة» لينزف ماءها الآسن المتعفن، ومن ثم يملأها بماء الشرب القراح! والمسألة لا تقف عند حد بركة يتيمة واحدة.. بل كل برك «القطعة» والحى والفريج! أضف إلى ذلك- أن شاء وشئت- تصليحه وصيانته وتشغيله واغلاقه لكل الموتورات الكهربائية التى تلعلع فى الحى.. وقبل ذلك لا تنس قيامه بالتمديدات والتوصيلات الكهربائية لكل البيوت! ووسط انشغاله يحضر إليه طفل مصباح «اللوكس»[2] وهو يقول له «عمى بو سعود

---

(١) نسبة إلى جزيرة فيلكا.

(٢) مصباح يعمل بالجاز أو الغاز.

أبوى يسلم عليك ويقول لك من فضلك صلح لنا هذا «التريك» قبل المغرب والخرمس[1] جزاك الله خيرا وعلى الدوام وفى كل الأوقات هناك من ينادى ويفتش عن «عبدالعزيز أبو سعود» بو سعود.. يا بو سعود.. يا جماعة الخير ما مر عليكم بو سعود الحين؟ مر علينا من شوية، وكان معاه الثور العود[2]! زين وين راح؟ أظنه راح حوش البقر! حوش البقر؟ ليش؟ تقول ليش؟ أكيد أنك خريش[3].

وأثر ذلك تمر عجوز تسأل هى الأخرى عن عبدالعزيز «ويه خانت حيلى مو عادته يتأخر عن موعد حلاب النعيه[4].. عسى ما فيه شيء؟ عسى ما يودوه وحبسوه ها الملاعين اللى ما يخافون الله».

وأبو سعود لا يتردد عن أداء أى خدمة للآخرين. لا يعتذر بدعوى التعب، أو المرض أو الجوع أو النوم! كلمة حاضر وأنا ياى[5] على طرف لسانه.. ومن هنا تجده مشغولا على الدوام بأداء مهام «السبع كارات» ومهن وحرف التى يقوم بها فى كل يوم!.

فى شغله النهارى بالإطفاء عانى الأمرين من شرور المحتلين وتعسفهم، ويذكر أنهم كانوا يسرقون المخزن أو المرفق، ثم يشبون فيه النار، ولا يخبرونهم بنبأ الحريق اطلاقا، اللهم إلا إذا شاهدوا الدخان وألسنة اللهب بأم أعينهم! أو إذا تطوع أحد المواطنين يعرف رقم هاتفهم فيتصل بهم. ويشير إلى أنهم يعوقون وصولهم- أى قوات الاحتلال- إلى مكان الحريق! أو يخبرونا الحريق بعد أن يأتى على كل شىء ولا يبقى شيئا يستحق انقاذه.

ويستطرد «بو سعود» قائلا: بأن الاطفائيين حين انضموا إليهم فى مرفق الإطفاء لم يفعلوا شيئا سوى التجسس عليهم. فإذا جاءنا أمر اطفاء قبعوا فى مكانهم وتركوا لنا مهمة اطفاء الحريق! وكانت مهمتنا بمثابة المأساة الكوميدية!.

---

(١) الظلام الشديد

(٢) كبير.

(٣) مغفل.

(٤) النعجة.

(٥) جاى.



الشايب الشاب هو راعى «الديوانية» وكبيرها. لكن نشاطه وحيويته وحركة- ما شاء الله عليه- تقول له بأنه شاب فى الثلاثينات! حتى شكله لا يشيء بعمره.. فالرائى إليه يحسبه فى الخمسين من عمره، بينما هو يحبو نحو السبعين!.

تراه فى الديوانية منذ الصباح الباكر، ومن النادر أن يجلس وحده. فإذا لم يحضر أحدا فإنه يشغل نفسه بمعاونة «الحجية»[1] فى غسل المواعين، ويجر عنها صندوق الزبالة إلى المحرقة؛ ويطارد الصبيان اللامبالين الذين اعتادوا رمى زبالة بيوتهم وسط الشارع بمنأى عن المحرقة. ويطرد «الماجدات» اياهن من حرم المنطقة، بمعية ومساعدة صاحبنا «المختار» السالف ذكره! ويرعى بيوت أخوته وعياله وجيرانه المسافرين والحاضرين، ويرقبها بعين «السمكة» التى لا تنام! وإذا لمح بعض الجنود أو رجال الاستخبارات، يحومون حول سيارة فخيمة أو منزل غاب عنه أصحابه، هرع نحوهم مناديا عليهم.. نعم؟ ألكم غرض أو حاجة؟ لأن العنوان غلط، والمعلومة خطأ.. فالسيارة ليست مشبوهة كما تزعمون، لأن صاحبها مسافر قبل الاحتلال! (هاه؟

(١) أى الحاجة أم عياله.

شقلت؟ احتلال؟ يا احتلال؟) يفاجأه أحد العسكر بهذا التساؤل! يرد عليه صاحبنا بحدة قائلا (الزبده ايش تبى[1] الحين؟) يسمعهم يتنادون لركوب سياراتهم (يا الله نمشى بالعجل.. عوفه عوفه[2].. هذا شايب!).

ولأنه ينتمى إلى كويت البحر والغوص والسفر وبيوت الطين، فإنه يكره الترف والمظاهر، ويحب البساطة والحياة الخشنة المتواضعة. فإذا وجد أمام السبيل كأسا أنيقا خطفه واستبدله بكأس بلاستيك، لطيف وخفيف، ويفى بالغرض ولا يغرى بالسرقة! وفى «الديوانية» يقوم بنفسه على خدمة ضيوفه، ولا يقبل أن يحل أحد فى مجال خدمته. وإذا هل عليه الزوار أفسح لهم المكان، واختار لقعدته ركنا قصيا.

وهو إنسان حويط يحتاط لكل شىء ولا يدع الأمور تجرى سبهللا. ولذا تجده أول من ملأ بركته بالماء الحلو- أيام وفرة المياه وجريانها-، ويخزن من التموين فى حدود حاجته، ولا يتورط فى خزين يحتاج إلى تبريد وتثليج! حسبه المملح والمقدد والخلع والمربى والمخلل والمجفف، من الأسماك واللحوم والفواكة والخضار، وغير ذلك من الضروريات التى لا تحتاج إلى ثلاجة ولا «فريزر» بل إلى «ملالة»[3] فى الهواء الطلق.. تماما مثل الأيام الخوالى!.

وقد كانت الحياة اليومية للمرابطين تذكره بكويت الأمس وقيمها وعاداتها وتقاليدها.. وكان يقول للشباب الذين يكدحون طوال النهار، ويعملون- بدون غضاضة ولا منه- بكل الحرف والمهن اليدوية الشاقة، هكذا كان يفعل جيل آبائكم وجيل أجدادكم! فقد كان منا القصاب والبناء والغواص والبحار والاسكافى وراعى الغنم ومنظف المجارى والزبال والمعلم والقاضى والمطهر والحجام وامام المسجد والفراش والمؤذن والنهام[4] وسائق التكسى والعربانة والسقاء والمقهوى «القهوجى» والباجلاتى «بياع

(١) تبغى. (٢) اتركه.

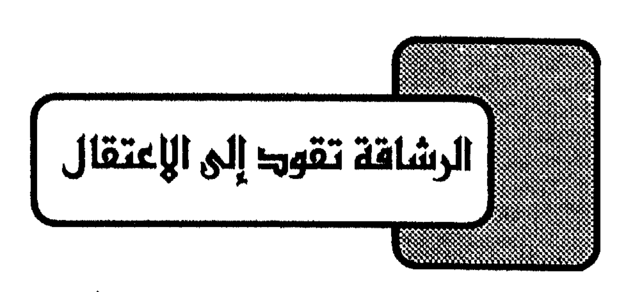
(٣) ثلاجة شعبية يحفظ فيها الطعام بالهواء الطلق.

(٤) المطرب فى رحلات صيد اللؤلؤ قبل اكتشاف النفط.

الباجلة أو الفول» والمأذون والمطهر والولادة والمطوعة والطباخة ومربية العيال والأم بالاصالة لا الأم بالوكالة، والبقال والخضرى والنداف والتتان «بائع التتن والسجاير والتبغ» والمطرب المنادى على الضالة.. الخ بحيث تجد أهل الديرة فى كل ميدان وموقع عمل.

ويستطرد قائلا: (رب ضارة نافعة ففى وقت المحنة والشدة بان المعدن الأصيل للإنسان الكويتى.. واتضح بأن حياة الرفاهية لم تؤثر على جوهرة.. ولله الحمد).





الرشاقة تقود إلى الاعتقال

هو أنيق ورشيق وحنون ومهذب وصريح من النوع (الذى فى قلبه على لسانه)، وقد يصدمك بصراحته، وربما تجفل من ردود فعله المتعجلة، لكنك حين تقترب منه عن كثب، ستكتشف قلبا أبيض رحيما يدب على الأرض! وما سلاطة اللسان إلا وسيلة ملسلعة للتفكير بصوت عال!.

يحب الجدل والحوار ويدفع رأيه بحرارة، ويستمع إلى الرأى الآخر بصبر وأناة، ويرضخ لرأى الأغلبية عند اللزوم! ولا بأس عليه لو لحس رأيه كرمى لعيون حضور الديموقراطية!.

كان «بو عبدالغفور» عرضة للاعتقال والإعدام، لأن بيته وبيوت أهله المسافرين، ملغومة بالممنوعات (دنانير- أسلحة- صور سمو الأمير وولى عهده- كاميرات من كل الأحجام والأنواع والماركات. مئات الصناديق من الأدوية. معدات طبية. اجتماعات سرية- مواد تموينية ضرورية أو أن شئت «ستراتيجية»- علف للحيوانات... إلى آخر الممنوعات فى عرف سلطة الاحتلال الغاشم. وربع هذه الممنوعات يكفى لاعدامه شنقا وبالكرسى الكهربائى وكاتم الصوت والتذويب فى «بسين حامض الاسيد»! وكل ما

ذكرناه هو بعض «وجبات» الاعدام على الطريقة «الصدامية» والعياذ بالله!.

ولكن المولى سبحانه وتعالى نجاه من «مغبة» هذه الممنوعات، فظلت قابعة فى مكانها إلى حين تم توزيعها على الجهات المعنية.

وأذكر أن آخر صنف من قائمة الممنوعات، التى كان يأويها فى منزله، ويواريها عن عيون المخبرين والجواسيس، المزروعين فى كل حى وحارة وزقاق وسكة سد وجادة وشارع! أذكر أنها كانت كميات هائلة من الأدوية التى لم تقدر على حملها سوى ثلاث شاحنات كبيرة!.

ويومها تنفس صاحبنا الصعداء وقال «الحين الواحد يرقد ويأمن! على الأقل تخلصنا من الممنوعات! صبرنا كثير وما بقى إلا القليل أن شاء الله. أن مع العسر يسرا. اشتدى أزمة تنفرجى.. على قولة القائل! أيه هانت.. والفرج قريب أن شاء الله.. تفاءلوا بالخير تجدوه!.

وهكذا كان صاحبنا، طوال الأسابيع التى سبقت عملية تحرير الديرة، مستبشرا متفائلا ينتظر الغد الآتى، ويتشوف الصبح القريب، ويترقب عودة الأسرى والمعتقلين والأهالى النازحين قسرا وعنوة.. المنتشرين فى شتات الغربة.

وقد اعتاد أن يتريض عصرية كل يوم، ليتخلص من كرش «المموش والمعدس والمكبوس»[1] فتراه يسير- بمعية أحد الأصدقاء- من «كيفان إلى الشويخ أو الشامية»[2] والعودة ثانية. وأثناء التمشى يحلو له أن يحاور رفيقه، أو يحدثه بقضايا خفيفة لا تجهد الذهن وليست موضوع جدل واختلاف.. حسبها أن تكون مطية يقطعون بها الطريق!.

وقبل العمليات البرية (عاصفة الصحراء) المكرسة لتحرير الكويت. كان يتمشى

(١) أكلات شعبية قوامها الرئيسى المشترك هو الرز.

(٢) مناطق سكنية متجاورة.

كعادته يوم الخميس ساعة العصرية مرتديا «لباس الرياضة»، حاسر الرأس ليس فى جيبه سوى البطاقة المدنية وبضع أقراص لمرض القلب الشاب! وكالعادة كانت «السوالف» تترى بينه وبين رفيق الدرب.. وفجأة اعترضتهما «السيطرة.. نقطة التفتيش» تبادل الصديقان النظرات الطافحة بالدهشة والخشية والاستغراب. قال أحدهما «غريبة.. نقاط التفتيش صارت تعترض المارة وتفتشهم؟ لكن لم العجب والغرابة» ما دمنا نعيش تحت وطأة سلطة احتلالية همجية أرهابية، لا تحفل بشرع سماوى ولا قانون أرضى ولا حقوق إنسان ولا حيوان. أنه حكم الرجل الوحيد الفرد الفريد الذى يصدر «الفرمانات» الشاهنشايه القراقوشية باسهال سخى لا يغبط عليه.

أشهر جنود «السيطرة» أسلحتهم فى وجه الصديقين «وقف ولك! ارفع ايدك فوق! خلك واجف مكانك! لا تتحرك ابدا أى حركة يسويها ترى ينجتل هسه![1] سؤال: انتو كويتيين؟! جواب: نعم. فيه شى؟ عسى ما شر؟ جواب الجواب: بس ولك!.. وبعد «البسبسة» اقتيدا مخفورين إلى الباص. وهناك وجدا الربع قد انتقل إلى الباص. كيف حدث؟ أنه يوم الخميس الأسود- كما يسميه بعض المرابطين- لأن أغلب- أن لم يكن كل- بيوت وأهالى الديرة المحتلة غاب عنها فرد أو اثنان وربما أكثر.

كان الاعتقال فى يوم الخميس الأسود ويوم الجمعة الأكحل مترعا بالحزن والقهر والغضب والشجن والقلق والخشية والرجاء والصلاة والدعاء والذكر والصيام والاتصال والتواصل.

فعلى مدى يومين، كان الآلاف من شباب وشياب أهل الكويت المحتلة، يساقون- كما القطيع- ويعتقلون بطريقة تعسفية ديكتاتورية، لا تحفل بالتبرقع وراء ذريعة عرفية أو مبرر قانونى. غابت شريعة «حمورابى» لتحل محلها «شريعة حمو الأرهابى» التى تبز شريعة الغاب وتفوقها!.

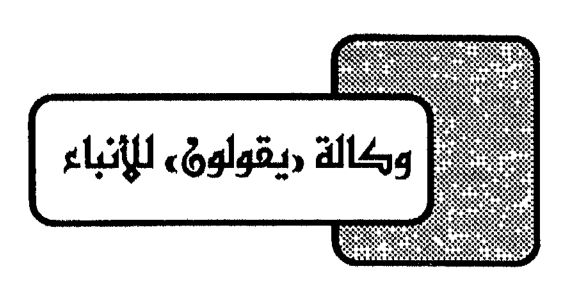
حين كان صاحبنا فى المعتقل تداعى إلى ذهنه مخزون «الممنوعات» الذى كان

(١) يقتل الآن.

«يلغم» بيته وبيوت ذويه.. تحسس كرشه فلاحظ أنه توارى واشتدت عضلاته.. قال لنفسه «سبحان الله نجوت من الاعتقال ستة شهور رغم وجود المبررات والأسباب والممنوعات.. واعتقلت بسبب كراهية الكرش وحب الرشاقة والتمشى!.

لقد كان الاعتقال كابوسا مروعا.. ومحنة ربانية ثرية بالعبر والمعانى والدروس والامتحانات والتجارب والمعاناة.

ولعل من أسوأ ساعات الاعتقال البغيضة: هى تلك التى أمضيناها فى بر الحرية أثر أطلاق سراحنا! فقد عشنا خمسة عشر ساعة فى العراء والبرد والجوع والعطش والاعياء والمرض. وما خفى أنكى والعن!.



اشهرت هذه الوكالة للأنباء بعد الشهر الثانى للاحتلال.. والبلية فيها أنك لا تعرف مقرها أو مؤسسيها، ولا مخبريها أو مراسليها! فهى وكالة ضميرها مستتر، تعتمد فى نشر أخبارها على بعض «المخبرين» ذوى النية الحسنة، الذين يصدقون وينشرون أى خبر يسمعونه! لا يهمهم متنه الغريب، ولا مضمونه المريب، الطافح بالمبالغة والتجاوز حسب الناقل سندا ودليلا أنه سمعهم «يقولون» الخبر أو الأكذوبة أو الاشاعة. ولا تحاول هنا سؤاله عن من هم هؤلاء الذين «يقولون» لأنه لا يعرف! لكنه مع ذلك كله.. يتحول إلى مطية لأنباء وكالة «يقولون» يحملها معه إلى كل مجلس وديوانية! ومن هنا نجد أنباءها تلعلع فى العديد من الديوانيات والشوارع والأماكن. ولا يظن أحد بأن هذه الوكالة العتيدة، لا تنشر سوى الأخبار الخاطئة، والوقائع التى تفتقر إلى سند وبرهان ودليل، بل لا تعدم من رواية خبر طريف وارم بالتفاؤل والأمل!.. كأن يأتيك أحد مراسلى الوكالة هامسا- للتدليل على سرية الخبر أو المعلومة- يقولون أن بعض المواطنين المسافرين إلى السعودية، قد عادوا لتوهم، ولم يكملوا رحلة النزوح القسرى، لأنهم قابلوا فى مركز «النويصيب»- المجاور لحدودنا مع السعودية- ضباطا من الجيش الكويتى ومنهم العميد فلان والرائد ترتان وغيرهما،

و«يقولون» أنهم جلسوا معهم وشاركوهم الشاى وهم يخبرونهم - أى الضباط - بأن عليهم العودة إلى الديرة.. لأن عملية تحريرها ستتم عن قريب بأذن واحد أحد. وعليهم كذلك مهمة أخبار أهل الكويت المرابطين، الاستمرار فى المرابطة والصمود، وأن يكفوا عن محاولات النزوح لأن الفرج- أن شاء الله- على الأبواب واقف على الحدود ينتظر الأشارة الربانية.

وبعض أخبار وكالة «يقولون» تتميز بالطرافة، فضلا عن أنها تشحن الروح المعنوية بطاقة المرابطة والأمل ببزوق فجر التحرير، وتفجر «عاصفة الصحراء». كان تسمع الفتى «مشتل» وهو يروى للحضور: أنه يحلف بالله ثلاثا بأنه- ذات نفسه- شاهد بعينيه الاثنتين بيظة بطة مكتوب عليها «تحرير الكويت فى ٧ بس»! انتهى الخبر. والطريف أن هذا «الخبر» انتشر فى طول البلاد وعرضها! وكل مراسل يروى النبأ بأضافة بعض البهارات ومواد «الضهولة»[1] التى تجيدها فصيلة «أبو لمعة» الكويتى!.

ويبدو لى أن بعض المواطنين رغبوا فى توظيف خدمات الوكالة العتيدة، لوأد الاشاعات وفضح الأكاذيب، وطرد روح القنوط واليأس والتشاؤم. ونشر أريج اليقين وشذى البشارة والوعد بالفرج والنصر والتحرير.

ومن هنا شاعت بين الأهالى الأحلام الوردية، وحطت عليهم طيور التفاؤل، عبر تواتر أخبار وأحلام ووقائع تتحدث- نقلا عن مراسل يقولون فى السعودية- عن سيارات النجدة والمطافىء، والأذاعة والتليفزيون، وشاحنات التموين ومعدات وشغيلة الخدمات، ومظاهرات مقاولى اعمار الكويت، وآلاف الصحفيين والاعلاميين، ومئات الخبراء والمستشارين، ومن لف لفهم... منتظرين ساعة الصفر واشارة البدء لعملية اعمار الكويت!.

ولكن كيف يتم الأعمار والديرة تحت الاحتلال؟ ويقول الراوى: أن حرية الكويت

---

(١) المبالغة.

آتية لا ريب فيها.. ألم تسمعوا تصريحات وزراء الخدمات؟! ألا ترونهم يؤكدون بأن الخدمات اليومية الأساسية ستعود إلى الديرة المحررة في غضون أيام! (وهذه العبارة التقليدية فيها قولان وتحتمل أكثر من معنى.. حسبك تفسير يوم الحكومة بسنة!). ويستطرد الراوي قائلا: بأن وزير الكهرباء ارتدى مسوح الحكماء الصينيين ثم دحرج على مسامع الكويتيين قولة «بدلا من أن تلعنوا الظلام أوقدوا شمعة أو «كنديري» أو شبو حريقة! لأن الكهرباء حتما ستأتي.. في يوم.. في شهر.. في سنة.. حسب التساهيل.

ويهب الربع في وجه الراوي (حسب التساهيل؟ شلون؟ معقول هذا الحكي؟ أهذه المسائل فيها «حسب التساهيل» والذي منه)؟! ألا ترون بأن وزير الكهرباء يستأهل تسميته وزير القهرباء؟ يرد الراوي باستكانة (يا جماعة الخير بالعدال علي.. ترى ناقل الكفر ليس بكافر!) ينبري له أحد الشباب محتدا (زين.. ما دمت عارف أنه كفر ليش تنقله وتشيعه؟ مو حرام؟!).



الشيخ البصير.. والشيخ الفلاح

الشيخ عبدالعزيز شاب ضرير، متعلم تعليما عاليا، ويدير مدرسة لتعليم فاقدى البصر، ورئيس تحرير المجلة الخاصة بهم، وإمام وخطيب جامع عند اللزوم! وهذا اللزوم حدث حين غادر المنطقة الشيخ بومحمد إمام جامع «العدساني في منطقة كيفان» منذ ربع قرن حتى الآن. وهو- الشيخ بومحمد- أزهرى فلاح مترع بالصلاح والسماحة والبشاشة والصبر وطول البال والرحمة والمحبة. ولذا كان محبوبا من كافة سكان المنطقة! وحين غادر الكويت المحتلة أثر المضايقات التى تعرض لها. حزن لمغادرته الجميع وودعوه بالأحضان والدعوات والأمل فى لقاء قريب.

وشيخنا الأزهري من ريف مصر المحروسة. أعرفه منذ أن جاءنا إلى المنطقة لأول مرة. كان شابا عفيا باسما بشوشا صابرا صبورا على «لجرة[1] النجادة[2] والبحارة» وغيرهما! وكان يحاور الشباب المتدين الأخضر، بصبر وأناة وسعة صدر، ورؤية اسلامية مستنيرة، ومزاج مصراوى ظريف وجذاب ومؤثر ويستأهل التأمل والمقارعة بالتى هى أحسن!.

---

(١) جدل.

(٢) الكويتيون من ذوى الأصول النجدية.

ولأن مسجد «العدساني» في منطقة كيفان مسكون بالشورى، فقد تمخضت المشورة عن اختيار الشيخ عبدالعزيز إماما وخطيبا، خلفا للشيخ «بومحمد» إلى حين عودته إلى الكويت الحرة بإذن واحد أحد!.

وفي اليوم الذي سبق مغادرة الشيخ بومحمد للديرة عبر البر ومن ثم البحر وعودة للبر ثانية لطي آلاف الكيلو مترات ليصل إلى بلدته في مصر المحروسة.. في هذا اليوم تحلق حوله العديد من المصلين خارج المسجد، وأمطروه بدعاباتهم اللاذعة عن شوقه للعيال وأمهم.. وللبلد وأهل البلد والأرض والجاموسة والعسل الأبيض والفطير المشلتت وقرآن الفجر ومصطبة الفقه والمعرفة والفول الحراتي والجبنة والمش والبصل الأخضر والعيش والملح ونحبس «بالصلاع النبي» بكباية شاي كشري مافيش بعد كده.

كان الشيخ يسمع ويضحك ويحاول الرد ولكن الأغلبية بلعته. ومع ذلك لم يعدم وسيلة يداعب بها خليفته الشيخ عبدالعزيز «تلاقيك يا بو سعود فرحان قوي عشان أنا مسافر وسايب لك الجمل بما حمل! طبعا يا عم مين قدك يا شيخ عبعزيز.. أهو أنت بقيت مكاني من حيث لا تحتسب! لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك». يرد عليه «بو سعود» باسما «أراك يا شيخ محمد زودتها حبتين وكأنك تريد أن تحيل لحظات وداعك إلى مشاهد نكد مأساوي وتأسيا بالعادات الوطنية المصراوية اياها ؟!.

والشيخ عبدالعزيز متخرج من جامعة الكويت (كلية الاداب. قسم اللغة العربية) ويجيد القراءة والكتابة بطريقة الحروف البارزة «برايل» وهو الآخر إنسان تقي ومرح واجتماعي وشديد الفطنة. ذات يوم فوجيء بأن منافذ وقواطع الحي الذي يقطنه في «كيفان» قد طوقته السلطات العراقية المحتلة من كل صوب وفوجيء أيضا بأن أحد نقاط «السيطرة» والتفتيش أمام منزله تماما. ولأنه إنسان فاقد البصر فقد كان يتحرش بجنود السيطرة بتعمد الاصطدام بهم الأمر الذي يضطرهم إلى اقتياده مخفورا حتى عتبة الساحة الخارجية للجامع فقط. وكان يلح عليهم بضرورة ايصاله حتى مكانه في الصف الأمامي، لكنهم يرفضون طلبه! ربما لخشيتهم من دخول الجامع لنجاستهم- على

حد اعتقاد شيخنا المشاكس.

وفى يومى الخميس والجمعة اللذين حدثت فيهما أكبر حملة اعتقال تعسفية.. اضطر الأهالى إلى لزوم بيوتهم. سيما بعد أن بدأت العمليات الحربية البرية «لعاصفة الصحراء» وكان كل السكان الذين يقطنون فى شارع واحد يجتمعون فى السرداب الواسع القادر على احتوائهم جميعا. ونظرا إلى حراجة الظروف الأمنية، فقد كانوا يصلون جماعة داخل السرداب. وكف أغلب الأهالى عن الخروج، لكن الشيخ عبدالعزيز لم يكف عن الذهاب إلى الجامع واطلاق نداء «الله أكبر» خمس مرات فى الأربع والعشرين ساعة. غير عابىء بهجمة الاعتقالات التعسفية الشرسة، التى طالت جميع الأسر ولم توفر منها أحدا! ولطالما تعرض «بو سعود» إلى السين والجيم لسؤاله عن الخطيب الذى اعتلى المنبر أمس أو اليوم وعن ذلك الذى قال كذا وكذا.. الخ ولكن شيخنا يلعب معهم وبهم لعبة «عمك أصمخ»[1] فتسمعه يزأر بهم كيف تريدون منى التعريف بأحد وأنا- كما ترون- ضريرا وهنا ينفذ منهم بقدرة قادر. لأنهم يمارسون الاعتقال التعسفى بعدل واضح.. بحيث يطال الجميع! ولا يشفع لأحد غياب نظره أو كبر سنه أو مرضه! ولعلنا لاحظنا أن بعض فاقدى النظر كان ضمن المعتقلين والأسرى.

وبهذا المنحى الاعتقالى الإرهابى التعسفى كان يكمن اعتقال شيخنا ولكن الله سلم.

(١) أطرش.





الصبيان رجالا

لأن ديوانية المرابطين ديموقراطية شعبية.. فلذا تجدها عامرة بشتى الأعمار والطبقات والأمزجة والأفكار والاجتهادات. يجلس فيها الطفل والصبى والشاب والشايب والذى بلغ أرذل العمر والمخرف أيضا..!!.

ولعل أكثر ما لفت نظرى وأثار دهشتى هو التغير بل الانقلاب الذى طرأ على سلوك وأهتمامات ونشاط وفعل الصبيان المراهقين. أولئك الذين ألفنا رؤيتهم يتسكعون بسياراتهم غير المرخصة ويمارسون «التشفيط» وسباق الموت على الطرق السريعة: فقد وجدتهم «يكرجون» سياراتهم الرياضية فى المرآب أو «الكراج»- بالأذن من مجمع الخالدين بمصر المحروسة. ورأيتهم يقصون شعورهم الطويلة التى تسترسل على أكتافهم ويربون ويطلقون لحاهم ويرتدون ملابس الفرانين والخبازين والجزارين والزبالين والنجارين.. الخ. ويملأون الشوارع والمرافق فعلا وحركة وعطاء وحياة. ويشمرون عن ساعد الجد والمثابرة والصبر والاجتهاد. ولا يرتاحون وينامون سوى ساعات قليلة! والمدهش أنهم فى أيام قليلة تمكنوا من اتقان الأعمال والحرف والمهام التى يقومون بها. فذلك الصبى الذى لم يكن يجيد سلق بيضة إلا عبر وسيط اسمه الطباخ صار يشغل ويدير ويصون الفرن الآلى، وأصبح خباز أو شواء عبر تشغيله للتنور

الشعبى، وغير ذلك من مهن وأعمال الحياة اليومية الأساسية.

وفى اعتقاد البعض منا بأن العام الدراسى قد ضاع على الأطفال والصبيان المرابطين بمعية والديهم وذويهم، وفى ظنى أن هذا الاعتقاد غير صحيح ولا يعبر عن الحقيقة! أقول ذلك لأن المعرفة التى اكتسبوها والدروس التى تعلموها والتجارب والخبرات التى مروا بها لن يتاح لهم معرفتها لا فى درس أو كتاب أو مدرسة!.

والحق أنهم مروا بدروس واجتازوا امتحانات لم يعرفها غيرهم ولن يتاح لهم معرفتها البتة! لأنها معرفة خارجة من رحم المحنة ومعاناتها وتحدياتها وأسئلتها واجاباتها.

وبهذا المعنى أخشى القول بأن الأطفال الذين غادروا الديرة- عنوة وقسرا واضطرارا- هم الذين ضاعت عليهم السنة الدراسية! لأن التلاميذ المرابطين، يمكنهم اكتساب وتعلم المعارف والمعلومات المدرسية فى أشهر معدودة، لكن التلاميذ النازحين لن يكون فى مقدورهم تعلم دروس «السنة الدراسية» للاحتلال اطلاقا! لأن دروس المحنة، لا تنفع معها الدروس الخصوصية... ولا غيرها. فقد صهرت المحنة عيال الديرة فى بوتقة الرجولة، فخرجوا منها رجالا رغم طفولة عمرهم الزمنى. فترى الواحد منهم يجالس الكبار فى الديوانية ويحاورهم، بلسان ومنطق العارف لها لا «الياهل»[1] ويتصدى لمداهمات رجال الأمن والاستخبارات واستجوابهم بثبات الفرسان ورجولتهم.

أن المعرفة والتربية والتعليم، ليست مرهونة ومحصورة فى الكتب والمقررات والامتحانات الأكاديمية، بل تتجاوزها إلى سبل أخرى للمعرفة، تتبدى فى المعاناة والتجارب والمحن والشدة والبلايا والعبر ودروس الحياة.. وما إلى ذلك.

ومن هنا أقول بأن السنة الدراسية، التى درسها التلاميذ المرابطون، لن تنمحى دروسها أثر الامتحان ونيل الشهادة الدراسية.. بل ستظل محفورة فى الذاكرة ساكنة فى الوجدان إلى ما شاء الله!.

---

(١) يطلق على الطفل باللهجة الدارجة تسمية «ياهل» أى جاهل.



* سيظل الديكتاتور «المهيب» رئيس العصابة الأرهابية التى تحكم العراق وتتحكم به محل تأمل ودراسة وتحليل وتشخيص العديد من الفلاسفة والمفكرين والمؤرخين والمبدعين وعلماء النفس والاجتماع والطب النفسى والجريمة وغيرهم.

وأحسب أن شخصيته الدموية الاجرامية الإرهابية فريدة من نوعها ولا شقيق أو توأم لها! فلا أحد يشبهها أو يبزها، فى الذيكتاتورية والقمع والأرهاب، والممارسات الاجرامية الطافحة بالغدر والخيانة، وكل القبح الموجود فى النفس الإنسانية الشاذة.

ولعل أكثر الناس الذين فجعوا فى «الرئيس القائد، والزعيم الملهم، حامى العروبة والإسلام، نصير الفقراء والمستضعفين، المجاهد الأول محرر الأراضى العربية السليبة والمدافع عن البوابة الشرقية للأمة العربية»!! واللهم زد وبارك فى أسماء «المهيب» وصفاته والقابه ومناقبه!.. هم مريدوه!!..

وهم أكثر الناس فجيعة.. لأنهم المريدون الذين طالما هتفوا له، ودبجوا فى شخصه القصائد والأناشيد، وغنوا له وتغنوا باسمه، وهيئته وطلعته و «عبقريته»! وهم الذين أيدوه وباركوا خطواته وغضوا الطرف- أو لم يعلموا- بزلاته وأخطائه وخطاياه!.

والمفارقة المأساوية التى زادت زخم الفجيعة والألم والندم والقهر، تكمن فى أن الطاغية «سفاح حسين»، لم يوفر مريديه من طغيانه وقمعه وحرمنته ومصادرته للأنفس والممتلكات والآراء وأصحابها! أنها «اشتراكية» القمع والأرهاب التى تعدل بين المريدين والمعارضين! لمجرد أن المريدين عرفوا- وبعد خراب حلبجة والكويت والبصرة- أنهم كانوا مخدوعين مفتونين بالزفة الإعلامية الدعائية، المستغلة لعواطف الجماهير المحبطة المتطلعة إلى الخلاص من نفق اليأس والقنوط والقهر!.

ويبدو أن الطاغية «سفاح حسين»، حين غزا الكويت واحتلها، كان يعول كثيرا على أن المريدين والمؤيدين ومن لف لفهم، سيفرشون لقواته- الغازية الغادرة- الأرض والحدود بالسجاد والورد، ويستقبلونهم بزغاريد الفرح والتأييد، وأكاليل الغار! لكنه منى بالخيبة والرفض والخذلان، لأنه لم يجد نفرا واحدا من مريديه يقبل التعاون والتآمر معه. بل لم يجد أحدا يهتف له أو يؤيد دعاويه الباطلة المتهافتة، أو يقتنع بشعاراته العنترية الرنانة! ولذا لجأ إلى بعض «الأسرى» والدمى، والامعات وأصحاب السوابق وأرباب السجون وأمثالهم، لكى يمثلوا على «مسرح العرائس» العبثية البعثية «تمثيليات»، ثورة الكويت، وحكومة الكويت الحرة المؤقتة، وعودة الفرع إلى الأصل، والضم والوحدة الاندماجية، والحق التاريخى فى اعدام واعتقال أهل الكويت واستباحة أعراضهم وأملاكهم و..... إلى آخر حلقات المسلسل الأرهابى «الصدامى» الإجرامى.

وهكذا وجدنا المواطن العراقى «المعيدى» الذى تسلل إلى الكويت طفلا وتسلل- من ثم- إلى الجنسية الكويتية زورا وتزويرا.. يتحول فى التليفزيون العراقى إلى «الشيخ حمدان الظفيرى» ويتحدث- لافض فوه- بما هو مكتوب له فى الورقة بلسان «الثورى النورى الأكلنجى» على رأى أخينا الشاعر «أحمد فؤاد نجم»، وينسى المتحدث أنه يخاطب «أهل «اقربه» مواطن الكويت الذين يسمعون بـ «المعيدى» ويعرفوه! ويخبرونه «شيخ منصر وشيخ نصب» وربيب سوابق ونزيل سجون! ويعرفون بأنه لا «شيخ» ولا

«ظفيرى» وكل ما فى الأمر أن هذا الشاذ موهوب فى التسلل والتسلق ومسح الجوخ القمىء! وهذه الموهبة كانت مطيته إلى الغنائم التى سلبها من الكويت التى استباحها عراية المافياوى المهيب. وهى التى أدخلته إلى استوديوهات التليفزيون «ليقرأ» المحفوظات والتوجيهات بما فيها من سباب وبذاءات وترهات تثير الغثيان!.

❋ ❋ ❋

طبل ولى النعم!

وهكذا وجدنا كذلك تليفزيون «نصيف» جهبذ الإعلام وعبقرى الاتصال يختار فنانا عراقيا، ولد فى الكويت وتربى فيها، وتعلم بمدارسها ومعاهدها العالية وعمل فيها براتب سخى، وصار له بيت وزوج وأسرة.. أقول يختار هذا الفنان ليكون دمية هو الآخر، فى «مسرح عرائس نصيف» وليمثل دور الإعلامى التقدمى الثائر.. بينما يعرف الناس بأنه مجرد جعجاع يردد صوت سيده!.

وقد ظن هذا الفنان الدمية بأن لمعانه التليفزيونى الآنى حقيقى ودائم.. وتناسى الممثل أن العملية كلها «تمثيلية» ممجوجة فارغة مكتوب لها الموت لأنها مكتوبة بمداد الأفلاس والتبجح الأجوف! ولو أنه حصر دوره فى حدود «دمية مسرح العرائس» لهان الأمر. وربما اكتفينا بالقول: بأنه مجرد واحد من الأرزقية الذباب الذى يحوم حول الحلوى! لكنه عن له، أو زين له، أن يخرج عن طوره وعن دوره. فخرج على النص طمعا بالغنيمة والمجد والمركز والامتيازات.

ووسط الزفة الإعلامية لعراق «سفاح حسين» ابان الشهرين الأولين من الاحتلال، تحول هذا الفنان إلى «دنبك»[1] يطبل بمديح ولى النعم وينشز بكيل السباب والأكاذيب

(١) طبلة.

للكويت وأهلها (أمير ومواطنين). وحين أدى دوره المرسوم له وفق السيناريو المطبوخ في وزارة الإعلام العراقية لفظوه وتركوه على الهامش.

وهذا هو دأبهم مع كل عميل أو مريد! في البداية يحتفون به ويتحفونه بالعطايا وكل ما يبغيه تحفيزا له على أداء دوره بحماس واخلاص، وحين يفرغ من دوره القذر فإن مصيره المحتوم- حسب السوابق- لا يخرج عن هذه الاحتمالات المأساوية التالية، أولهما: الموت بحادث مدبر أو بأي عدة من عدد الموت! ثانيهما: الاعتقال مدى الحياة يموت خلالها «الرفيق» من جراء «وجبات» التعذيب التي يصعب حصرها وتصورها! وثالثهما: النفي الاجباري إلى بلد أجنبي يقبله لاجئا سياسيا.. وصيدا محتملا لقناصة الأرهاب «الصدامي» خشية أن يصدق أنه لاجيء سياسي حقيقي فينتسب إلى المعارضة ويكون شاهدا عليها.

الحاصل أن الإعدام ينتظر المريدين والمرتدين! والموت حكم كل واحد! فكل مواطن عراقي أو كويتي- ابان فترة الاحتلال- هو مشروع محتمل للعدم والقتل والإعدام!.

ويبدو أن هذا الممثل تقمص الدور ونسي نفسه، فراح يدور على الفنانين والنجوم، ليهتفوا للطاغية وقواته الإرهابية المحتلة «هلا بيك هلا.. وبجيتك هلا» ولكنه لم يجد واحدا من الأدباء والفنانين وغيرهما، يستجيب لميكرفون الخيانة والغدر. اللهم سوى بعض المستضعفين الذين «أقنعهم» بالظهور في برنامجه التليفزيوني عبر حوار «الكلبشات»[1] والسونكي والصدمة الكهربية.. إلى آخر بقية عدة الحوار!.

الحاصل أن مهمته القميئة التهريجية، كانت ساقطة وفاشلة، ولم يصفق لها جمهور المشاهدين أو يضحك لمواطن ومواقف التهريج فيها. بدا لهم هذا الفنان يؤدي الدور الأخير كفنان وإنسان.. لأن المهمة التهريجية القذرة، أنهت دوره كفنان وإنسان! لكنه هو نفسه، لم يكن يشارك جمهور المشاهدين في حدسها ونبوءتها الوجدانية الوطنية. كان يظن أنه أدى دورا ملحميا، يستأهل عليه لقب فنان الشعب، ومنصب وزير الإعلام

---

(١) الأصفاد.

والثقافة.. أو وزير التهريج والمهرجانات الأحتفالية الشاهنشاية.. لا فرق!.

أن الفن موقف واختيار وفعل للأنفع والأرفع.. والفنان الحق لا يقف ضد الحق مع البغى والعدوان والاحتلال. لأنه أن فعل ذلك يكتب شهادة وفاته الفنية والإنسانية بيده وموقفه واختياره!.

لقد كان ظهوره التهريجى فى التليفزيون العراقى، بمثابة إعلان لوفاته.. لأنه مثل دورا يستفز عامة المشاهدين المواطنين والمقيمين، ويثير غثيانهم واشمئزازهم وحفيظتهم. ولذا يعمدون إلى اغلاق مفتاح التليفزيون، كلما ظهر هذا المهرج الأرزقى، وهو يلوك ويجتر، دوره الببغاوى «العنترى» صوتا وجعجعة!.

ودلالة اغلاق التليفزيون بالغة التعبير، رغم بساطة فعلها وعفويته. ومشهد اغلاق التليفزيون لم يكن صامتا. كان يعقبه قذائف من حمم الغضب، والحكم والأمثال والزهيريات والقصائد والنكت والقفشات وآى من الذكر الحكيم.

قال واحد- أثر مشاهدته لأحد العروض التهريجية لهذا الممثل وبعد أن بادر بأغلاق التليفزيون- سبحان من يحيى العظام وهى رميم.. (ثم تنحنح قليلا ومشط لحيته بأصابعه) واستطرد: لا اله إلا الله. سبحان الدايم. يمهل ولا يهمل!.

ولكن من يقرأ سنة الله فى الأرض والناس والملوك والصعاليك؟! ومن يستدعى إلى ذاكرته ووجدانه قوانينه الحتمية التاريخية الثابتة الأزلية المتواصلة على مر الأزمنة والعصور والرؤساء والملوك والأباطرة والحضارات.. الخ؟!

ومعذرة لهذه الموعظة.. فالحق يقع علىّ وطأة التهريج والزيف اللذين خيما على سماء الإعلام والثقافة فحرضا العبد لله على دحرجة الخطبة العصماء السالف ذكرها! ما علينا.

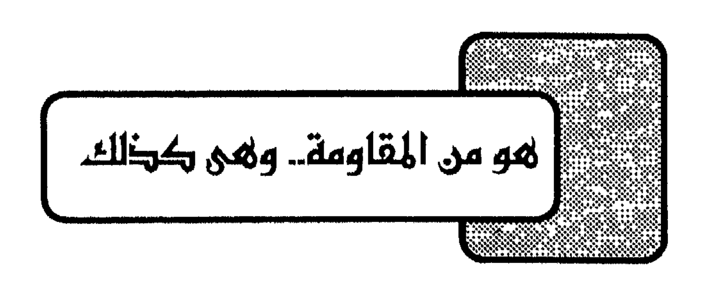
المهم أنه لا يصح إلا الصحيح. فقد عادت وحضرت الكويت الحرة المحررة..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانتصر الحق وزهق الباطل. وغاب دمية مسرح العرائس التهريجي.. وتعالى صوت الراوي مرددا «يمهل ولا يهمل».

نهاية ربانية لم ترد في سياق سيناريو الدور المرسوم له من قبل سيناريست.. ولكنها الحتمية الربانية التي يجسدها قانون «يمهل ولا يهمل».

ولكن هل يتعظ الطابور الخامس، ويتدبر التاريخ وسننه ونواميسه وقوانينه وحتميته الربانية. يبدو أن بريق الذهب، وظلام الأرهاب والجبن، يعمى بصرهم وبصيرتهم! ولو لم يكن الأمر كذلك.. لما كان هناك خونة وجواسيس ومرتزقة ومنافقين...



لعله من الضرورى أن تصدر قائمة بأسماء الرجال والنساء المساهمين فى أنشطة وأعمال المقاومة.. أقول ذلك: لأن كل من هب ودب صار ينسب نفسه إلى المقاومة! وصارت المقاومة مطية لكل طالب غنيمة وامتياز، وشهرة وبراءة ذمة، وشهادة حسن سير وسلوك.. وغير ذلك!.

نحن لا نلوم هنا معشر الصحفيين والإعلاميين، الذين يديرون المقابلات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية.. لأنهم وسط العجالة والسبق الصحفى قد يخلطون الحابل بالنابل.. وقد يتسلل- وسط الزحمة- بعض المتطفلين والأفاقين، والباحثين عن بطولة بدون فعل ولا قضية، وعن استشهاد بدون تضحية بالنفس ولا شهادة! ومع ذلك فيفترض فى الموثقين الإعلاميين، تحرى الدقة فى اختيار أولئك الذين يوثقون لهم ذكرياتهم، ومذاكراتهم وشهاداتهم وأفعالهم ودورهم. لأن هذه المقابلات الوثائقية أمانة تاريخية، تستوجب الصدق فى رواية الواقعة دون افراط ولا تفريط.

وبمناسبة التكالب على الانتساب إلى المقاومة الوطنية العسكرية،- بحق وبدون حق- أود القول بأن المقاومة فعل لا ينحصر فى حمل السلاح واطلاق النار على العدو

المحتل.. بل أنه فعل عريض عميق واسع، شامل لكل موقف وفعل، وممارسة وقول وصبر، وصمود يشي بالمقاومة ويعبر عنها ويترجمها، بأي صورة ومعنى ومنحى.

وبهذا المعنى: فإن عامة المرابطين ينتمون- بالضرورة- إلى المقاومة الوطنية! ولكن عامتهم لا يزعمون أنهم كذلك.. حسبهم أن اختيارهم لموقف المرابطة يعني- بداهة- مجاهدة المعتدى المحتل، والعمل على مقاومته، ورده على أعقابه خاسرا مدحورا.

إن المقاومة الوطنية- وأمثالها من الأفعال- تستأهل التأريخ والتوثيق من كافة عناصرها المعروفة والمجهولة. ولا يجوز- أمانة وتاريخا- الاستحواذ على أكاليل الغار والتغطية الإعلامية والتوثيق التاريخي لأفراد معينين أو لجماعة بذاتها، لأن موقف المرابطة، اختيار شعبي عفوي، لا يمكن تجييره لفرد من الأفراد، أو جماعة دون غيرها من الجماعات.

أقول ذلك: لأن بعض الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم بشأن محنة احتلال الكويت، صادروا جهود وتضحيات غيرهم، وكرسوا كل فعل ضد الاحتلال والمحتلين لحسابهم فقط! وكأنهم «المرابطون» وحدهم دون غيرهم من عباد الله المواطنين والمقيمين!.

ونسي هؤلاء وتناسوا، بأن ذاكرة الشعب صاحية ومستيقظة.. وبهذا المعنى فإن المحنة وأبطالها المعروفون وغير المعروفين «والمجهولين» محفورة في الذاكرة، ومتجذرة في الوجدان، وساكنة في الضمير الجمعي. ومن هنا يصعب، بل ويستحيل- سرقة الفعل وشطب اسم الفاعل أو نفيه!.

أن من حق أي فرد أو جماعة- اختارت المرابطة في الديرة المحتلة- الادلاء بشهادتها. ومن واجبها الالتزام بالشروط الشرعية الربانية لشاهد الاثبات. لكن هذا الحق لا يعني الادعاء بفعل وطني أو خيري... الخ. على الرغم من أن الفعل جماعي كما هو معروف لخاصة وعامة المرابطين. ذلك أن هذا الزعم ينفي حضور الوحدة الوطنية التي ولدت من رحم المحنة.. وتصدت للاحتلال وقاومته بشتى أنواع المقاومة.

إن كتابة التاريخ من وجهة نظر حزبية ضيقة، فضلا عن الغاء اعتبار الشهود الآخرين، الذين لا ينتسبون إلى حزب الباحث أو المؤرخ، ليس تاريخا ولا توثيقا أمينا.. بل عملية لوى للحقائق والوقائع، وتطويعها لخدمة أهداف الحزب- أو الجماعة- وأطماعهوأطماعها!.

إن المعنيين بالتاريخ العربى والإسلامى- بكافة حقبه- ما انفكوا يطالبون باعادة كتابة التاريخ وفق التقاليد والمناهج والأسانيد والتقنيات التوثيقية.. عدة وعتاد وزاد الباحث والمؤرخ وهذه المطالبة واضحة الدلالة والغاية. فقد كتب فى هذا المنحى الكثير ولا مجال لزيادة. حسبنا أن نقول فى هذا السياق بأننا نتمنى صياغة وتوثيق محنة الاحتلال وآثارها وتداعياتها وتحدياتها واستجاباتها.. بدون أن نسمع أو نقرأ- يوما- من يطالب باعادة كتابة تاريخ محنة الاحتلال العراقى الغاشم لدولة الكويت!!.

ومعذرة لهذا الاستطراد..

لكن العزاء يكمن فى أن القضية ملحة وحيوية، وتستأهل الاستطراد حسب اعتقاد العبد لله!.

وبصراحة.. فإن الذى استفزنى إلى كتابة هذه الكلمات اللقاءات التى يعملها التليفزيون الكويتى «القناة الثانية مكررا» مع بعض المرابطين والمربوطين وغيرهما!.

ومنذ الثانى من أغسطس «آب» ٩٠ طلقت التلفزة والاذاعة الكويتية بالثلاثة، وتبت عن تعاطى الفرجة على برامجه وسماعها واكتشفت أن أغلب الأعراض والأوجاع والبلايا التى أعانى منها مردها ادمانى على البحلقة فى الطلعة «البهية» للشاشة الكويتية! ومن يومها أدرت ظهرى للتليفزيون الكويتى وغيره. ورحت أسمع الأخبار والتعليقات من صفحات التاريخ وقوانينه وعبره ودروسه! وقد يبدو لك الحديث «لك عليه»[1].. فلا بأس على الكاتب ما دام هذا المنحى يريح المرء، ويوصله إلى تحليل يقنعه ويعول عليه، أكثر من التنظيرات والتحليلات الاستهلاكية التى انهمرت على

(١) يعانى من القصور والخلل

دماغ الإنسان العربى من كل صوب!.

ومهما يكن الأمر: فإن مهمة تأريخ وتوثيق محنة الاحتلال لا يجوز أن تستأثر بها جماعة دون غيرها. سيما إذا كانت هذه الجماعة حزبية الهوى، وترتبط بجماعات عربية حزبية تشاركها نفس الاختيار الفكرى.. وسبق لهذه الجماعات تأييد نظام «سفاح حسين» لاحتلال الكويت وانسياقهم وتصديقهم لغوغائية الدعاية المزرية.

ومن هنا فإن شهود الأثبات وفرسان الفعل وأبطال التضحيات والجنود المجهولين الذين يختارون الصمت والظل ويهربون من ضوء الشهرة وكاميرات وميكروفونات النجومية.. مطالبون بالادلاء بشهادتهم..

لأن كتابة التاريخ أمانة ومسئولية وطنية.. ولأن توثيق محنة الاحتلال وآثارها... الخ. مهمة وطنية وتاريخية ضرورية. ولا يجوز أن تعامل بخفة المقابلات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية التقليدية الاستهلاكية.

كما أن كتابة التاريخ وتوثيقه لا يمكن أن تتم وفق طريقة «من سبق لبق» وحسب لعبة الكراسى الموسيقية! لأن هذا المنحى يسعى إلى الاستئثار بكل شيء ويهدف إلى الحصول على مكاسب سياسية آنية ومستقبلية!.

لكن الذى يعزينى يكمن فى أن الشعب ليس فاقد الذاكرة كما يحسب البعض ويتمنى!!.



حين يأتى الأوان المناسب للكتابة عن محنة احتلال النظام العراقى لدولة الكويت فإن الباحث والمؤرخ الصحفى سيتوقف كثيرا أمام الدور الإيجابى الحيوى الذى قامت به المرأة الكويتية ابان هذه المحنة المأساوية.. ولابد له من تكريس العديد من الصفحات لتوثيق فعلها وتحليل استجابتها الصحية المشرفة لتحديات هذه البلية وآثارها المختلفة!.

وإذا كانت المحنة ابتلاء وامتحان يكرم فيه المرء أو يهان ويجتازه بمرتبة الشرف أو يسقط فيه إلى الأبد فلا تقوم له قائمة. أقول إذا كان الأمر كذلك فيمكننى القول- كشاهد عيان- بأن المواطنة الكويتية قد نجحت بجدارة فى تجاوز المحنة وتحدياتها!.

فقد كشفت المحنة أصالة معدنها وصلابة عودها، وازالت صدأ الرفاهية العالق على سطح جوهرها! فهذه المرأة التى كانت تبدو من الخارج هامشية لا هم لها سوى التسوق وثرثرة شاى الضحى والعناية بأزيائها وزينتها وحليها، وتعيش فى بيتها مثل نزيل الفنادق الذى يأمر فيطاع دون أن يحرك ساكنا. أقول هذه المرأة التى كانت تبدو كما وصفتها آنفا حولتها المحنة إلى إنسانة أخرى مغايرة للصورة الشائعة عنها بحق أو

بدون حق. أو لنقل- بعبارة أخرى- أعادتها المحنة إلى جوهرها النفيس وأزالت عنه قشرة الرفاهية وصدأ الحياة الاستهلاكية! يكفى للدلالة على ما ذكرته آنفا أن أول احتجاج علنى ورفض سافر ضد الغزو والاحتلال انطلق من حناجر المواطنات- على اختلاف أعمارهن- حيث قدن مظاهرات نسائية دامت وتواصلت طوال الشهر الأول من الاحتلال الغاشم. ولست الآن بصدد الخوض فى التفاصيل والأسماء وكافة الأنشطة التى قمن بها.



المرأة توأم الأرض

حسبى أن أقول باختصار بأن دور المرأة فى رفض الاحتلال والتصدى كان يضاهى دور الرجل! وهذه الشهادة ليست من عند كاتب السطور بل أنه سمعها من الرجال أنفسهم. حيث أطلقوا على المواطنة المرابطة تسمية «أخت الرجال» دلالة على أن فعلها رجولى فذ! ذلك أن هذه التسمية عروبية بدوية لا يطلقها اخوتنا البدو مجازا وجزافا بل يخصونها بالمرأة الفعل والموقف والسلوك الذى يميزها عن غيرها من النساء.

وقد أخبرنى بعض الأخوة بأن العديد من الأمهات والزوجات كن السبب فى اختيار رجال الأسرة موقف المرابطة والصمود وعدم النزوح من الوطن! إلى درجة أن بعضهن كادت تقوض حياتهم العائلية بسبب رفضهن العنيد مغادرة الوطن مهما كانت وطأة المعاناة التى يتعرض لها المرابطون فى الديرة! ومن ناحية أخرى فإن العديد من الأسر الكويتية التى كانت غائبة عن الوطن عند وقوع الاحتلال الغاشم عادت إلى البلد بسبب تحريض النساء وثمة مواطنات كثيرات عدن لوحدهن- من الديار التى كانت أسرهن تمضى فيها الأجازة الصيفية- على الرغم من طول المسافة ومشقة السفر! الأمر

الذى يحرضنى على التساؤل عما إذا كانت المرأة أكثر ارتباطا بالأرض من الرجل؟!.

وفى هذا السياق ألا تلاحظ معى بأن المبدعين كثيرا ما يرمزون للأرض والوطن بالمرأة؟! ألا يدل هذا الرمز على أن هناك علاقة عضوية بين المرأة والأرض؟ ألا تشير هذه الدلالة الرمزية على أن المرأة توأم الوطن وشقيقة الأرض وأحد رموزه العريقة المتواصلة على مر الأزمنة والعصور؟!.

ومهما يكن الأمر.. فيكفى القول بأنها مواطنة مرابطة كما الرجل تماما!.

❋ ❋ ❋

المرأة ومساواة القمع!

ومن هنا فإن سلطة الاحتلال القمعية تمارس الأرهاب والقمع على الرجال والنساء على حد سواء! لأن النظام العراقى المستبد يساوى بين الرجل والمرأة، ولا يفرق بينهما فى ممارساته تحقيقا لمنحاه فى تطبيق العدالة والمساواة! الأمر الذى دفعه إلى اعتقال أكثر من ستمائة امرأة! وعلى الرغم من مرور عدة أشهر على اعتقالهن إلا أن أهاليهم لا يعرفون المعتقل الذى يستضافون به. وبالطبع لم يسمح لذويهن بزيارتهن وتفقد أحوالهن! ومن المؤكد بأن موقف سلطة الاحتلال تجاه المعتقلات من النساء يكمن فى خشية السلطة الأرهابية من اكتشاف الأهالى والرأى العام آثار التعذيب الذى تعرضن له! ولعلهم لن يفرجوا عنهم إلا بعد زوال آثار العدوان والتعذيب المسلط عليهن ليل نهار! وإلا ما الداعى إلى حبسهن كل هذه المدة، وعزلهن عن العالم الخارجى؟! أن لم يكن بسبب خشية النظام العراقى الفرعونى من افتضاح ممارساته الاجرامية؟! ولا حاجة بنا إلى التنويه بأن هذا السلوك الاجرامى المشين يعرى سوءة نفاق النظام ويفضح ازدواجية سلوكه المتبدى فى اطلاق سراح الرهائن الأجانب.. وفى عدم اعتقال النساء

منهن. رغم جعجعته عن ازدواجية المواقف والسلوك الغربى.. وغير ذلك من المواعظ الأخلاقية التى يتناقض فيها قوله مع فعله!.

وعلى الرغم من اعتقالهم للمواطنات الكويتيات وحرمانهن من حقوقهم الإنسانية المشروعة.. إلا أن المواطنات ما زلن صامدات صابرات إلى ما شاء الله.

وقد ذكرت المواقف المخزية للسلطة العراقية- تجاه النساء الكويتيات- لا بقصد التشهير بالنظام العراقى لأنه بات مشهورا بسياسته الأرهابية وممارساته القمعية فى كل أرجاء العالم. بل ذكرت ذلك للتدليل على أن المواطنة الكويتية تكابد نفس معاناة المواطن الكويتى، الأمر الذى يبرهن على حضورها وفعلها الواضحين فى مجابهة المحتلين!.

والحق أن دور المواطنة المرابطة لا يقف عند حد المجابهة السلمية، بل أنه يشمل شتى أنواع الفعل فى مجال الخدمات التطوعية وغيرها. والتى تناسب قدراتها وتخصصها المهنى وما إلى ذلك.

أضف إلى ذلك دور المواطنات فى بيوتهن، إذ أن نساء كل بيت يقمن بكافة الأعمال والخدمات المنزلية، التى كانت موكلة إلى الشغالات والطباخات والمربيات... الخ. اللواتى ينتمين إلى جنسيات غير كويتية.

فحين هجت العمالة الوافدة (من الجنسين) من الكويت ظن البعض بأن الكويتيين قد يهجرون منازلهم للأقامة فى الفنادق بدعوى أن نساء البيت غير قادرات على ملء فراغ العمالة الوافدة، لكن تجربة محنة الاحتلال حرضتهن على أداء مهامهم البيتية بدون كلل ولا ملل، وكأن البيت الكويتى يعيش عقدى الأربعينات والخمسينات والذى كان لا يعرف شغيلة المنازل بل يعتمد على سواعد أهل البيت ذاتهم. فكانت ربة البيت- بمعية بناتها- هى التى تطبخ وتخبز وتحلب البقرة والمعزة وتكنس وتغسل... الخ. وكان عملها يبدأ مع طلوع الفجر ويستمر- دون انقطاع- إلى ما بعد صلاة العشاء! وكانت البنية الصبية تتعلم التدبير المنزلى، وتتدرب على الأعمال المنزلية منذ

صباها. فتراها تساعد والدتها على أداء كافة الخدمات والأعمال منذ صغرها، بحيث أن الواحدة التى تجهل هذه المهام، تعد إنسانة «غير سوية» لم تحسن والدتها تربيتها، واعدادها للحياة الزوجية المرتقبة! إلى درجة أن البنية الجاهلة بشئون البيت تعتبر غير مرغوبة من قبل أولاد الحلال الأمر الذى قد يتسبب فى تأخير زواجها إلى حين اتقانها لمهمة ربة البيت! إذ أن ظاهرة شغيلة المنازل لم تكن سائدة وغير مألوفة فى ذلك الزمان. اللهم إلا فى بيوت القلة من الميسورين القادرين على شراء «العبيد» الذين يجلبون وهم صغار ليترعرعوا داخله ومن ثم يوكل اليهم أداء بعض المهام المنزلية مثل بقية أفراد الأسرة وفى أثناء زيارتى الصحفية[1] كنت أدعى إلى تناول طعام الغداء والعشاء فى منازل الأخوة المرابطين. وكان رب كل بيت، يحثنى على أن أذوق خبز «الخمير» وأتناول هذه الأكلة وتلك الطبخة، مؤكدا بأن المائدة من طبخ أم العيال ذاتها! تشجيعا لى على تناول الطعام، وتحريضا لشهيتى على أن تطعم كل لون، وكان لسان حال الجميع يقول (لقد أعادتنا المحنة إلى الأيام الخوالى، فصرنا نأكل وجباتنا وأكلاتنا المفضلة من طبخ أهل بيتنا).

وهكذا عادت رموز البيت الكويتى القديم وعاداته وقيمه إلى حضن الفيلا الأنيقة الفخيمة. فالتنور الشعبى يحتل ركنا قصيا.. و «الوجاق» أو «الدوة» يتوسطان الديوانية حيث يعبق منهما رائحة الشاى المزعفر والقهوة المهيلة اللذين غليا بالفحم والخشب وغيرهما.

ومن المشاهد المألوفة التى لفتت نظرى: وجود الأطفال بمعية والدتهم وهى فى طريقها إلى الجمعية التعاونية، والأسواق الشعبية وغير ذلك من مشاوير وزيارات. كما غاب عن شوارع الكويت جموع المربيات، وهن يقدن قطيع الأطفال ويسرحن بهم، فى أرجاء الحى وجنبات حديقة المنطقة السكنية، ويصحبوهم فى جولاتهن ساعة العصارى

---

(١) تطلب «سيناريو» التمويه قيام كاتب هذه السطور بصياغة التقارير الصحفية المهربة عبر الفاكس السرى على لسان صحفى تسلل إلى الكويت المحتلة ومن ثم غادرها إلى السعودية وليس مقيما فيها!.

والمغربية! ومن الطريف التنوية بهذا الصدد: بأن الشحوم التى كانت تثقل كاهل الكويتية، قد ذابت وساحت، بفضل وبركة الحركة المستمرة والعمل المتواصل، واكتساب العادات الصحية التى كانت سائدة فى الحياة اليومية لكويت ما قبل النفط.

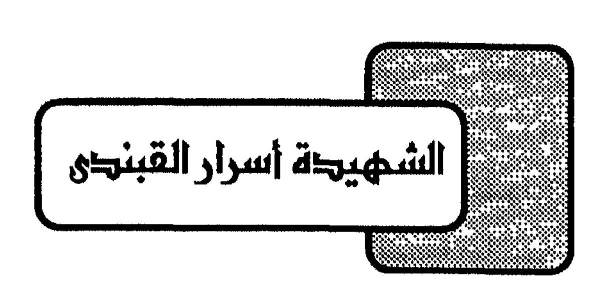
وعلى الرغم من أن اقامتى فى الكويت لم تتجاوز الأسبوعين لكنها كانت كافية لملاحظة التغيرات الإيجابية التى حدثت فى المجتمع الكويتى على كافة الأصعدة: فعلى سبيل المثال فإن قيم التواد والتراحم والتكافل والتعاون والمشاركة الوجدانية والإيثار وفعل الخير والتكاتف... الخ صارت أشد زخما وأكثر حضورا عن ذى قبل!.

صحيح أن محنة احتلال العراق لدولة الكويت خلفت الاثار المأساوية والنتائج المدمرة.. إلا أنها- مع ذلك كله- خلفت كذلك ايجابيات عديدة تأكيدا لمقولة «رب ضارة نافعة»! والنافعة التى ولدت من رحم المحنة كثيرة ومتنوعة ومتواصلة.

إن الأنطباع الذى خرجت به بعد زيارتى للكويت المحتلة، يكمن فى أن المرابطين استفادوا الكثير من دروس المحنة وعبرها! وقد استمعت إلى بعض خطباء صلاة الجمعة، يتحدثون عن هذه الضارة النافعة مصداقا لقول المولى سبحانه وتعالى «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم».

ويقول الكثيرون من الأخوة المرابطين بأن دروس المحنة- رغم قسوتها- لابد من التعلم منها والاستفادة من عبرها لصالح البلاد والعباد. أن بعض الشعوب التى تعرضت لمحنة الغزو والاحتلال، خرجت من تحت الرماد أكثر قوة وعزيمة واصرارا ورغبة لاعادة بناء الوطن والمواطن.. وللتخلص من كافة السلبيات والمعوقات التى تسهل فعل بناء الوطن والمواطن. ويقولون أيضا: بأن عملية اعادة البناء صعبة وشاقة ومؤلمة لكنها ليست مستحيلة. سيما إذا سبقتها مجابهة صادقة صدوقة صريحة جريئة لنقد الذات عبر الحوار الهادىء المسؤول، والتحليل العلمى العميق! مهتدين بقول الله سبحانه وتعالى (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[1].

(١) الشهر الثانى عشر ١٩٩٠م، أرسلت عبر الفاكس إلى «كوتا» وكالة الأنباء الكويتية.



* الاستشهاد فى ساحة الجهاد هو أبلغ فعل يجسد انتماء وإيمان الإنسان المسلم بعقيدته.. وولاءه لوطنه. ولهذا السبب استطاع المجاهدون المسلمون- مع قلة عددهم وعتادهم- التغلب على الأباطرة والقياصرة وجيوشهم الكثيرة العدد والمسلحة بأقوى الأسلحة وأشدها خطرا.

وحين كنت فى الطريق إلى مقبرة «الرقة» بمعية بعض الأخوة لتشييع الجثمان الطاهر والصلاة عليه ودفنه. وجدتنى أستدعى إلى ذاكرتى شهداء الكويت فى «سيناء» مصر خلال حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ضد العدو الصهيونى. أقول ذلك لأن الكثيرين من الناس يحسبون الكويت برميل بترول ينحصر فى دعم- الأقطار العربية والإسلامية الشقيقة- بالمساعدات المالية المقتطعة من عائدات النفط. ولعل هذا الاعتقاد الشائع يكمن فى أن أهل الكويت يرفضون بدعة «تكريم وتخليد» الشهداء بواسطة اقامة نصب وتماثيل ما يسمى بالجندى المجهول والمعلوم.. لسبب بسيط ومعروف لكافة المسلمين وهو: أن من يكرمه المولى سبحانه وتعالى بالاستشهاد، لا طائل من أى تكريم دنيوى، يترجم فى وسام رفيع ونصب تذكارى وما إلى ذلك. أن الشهيد لا

يحتاج إلى «تكريم» بعد أن من عليه الله بالشهادة وكرمه بها.

* وفي مقبرة «الرقة» بمحافظة الأحمدي وجدت الشهداء الذين استشهدوا دفاعا عن وطنهم مدفونين في قبور جماعية ترابية خالية من «الديكور» والتزويق الذي نجده في مقابر غير المسلمين. ولأول وهلة غمرتني مشاعر الغبطة حين وجدت قبور الشهداء- الجماعية والفردية- كثيرة متجاورة وتضم أفراد الأسرة الواحدة التي وحدتها محنة الاحتلال الغاشم في الحياة والممات! لكن مشاعر الغبطة غصت بالحزن حين تذكرت أنهم توفوا بكاتم صوت وسلاح عربي أطلقته أياد عربية مسلمة! ولم أملك سوى الدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والتوسل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يكرمهم بالشهادة مثل أقرانهم الشهداء الذين ضحوا بحياتهم دفاعا عن أرضهم وعرضهم.. فضلا عن أنهم- رحمة الله عليهم- المعتدى عليهم غيلة وغدرا.

وقبل ١٩٩٠/٨/٢ تاريخ الاحتلال العراقي «الصدامي» الغادر لدولة الكويت.. كانت الصورة الشائعة عن المرأة في الكويت وديار الخليج العربي النفطية، تكمن في أنها إنسانة مترفة ناعمة منعمة بحياة البذخ والرفاهية، ولا هم لها سوى ممارسة «فعل» التسوق والتملك، والمنظرة والتزويق والتزين، والترويح عن النفس بالسفر وحضور حفلات الأعراس والختان وأعياد الميلاد، والهذرة الخاوية في التليفون أو في قعدات شاي الضحى والعصر!.

والصورة- كما ترى- مظلمة وظالمة، لأنها تظهرها كإنسانة هامشية لا تعبر عن حقيقة جوهرها وأصالة معدنها، كما ظهرا في محنة احتلال الديرة. حيث أثبتت المرأة الكويتية- عبر استجابتها المذهشة لتحدى الاحتلال العراقي الغاشم- بأنها لا تقل عن الرجل ولاء وانتماء للأرض. وقد تبدى ذلك في فعلها وسلوكها وعطائها وتضحياتها وفروسيتها وشجاعتها وبطولتها.

وفي هذا الفصل سيتعرف القارىء على نماذج عشوائية من الشخصيات النسائية الكويتية إضافة إلى من سبق ذكرهن اللواتي تصدين للاحتلال الغادر بالاستشهاد

والصبر والمقاومة ولم يرضخن لممارساته الإجرامية القمعية الإرهابية المدججة بكل عدة ووسائل واختراعات التعذيب القديمة والحديثة والمعاصرة!.

والحق أن دور المرأة الكويتية، ابان فترة الاحتلال الغاشم، يستأهل مؤلفا يكرس لتوثيق أفعالها البطولية، وسلوكها المترع بالإيثار والعطاء والتضحية.

فالشهيدة «أسرار» - ومثيلاتها - قدمت صورة انقلابية للمرأة الكويتية.. و«أسرار» اسم صار علما يزين هامة الكويت، ويطرز تاريخ المرأة الكويتية بأبلغ فعل يعبر به الإنسان المسلم - بخاصة والإنسان بعامة - عن حبه وانتمائه لأرضه وبلده.. فعل الاستشهاد فى سبيل الديرة الأم والأب والأهل وكل ناسها.



عرس فى المقبرة!

فى مقبرة الشهداء فى «الرقة» كان والد أسرار فارسا شامخا بهامته، وكأنه كان يزفها إلى عرس الاستشهاد والبطولة والتضحية والفداء. كان شامخا صابرا مثل نخلة تطاول السماء بصبرها واحتسابها.. وقد بدا لى أثر مواراته لجثمانها الطاهر فى مقبرة الرقة صبيحة يوم مخضوضر بفعل الاستشهاد.. وكأنه يتبادل التهانى حين كان يصافح النفر القليل من المعزين. وهذا أمر بدهى لأن الشهادة فى سبيل الله ومن ثم الوطن حلم وأمنية وهاجس كل مسلم ومسلمة.

الشهيدة أسرار - رحمها الله وأسكنها فسيح جناته - لا تحتاج إلى ألقاب وصفات بلاغية.. حسبها اسم: الشهيدة أسرار.. لأن الاستشهاد أبلغ وأزين فعل يقوم به الإنسان فى حياته. حسبه - أى الشهيد - قيامه بفعل مترع بالوجود والحضور والحياة.

وعن الشهيدة (أسرار القبندى) كان لنا لقاء مع صديقة الشهيدة وزميلتها فى العمل الوطنى، ابان محنة الاحتلال العراقى الغاشم، ورفيقتها فى الأسر والاعتقال، والتى عايشتها إلى حين ساعاتها الأخيرة.

وكنت قد أعددت مجموعة من الأسئلة، التى أحسب أنها تغطى كافة مناحى قضية الشهيدة ورفيقاتها فى المقاومة وغيرها.. لكنى لم أضطر إلى استخدام سوى القليل منها! لأن السيدة «م» (ما شاء الله عليها) تحتفظ بذاكرة «رادارية» مدهشة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، فلم أملك سوى أن أتحول كلى إلى آذان صاغية، ولم أنبس إلا بغمغمات وهمهمات تشعرها بحضورى واصغائى وتحرضها على البوح والتداعى والتذكر!.

وقبل أن أقدم للقارىء روايتها، يهمنى أن يعرف ملامح من هويتها وشخصيتها فى بداية أيام تحرير الكويت، كنت أشاهد السيدة «م» فى المركز الإعلامى بالجابرية، وقد لفت انتباهى هدوؤها واتزانها وايقاعها الهادىء فى الحديث والحوار. ولم يدر بخلدى- وقتها- بأن هذه السيدة الشابة، واحدة من الجنود المجهولين الذين «دوخوا» استخبارات العدو وسخروا منه، ولم يرضخوا لقمعه الوحشى اللاانسانى! وكنت أظنها واحدة من الزوار الذين يترددون على المركز، بحكم القرابة مع أحدى اللواتى يعملن فيه! لكن الصديق الفنان «توفيق الأمير» نبهنى إلى أن هذه السيدة الشابة الساكنة المتواضعة تستأهل الحوار والانصات إلى شريط ذكرياتها وشهادتها عن علاقتها ومعرفتها ورأيها بالشهيدة «أسرار القبندى» وعن حياتها فى الأسر ونشاطها فى المقاومة..

ووجدتنى بعد كم يوم ألتقى بها فى المركز، وهى سيدة شابة فى الثلاثينات من عمرها. تزوجت وهى صغيرة. وشكلها وسمتها لا يشى بأن لها ولدا فى الخامسة عشرة من عمره. وقد سبق لى الأشارة إلى تميزها بالهدوء والسكينة التى كانت محط فضولى ودهشتى وتساؤلى فرحت أنصت إليها علنى أعرف من سياق روايتها سر السكينة التى

تكتنفها وتسكنها.

قلت لها: لن أسألك وأستجوبك لا بالطريقة الصحفية التقليدية ولا «غيرها!» لأنك- ولا شك- مللت من السين والجيم والاستجوابات! ما رأيك أن تروى لى «السالفة» كما تعن لك بدون سين ولا جيم.

وبدون تردد قالت- بعد أن نظرت إلى جهاز التسجيل بطرف عينها- كنت أسمع اسم «الشهيدة أسرار» يتواتر على ألسن أفراد الخلية، التى كنت منضمة إليها. لم أكن أعرفها من قبل! لكنى- حقيقة- تمنيت «شوفتها» واللقاء بها. (ثم تبتسم بشجن معجون بالمرارة).

❋ ❋ ❋

السيدة ميم ترسم ملامح الشهيدة

وتستطرد قائلة: تصور أن أمنيتى قد تحققت فى «معتقل المشاتل»[1]، كنت قد اعتقلت قبلها بحوالى شهر، وفى يوم ٧/١١/١٩٩٠ فوجئت بشابة كويتية ثلاثينية، تلبس البنطلون وتضع نظارة طبية على عينيها، تدخل علينا «عنبر النساء» فى المعتقل، وراعنى أنها كانت تكلم سجانها الذى كان يقودها إلينا- نحن المعتقلات- بجرأة وغضب وثورة عارمة! وحين ضمنا العنبر- بدون عيون ولا جواسيس- عرفنا أن «الزبونة» الجديدة هى «أسرار القبندى» بالأحضان والدموع استقبلناها. بسرعة ألفناها وأحببناها. شخصيتها احتوائية قيادية فدائية جريئة! شعرت أنها فخورة بفعلها ونشاطها الحركى السرى. وكانت تجادل ضباط الأمن والاستخبارات بغضب وحدة شديدتين! وكنا نتوسل إليها- حين نكون لوحدنا- أن تخفف من وطأة حدة جدالها،

(١) معتقل أنشأه المحتلون فى منطقة المشاتل.

خشية أن يتسبب هذا المنحى فى زيادة «وجبات» التعذيب التى تتلقاها من الهمج الوحوش ضباط القمع والإرهاب والتعذيب ما غيرهم!.

ولعلنى لست بحاجة إلى أن أقول بأنها لم ترضخ إلى توسلاتنا، لاعتقادها بأن هذه الفصيلة من الوحوش الآدمية، لا ينفع معها سوى لهجة الألسنة الحداد الغلاظ، لأنها فصيلة «تخاف ما تختشيش» على حد قولة اخوتنا المصريين!.

احترمت اختيارها واجتهادها، لكننى لم أكن متفقة معها فى هذا الاجتهاد! فقد اخترت أن أبدو بهيئة الإنسانة المسكينة الطيبة، التى على نياتها، ربة البيت التى لا هم لها سوى التفكير بعيالها وأهلها وبيتها. ولذا تجدها على الدوام صائمة قائمة تصلى وتتهجد بالدعاء والذكر وتلاوة القرآن الكريم.. علّ الله سبحانه وتعالى يفرج كربتها ومحنة ديرتها فى القريب العاجل.

وكان صيامها وصلاتها وقيامها يثير حنق وتندر وحوش الاستخبارات.. ويستثير غضبهم وتعذيبهم! لكنها- ولله الحمد- لم تكن تشعر بألم التعذيب رغم ضراوته ووحشيته. تحتوينى غرفة التعذيب وعيناى مغمضتان بقطعة قماش سوداء كنت أشعر بأن الله سبحانه وتعالى معى فأمتلىء بالسكينة والاطمئنان فتمر ساعة التعذيب بالمسدس الكهربائى أو الصدمة الكهربائية فتتفجر شرايينى ويسيح دمى ومع ذلك لا تصدر عنى أى صرخة أو حركة تشى بالألم والعذاب! الأمر الذى يحرض طغاة التعذيب إلى أن يقول الواحد للآخر «عوفها[1].. عوفها. هاذى باين عليها مخبلة[2]!».

وصدقنى إذا قلت لك بأنى حين سمعت ضابط التعذيب ينعتنى بـ «المخبلة» انتفخت أوداجى من «الاطراء» وشعرت بأن الدور الذى تقمصته (دور الإنسانة البلهاء أو المخبلة) على حد تعبير الوحش الطاغية.. قد نجح فى خداع طغاة الاستخبارات العراقية! ومن هنا لم يحصلوا منى على أى معلومة تفيدهم، على الرغم من أن تعذيبهم لى، فى الأسابيع الأولى، وصل إلى حد الاعتداء على عرضى عدة مرات وأنا

(١) اتركها. (٢) حمقاء.

تحت وطأة التعذيب بالصدمات الكهربائية!!.

لقد كنت على الدوام مع الله سبحانه وتعالى، لاجئة بقدرته، متضرعة إليه بالصوم والصلاة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن الكريم.. وأحمد الله الكريم كثيرا على نعمة الصبر والسكينة واليقين بالفرج والنصر وتحرير الديرة من نير الطغاة المحتلين.

وتستطرد محدثتي الفارسة قائلة:

كان عنبرنا، نحن الثلاثة عشر شابة كويتية وبمعيتنا شابة لبنانية- يجاور عنبر الرجال في «معتقل المشاتل» بالكويت المحتلة.. وكانت الشهيدة «أسرار» هي القيمة على المطبخ والطباخ.. فهي التي تقوم بطبخ الوجبات لكافة المعتقلين من الرجال والنساء على حد سواء. وكنا نرمي إلى عنبر الرجال ما يصلنا من حلويات وفواكه وملابس وآيات وسور قرآنية وأدعية وأذكارا.

ومن خلال التصاقي وحواري مع «أسرار» رحمها الله، عرفت أنها متعلمة تعليما عاليا مبرزا.. وأنها تحمل ثلاث شهادات «ماجستير» في الاقتصاد، والتربية، وتأهيل المعوقين! ولاحظت أنها إنسانة جادة لا تحفل بزينتها، ولا ملابسها، فزيها المفضل هو القميص والبنطلون، لاعتقادها بأنه لباس عملي، يسهل حركتها وسعيها لخدمة الآخرين. فهي من النوع الذي لا فراغ في حياته الطافحة بالعطاء والفعل الخير للآخرين. ولذا تراها مشغولة على الدوام في معاهد المعوقين، ودور الرعاية الاجتماعية، وحضانة الأطفال ويومها الحافل بالإيثار والتواد وفعل الخير. ومن هنا لم أدهش حين وجدتها تطبخ وجبات المعتقلين لوحدها، ومن ثم تقوم بكنس المطبخ والعنبر وغسل ملابس المعتقلين الرجال فضلا عن النساء!.

وأحسب أنها- خارج المعتقل- لا تكف عن الحركة إلا ساعة نومها! لأن حياتها اليومية- كما أسلفت- خالية من الفراغ!.

وهي إنسانه ودودة واجتماعية وتحب الناس ولا تمل أو تكل من خدمتهم! ولا أعرف لم لم تتزوج؟! وأحسب أنها اختارت «الزواج» من فعل الخير! وكنت أود سؤالها

عن سبب عدم زواجها لكن مناخ المعتقل وظروفنا المعنوية لم تكن تسمح لى بممارسة مثل هذا الترف! ولذا بلعت سؤالى وخزنته فى صدرى إلى حين يشاء الله سبحانه وتعالى.

ولم يخرج أبدا من مخزنه. فكما تعلم لقد زفت فى عرس الاستشهاد ففى يوم ١٩٩١/١/١٤ وجد جثمانها الطاهر مرميا أمام بيت والديها فى «ضاحية عبدالله السالم» بعد أن أطلق رجال الاستخبارات «الصدامية» عليها طلقة «دمدم» فى رأسها وطلقتان فى بطنها.. كما لوحظ على أطرافها وعنقها آثار تعذيب وحشى!.



الشهيدة ووالدها فى معتقل واحد

والغريب بأن الشهيدة كانت تظن بأنهم سيفرجون عنها على الرغم من «الحكم» الإرهابى الصادر بإعدامها! لم تفقد الأمل بالفرج والأفراج البتة! ومن هنا كانت تتحدث عن حياتها اليومية بعد معاناة الاعتقال.. ما الذى ستفعله أثر الأفراج عنها، وبعد تحرير البلاد، وحين تضمها شمس الحرية مع رفاق الدرب والعطاء وصديقات العمر وغيرهم.

ولعل أكثر ما آلمها وآثار شجونها وحزنها هو سماعها لخبر اعتقال والدها وايذائه وتعذيبه من قبل عصابات القمع والأرهاب فى المعتقل العراقى.. يومها أذكر أنها غضبت وثارت وارعدت وأزبدت وراحت تلعن «سنسفيل» ضباط وجنود المعتقل ومن ثم أجهشت فى بكاء مر حزين وهى تقول (ما هو ذنب والدى المسن المريض؟! ألا يكفيهم اعتقالى وتعذيبى؟! حسبى الله عليهم!).

ويبدو أن والدها قد أخبر معتقلية بأن ابنته «أسرار» إنسانه راشدة ومستقلة

برأيها واختيارها وموقفها واجتهادها وهى بهذا المعنى لا حجر على تصرفها ولا يعلم شيئا عن نشاطها الخارجى.. اللهم إلا نشاطها المهنى. ولعله بهذه الشهادة كان يرغب فى تجنيب اخوتها من تهمة التواطؤ مع شقيقتهم.. ولذا قال ما قاله.

وقد أتيح لها اللقاء بوالدها أثناء اعتقالهما.. وكانت فرحتها لا توصف أثر لقائها به. فقبل أن يفرج عنه بثلاثة أيام التقيا فى المعتقل. ويومها كان أملها فى الأفراج القريب كما اليقين الثابت فى وجدانها. كانت تحلم بالفجر القريب والصبح والغد المأمول.

وقد اكتشف بعض أهالى المعتقلين الذمة الواسعة لكبار ضباط الأمن والاستخبارات والحزبيين والقضاة! فأغرقوا هذه الذمم بالرشاوى المالية والعينية والذهب الرنان! وقد نجح البعض القليل فى الأفراج عن معتقليه وطارت رشاوى وعطايا البعض الآخر فى هواء الابتزاز والوعود الكاذبة!! كان المعتقلون من الضباط والجنود يسكرون الليل ويعربدون فيه حتى مطلع الفجر.. وعلينا نحن المعتقلات اعداد نقولهم و «مزتهم»وعشائهم!.

وفى النهار كانوا ينامون- مثل الفطيس- ولا يفيقون إلا بعد الواحدة ظهرا! وكان فى مقدورنا قتلهم بأسلحتهم ومن ثم محاولة الفرار من المعتقل.. وقد استحوذت علينا الفكرة ليلة رأس السنة لأن عربدتهم وقتها فاقت الحد وغلت عقولهم وأحالتهم إلى أشباه رجال! لكننا صرفنا النظر عن تنفيذها خشية العواقب الوخيمة التى كانت تنتظرنا فى الشارع المزروع برجال الأمن ونقاط التفتيش.

كانت الحرية هى هاجسنا وحلمنا وأملنا.. وكان الأمل فى الله سبحانه وتعالى يسكننا ويرافقنا فى معتقلنا! وبين الخشية والرجاء كانت معنوياتنا بين جزر ومد. ففى ساعات يكتنف بعضنا القنوط واليأس، وفى ساعات أخرى يعمرهن الأمل والتفاؤل بساعة الخلاص والتحرير.

وقد علمت بأن أهلى يسعون إلى اطلاق سراحى واخوتى الاثنين!.

❄ ❄ ❄

الرشوة تلحس القرار الجمهورى

ان الذين اعتقلونا يضاهون رجال العصابات الإرهابية فى اجرامهم وابتزازهم وسلوكهم.. فتراهم مستعدون للحس القرار الجمهورى بالأعدام نظير كم ألف من الدنانير العراقية. ولأنهم مجرمون لا يحفلون بحقوق الأسرى والإنسان.. ويمكن شراؤهم بالمال والعطايا والذى منها.. فقد تمكن بعضنا من شراء الأفراج من وراء معتقلنا. الأمر الذى أدى إلى جنونهم فراحوا يطاردون من أفرج عنهن وعنهم!.

وأثر الأفراج عنى ذهبت إلى بيت أهلى، وفوجئت- وأنا وسط والدى واخوتى- أن عيالى غير موجودين! إذ وزعهم أهلى على الأقارب حماية لهم من بطش عصابات الأرهاب. وحين ضمنى بيتى بعيالى جاءنى نذير يطلب منى مغادرة بيتى بمعية عيالى فى التو والحين! لأنهم يفتشون عنى فى منازل الأهل والأقارب والأصدقاء والمعارف ورفاق العمل الوطنى وزملاء المهنة.

وهربت من دارى لا ألوى على شىء.. فكلما لجأت إلى بيت أحد فجعت بالصد والاعتذار بدعوى أنى «مشبوهة» من قبل السلطات المحتلة التى يعرفون أنها تبحث عنى فى كل مكان.

ولأنى لاجئة إلى الله أولا وأخيرا قبل أن الجأ إلى أحد من عباده.. فقد وجدتنى أعذر الذين تخلوا عن نجدتى وايوائى! وهدانى المولى سبحانه وتعالى إلى دق باب أسرة عراقية عريقة الأقامة فى الديرة.. فاحتضنونى بحبهم وأخفونى عندهم طوال مدة الأيام الباقية من الأحتلال الغاشم!.

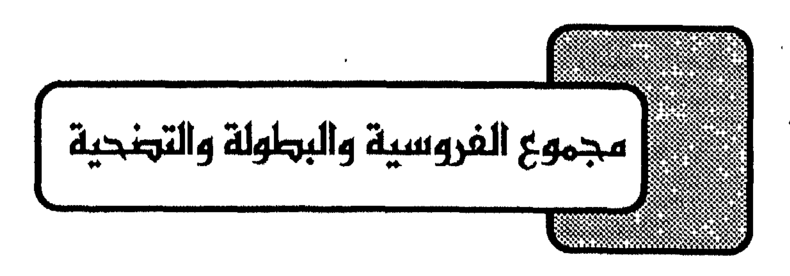
وتذكرت- وأنا وسط هذه الأسرة العراقية الكريمة- مثلنا العربى الذى يقول (لو خليت لخربت!). ولا أملك لهذه الأسرة العربية سوى الدعاء بأن يجزيها الله سبحانه وتعالى كل الخير...

وأخريات

ذوات

تضحية وفداء





* فى الأيام الأولى من محنة الاحتلال العراقى الغاشم تواترت أنباء واشاعات حول وضع نزلاء مجمع دور الرعاية الاجتماعية من المسنين وضعاف العقول والمعوقين والأطفال والشباب المنتسبين إلى عبيد الله الخطائين. وبدون الخوض فى كنه هذه الأخبار والاشاعات إلا أن دلالتها تشى بالخطورة وتستوجب التصدى الإنسانى والفعل الاجتماعى لنجدة النزلاء الذين يحتاجون إلى ايواء خاص ورعاية متميزة. وهكذا راح أئمة المساجد يستحثون المصلين على انقاذ الرضع والأطفال والنزلاء الآخرين الذين يحتاجون إلى عناية خاصة لم تعد الآن متوفرة بعد أن هج أربعمائة وعشرون موظفا وعاملا من الجنسين، أثر الاجتياح الغادر وبعد شيوع ممارساته الإرهابية الإجرامية الوحشية! فهذا العدد الكبير من الفنيين والاداريين والحرفيين تقلص ووصل فى نهاية الشهر الأول من الاحتلال العراقى إلى عدد خمسة عشر فردا.. من الجنسين فقط!.

تقول الأستاذة «زينب أمان» راعى ودينامو و «أم» المجمع بأنها أمضت فى الوسط الإنسانى قرابة عشرين عاما.. انصرفت جل ساعاتها داخل جنباته وأروقته وأقسامه! الأمر الذى جعل المجمع جزءا عضويا منا وكما تعلم- تستطرد الأخت زينب- فإن

مهمتنا الإنسانية تستوجب وتشترط روح التطوع الريانة بالإيثار والتضحية وحب الخير والتراحم والتكافل والتواد قبل وجود المعارف والأجهزة والشهادات العالية والألقاب المهنية!.

إذ لا يمكن لأحد أن ينجح فى ميدان الرعاية الاجتماعية بدون توفر الشروط الإنسانية السالف ذكرها!.

أقول ذلك مع كل احترامى وتقديرى لذوى الشهادات العالية.. وللدور العظيم الذى يقومون به!.

ما علينا...

❋ ❋ ❋

مجمع الرعاية بدون رعاية !

فى صباح الخميس المبكر علمت بخبر الغزو من الإذاعة فلم أعد أعرف «رأسى من كرياسى» وقعت فى حيص بيص. فرحت أذرع دارى وبيدى سلسلة مفاتيحى. وجدتنى أنكب على كتاب الله الكريم وأتلو ما تيسر. أقوم وأصلى لله صلاة الاستخارة. أفرغ منها ثم أمتطى سيارتى متكلة على الله ومتوجهة صوب منطقة الصليبيخات حيث يقع «مجمع دور الرعاية الاجتماعية». لا أعرف كيف وصلت وسط أشلاء الجثث والذهول والفوضى والحيرة والفجيعة والأحزان.

فى الثامنة صباحا من ١٩٩٠/٨/٢ كنت قد دلفت بوابة المجمع وراعنى أنه مطوق من جميع الجنبات بالدبابات والآليات العسكرية.

بسرعة جمعت كل الاداريين والموظفين والعمال من الجنسين. وكانت العقبة الكأداء

التى تقف فى طريق نشاطنا هى نقص العمالة. وكان السؤال الذى يتدحرج بيننا هو: كيف لنا أن نرعى ونطعم ونعالج ونعلم ونخدم ٦٥٠ طفلا وصبيا وشابا ومسنا فيهم الشاب الجانح والطفل المعوق والإنسان المسن المخرف والصبية المراهقة المتمردة.. أقول كيف يتم لنا ذلك بعد أن هبط عددنا من ٤٥٠ فردا قبل الاحتلال إلى ١٥ فردا بعد الاحتلال!.

وبعون الله ومن ثم بجهود الأخوة المتطوعين النساء والرجال- جزاهم الله خيرا- تمكنا من احتواء كافة البلايا والمشاكل والمآسى والمفاجآت والمداهمات البوليسية اليومية الطافحة بالتهديد والوعيد الذى يبدأ بالتلويح بالإعدام وينتهى به!.

وتلتقط السيدة «سناء الخرقاوى» زمام الحديث فتقول: لا أحسبنا سننسى تجربتنا مع .ضباط الأمن والمخابرات وقيادى الحزب العاملين فى الشئون الاجتماعية. بل أننا استدعينا إلى الذاكرة زيارة وزير الشئون الاجتماعية العراقى لمجمع دور الرعاية الاجتماعية ابان زيارته للكويت قبل أن يغزوها بشهر! كان السيد الوزير أثناء تفقده لأقسام المجمع يسأل أسئلة- بدت لنا آنذاك- تافهة! مثل سؤاله عن راتب الممرضة والعاملة. وحرصه على معرفة كل ما فى المجمع من أثاث وزاد وتموين وأجهزة ومخازن.. الخ وكأنه يقوم بعملية جرد سنوى!.

وقد تذكرت زيارته البوليسية «الجردية» حين قام بزيارتنا ثانية فى الشهر الثانى من الاحتلال.

وراعنى أنه كان يحفظ جغرافية المجمع قسما قسما! إلى درجة أنه كان يقودنا بنفسه إلى الأقسام المتخصصة والمرافق العامة بطريقة توحى بأن خطة اجتياح واحتلال ديرتنا مدبرة ومخطط لها منذ زمن قديم!.

وتقول الأستاذة «فضيلة بلال» القيمة على قسم المعوقين فى المجمع أنها لا يمكن لها أن تنسى اليوم الذى قال فيه ضباط الاستخبارات وبمعيتهم بعض القياديين فى وزارة الشئون الاجتماعية العراقية بأنهم ينوون أخذ الرضع والأطفال والبنات الصبايا

وشباب الأحداث. أذكر أننا نحن الثلاث «زينب أمان وسناء الخرقاوى وأنا فضيلة بلال» أقول أذكر أننا ثرنا فى وجوه سجانينا ومحتلينا. وكل واحدة منا كانت تعبر عن ثورتها بطريقتها الخاصة. فلأخت «سناء» مثلا كانت جريئة عليهم. تقرعهم بعبارات نارية وتوبخ أفعالهم بسخرية مرة حتى أنى كدت أخشى عليها من مغبة حماسها ونخوتها وفروسيتها. وبخاصة حين سمعت أحدهم يهددها بالإعدام ويلوح لها بالعدم والانتقام! وكالعادة فى مثل هذه المواقف الحرجة تتدخل «زينب أمان» بلهفة الأم ورجاحة عقلها فتتمكن من محاورتهم بصبر المؤمن ويقينه.. فتسمعها تقول: لمن يخبرها (سنأخذك إلى العراق لشنقك هناك نظير عدم تعاونك معا!) فترد عليه بمرارة حادة: لا مانع لدى. المهم هو أن تتركوا عيالى نزلاء المجمع فى غرفهم وسرائرهم وشيخوختهم وأمراضهم وعاهاتهم ومخاوفهم وكوابيسهم ودموعهم وآلامهم. لقد نهبتم الديرة ودبجتم واعتقلتم النساء والأطفال والشياب والشاب والمرضى والعميان وغيرهم.. وإذا اعتقلتمونى وأعدمتمونى فهذا قدرى المكتوب وأجلى.. أنا لله وأنا إليه راجعون.

يزمجر الضابط غاضبا: شنو الله هذا اللى دايما على لسانكم؟! آنى ما يهمنى الله مالكم ولا أعرفه!.

ترد عليه «زينب أمان» قائلة: أستغفر الله العظيم على ما قلت أيها الشقى.. تقول أنك لا تعرف الله سبحانه وتعالى ستكون شقيا فى الدنيا والآخرة! ستطاردك دعوات ولعنات الثكالى واليتامى والأرامل وذوى الأسرى والمعتقلين. بل ستلعنون بكل لغات العالم وسيدعى عليكم من فوق منابر المساجد ومحارب الكنائس والمعابد تهدر بها حناجر عشرات ومئات الألوف من الخبراء والفنيين والموظفين والعمال والفلاحين وكافة المهنيين.

هنا يكف ضباط الاستخبارات عن اطلاق نار الوعيد والتهديد فيهرعون صوب الباب على حين غرة. وكأن أمرا قد صدر إليهم بالمغادرة بالتو والحين.

تعقب الأخت «زينب أمان» فتقول: الحق أن العناية الربانية– ولله الحمد– كانت

معنا فى كل ساعات نهارنا وليلنا. فلا أذكر أن أزمة تحل بنا إلا ويجد لها المولى سبحانه وتعالى مخرجا. فإذا شح الزاد والتموين رن الهاتف يحمل لنا بشارة الخبر من أهل الخير فنرفع السماعة فإذا به الأخ «بوبشار» يسألنا عن المكان المناسب لاستلام التموين والفلوس وكافة احتياجات النزلاء الضرورية. سألتها: من هو أبو بشار؟ ردت باسمة: لو سألتنى هذا السؤال وقت الاحتلال اللعين لبلعت لسانى ولن أقول شيئا.. حسبى أنه فاعل خير وكفى.. أما وأنك تكتب شهادة للتاريخ فإنى أقول لك بأن اسمه هو «توفيق الأمير» وهو من أوائل الذين اتصلوا بنا وساعدونا. وقتها لم أكن أحفل ببطاقة التعريف التى تعرف بفاعل الخير والمتطوعين لمساعداتهم. وكيف لى أن أفكر بذلك الأمر.. إذا كانوا هم أنفسهم لا يرغبون فى ذلك. وقد احترمت اختيارهم وتسترهم خلف أسماء رمزية حركية.. أولا لأن فاعل الخير الحقيقى يحب الستر ولا يرغب فى الشهرة إلى درجة عدم معرفة يساره ما صرفته وقدمته يمينه! وثانيا لأن الظروف القمعية الإرهابية الاحتلالية تستوجب منا الحيطة والتوجس والكتمان. ومن هنا كان شعارنا مالكى المنحى.. حيث نكن نردد على الدوام عند استجوابنا لا نعرف.. لا ندرى! والأمام مالك رضى الله عنه- كما هو معروف- قال مرة «بأنه من قال لا أدرى فقد أفتى». رحم الله الإمام مالك وغفر له فقد اقتدينا بقولته أثناء ساعات الاستجواب. فكان فيها خلاصنا من مغبة الادلاء بمعلومات يفيد منها المحتلون! الأمر الذى حرض ضباط الاستخبارات على التهكم ضد الإمام مالك وقولته الشهيرة. لكن ذلك المنحى لا يجدى فتيلا بل أن يدفعنا إلى الاصرار على «ما أعرف» وعلى التمسك بالنواجز إلى حين يمل ويكل المستجوبون فيغادرونا إلى حيث القت وهم صفر اليدين. كما هى عاداتهم كل يوم!.

❋ ❋ ❋

أم المجتمع

كلنا نحب «زينب أمان» تقول «سناء الخزاز» وتثنى على مقولتها «فضيلة بلال». وكلنا يحترمها ويقدرها لأنها قدوة صالحة لنا.. شحنتنا بيقين الإيمان وطاعة الرحمن فكان الله سبحانه ملجأنا وملاذنا ومغيثنا ومنجينا. وكانت «زينب» لنا أما وأختا وصديقة صادقة صدوقة لا نمل عشرتها الطيبة وحديثها الطلى، المتضوع بأريج الحكمة والدعاء والذكر الحسن. فضلا عن قوة شخصيتها ومتانة شكيمتها وعزيمتها وذرابة لسانها وخفة دمها وأعصابها الحديدية وسكينتها المدهشة ووجدانها العامر بالصبر والتفاؤل والجلد والإيمان والتقوى. كأنها حزبا أو كتيبة من كتائب الحق والعدل والإيمان! تكتسى الحمرة وتقتحم محيا الأخت الطيبة الوادعة وتهمهم محاولة منع أختنا «زينب» من مواصلة ذكر مناقبها. وهنا اضطر إلى التخلى عن سمت الديموقراطية الذى أدرت به اللقاء وكشرت عن أنياب رئيس الجلسة وطالبت «زينب» بالاستمرار فى الادلاء بشهادتها لأنها من حق التاريخ.. ولذا لا يجوز حجبها. سيما وأننا نقرأ هذه الأيام وعلى مدى شهر ونصف «شهادات»[1] شهود ينتسبون إلى نادى «شاهد ما شفش حاجة» السيء الذكر! إذ يقرأ لهم الواحد شهادة لها العجب! لأنها تقول- ببساطة شديدة- بأنها وحدها كانت فى المقاومة العسكرية والسلمية ولولاها لضاعت البلد ولزالت من الخريطة.. لا سمح الله! والبلية أن أصحاب هذه الشهادة لا يكتفون بالحديث عن أفعالهم وأنشطتهم أثناء الاحتلال فحسب.. بل أنهم يلغون ويسرقون أدوار الآخرين من جماعات ومؤسسات وأفراد! والمؤسف أنهم يزأرون بهذه الشهادة بتواتر منهمر كسيل العرم! وكأنهم يريدون تأكيدها بسبق النشر والاشهار والتكرار!.

وهم يفعلون هذه الفعلة وكأن الناس بدون عقل ولا ضمير أو ذاكرة! فتراهم يولمون الولائم ويقيمون الأعراس الوطنية ويملأون المساجد والمجالس ضجيجا عن فروسيتهم وبطولاتهم وتضحياتهم الجسام. وكأنه لا أحد غيرهم فى الديرة. فبجرة قلم سياسية

(١) الشهر والنصف التى تلت تحرير البلاد.

حزبية ضيقة اختار الأخوان هذا المنحى المكيافللى المكشوف لكل ذى بصر وبصيرة.

أن من حق أى مواطن أن يكون له رأيه ورؤيته واجتهاده فى محنة الاحتلال وأسبابها و تداعياتها وما إلى ذلك.. الخ لكن هذا الحق لا يعنى نفى ومصادرة فعل الآخرين، أو نسبة كل حركة وفعل قام به جميع الكويتيين على مختلف أعمارهم، وجنسهم ومذهبهم، ودخولهم المادية، واجتهاداتهم الفكرية والسياسية إليهم فقط لا غيرا!.





لا بأس على الكاتب أو الشاهد الملتزم بحزب أو جماعة حزبية من التغزل بمناقب جماعته ودورها أثناء المحنة.. أقول لا بأس لأن ذلك من حقه.. سيما إذا كان الغزل مغزولا بنسيج الحقيقة!.

وإذا لم يكن الأمر كذلك فالعبد لله سيضطر إلى التحذير مبكرا من «شهادات الزور» وشهادات العميان القابعين بالشقق أو الفنادق خارج حدود الديرة المحتلة. ويحذر- أيضا- من الشهادات المعجونة بالهوى والغرض.. كما رأينا وقرأنا الكثير منها في الأسابيع التي تلت تحرير الوطن!.

وحتى لا يطالب أحد منا- بعد كم سنة- باعادة كتابة تاريخ محنة الاحتلال العراقي لدولة الكويت.. نجد علينا لزاما تحذير كتاب وشهود الزور بالابتعاد عن محراب محكمة التاريخ!.

أن عزاؤنا في وقوع مهزلة تزوير وقائع «روزنامة المحنة» يكمن في استيقاظ ضمير الأهالي وذاكرتهم.. فضلا عن أن تقنية أجهزة الاتصال كانت بمثابة «ذاكرة» تقنية تحمل في جوفها شهادة ملونة موثقة بالصوت والصورة والحركة.

فالمركز الإعلامى فى الجابرية- مثلا- يقتنى مكتبة فلمية وثائقية مدتها (حتى كتابة هذه السطور) ٢٤ رمضان ١٤١١هـ قرابة ٣٧ ساعة تتمحور كلها حول محنة الاحتلال العراقى الغادر وآثاره المأساوية على الإنسان والحيوان والزرع والممتلكات العامة والخاصة والطبيعة، وتجسد وتوثق حياة المرابطين الصامدين الصابرين المناوئين للاحتلال بالمقاومة العسكرية والسلمية.. وبروح الأسرة الوطنية الواحدة التى وحدها الله سبحانه وتعالى أثر لجوئها إليه. وهذه الساعات الفلمية الوثائقية لا يزعم مركز الجابرية بأن أعضاءه استأثروا بتصويرها دون غيرهم من الجنود المجهولين فى طول البلاد وعرضها! فهى حصيلة جهود عشرات من المصورين الهواة الذين أحسوا بقيمة الصورة الوثائقية التاريخية فى كتابة التاريخ المعاصر.

أن الصورة الوثائقية تدحض وتعرى سوءة كل أكذوبة ونفاق وانتهازية ومبالغة ولوى حقائق وطمسها أو سرقتها!.

من هنا «يا أخت زينب» دع الأخت «سناء» وغيرها تبوح بالكلام المباح. فكما أنه لا حياء فى الدين.. فنقول لا حياء فى التاريخ ما دام يتكىء على الوقائع والأحداث والشهود والأدلة الوثائقية وغيرها!.

تقتنع «أختنا زينب» بعد المحاضرة التى سمعتها- قسرا- من العبد لله.. أو هكذا بدا لها! المهم أن الأخت «سناء الخرقاوى» تعيدنا إلى مجرى حديثنا فتقول: ذات يوم فوجئنا بهم يطالبوننا «فضيلة وأنا» بانزال صورتى سمو الأمير وسمو ولى العهد. والطريف أن علم الكويت ظل مرفوعا على هامة المجمع ويرفرف بيرقنا الوطنى ليل نهار طوال أشهر الاحتلال البغيض دون أن يبصره أحد الضباط والجنود! على الرغم من أنهم- فى الشهور الأخير- يعسكرون جنب سور المجمع!! لا شك أن المولى سبحانه وتعالى قد أعماهم عن رؤيته! وفى هذا السياق أذكر نزيلا مسنا أصم وأخرس لكنه من أكثر النزلاء فجيعة واحساسا بمحنة الاحتلال! وكلما رأيته بدشداشته البيضاء النظيفة معتمرا «الغترة» والعقال أشعر بالفرح والهلع معا! الفرح لأنه يذكرنى بأبى وأخوتى

الكبار وأعمامى وأخوالى وبنى عشيرتى، والهلع عليه لأنهم لا يطيقون مشاهدة هذا الرمز الوطنى على هامة أى مواطن راشدا فكان صاحبنا المعوق- شفاه الله- يعتز بزيه ويحرص على ألا يخرج من غرفته إلا وهو بكامل هيئته الوطنية. ويستحيل عليه الخروج حاسرا. فهو من الرعيل الذى يعد مثل هذه الفعلة معيبة ولا تليق بواحد فى مثل سنه!.

وكلما داهمتنا دورية تفتيش هرعت إلى تخبئته فى أحد الأقسام فأراه يهرع ورائى وعيناه تمسك بعقاله وغترته خشية سقوطهما أو ضياع السكبة، والشياكة والجاذبية الوجدانية الوطنية!.

❋ ❋ ❋

كيف جابه النزلاء تحديات المحنة ؟

وهنا تتدخل «زينب» فتقول: الحقيقة أن استجابة النزلاء لمحنة الاحتلال يصعب على وصفها والاحاطة بها. كانت مدهشة ثرية عميقة خفية وظاهرة صحية ووجدانية. ولعل عملية وصفها- مجرد وصفها- يحتاج إلى عدة وأجهزة تسبر الأعماق وتغوص فى العقول والضمائر والوجدان وتوثق ما يضطرب فيها من مشاعر وأحساسيس وانفعالات وغير ذلك مما هو مستور ومدفون فى أعماق اللاشعور، حسبى الآن أذكر لك ما يظهر على السطح وتلمسه الحواس وتشعر به من اجابات وانفعالات خارجة من رحم الاحساس بمحنة الاحتلال وويلاتها.

فقد تظهر لك أمنية تتدحرج من لسان «مبروك» يتنبأ فيها بعودة «بابا جابر وبابا سعد» بعد أسبوع. وقد شاء أن يزأر بقولته ونبوءته وهو يمسك بصورة تضم سمو الأمير وسمو ولى العهد معا. وقد شاء الله أن يتحقق حدس هذا الطفل المصنف

«ضعيف عقل» ويتحقق النصر وتتحرر الديرة كما حدس تماما!.

وكان هذا الطفل رهيف الحس رقيق الخاطر شديد التأثر والانفعال باحتلال الكويت. فإذا شاهد- صدفة- ضابطا أو عسكرا احتلالين راح يغمغم ويرعد ويزبد ويضطرب دلالة على رفضه لوجودهم داخل داره ومأواه. ولعله- بغمغمته- يقرعهم ويوبخهم ويدلق عليهم مر الكلام وأبشع الصفات والنعوت! ولا يهدأ أو يستريح إلا إذا انقلعوا عن عينية أو ازاحوه عنهم!.

يكتسى محيا الأخت «فضيلة بلال» غلالة من الشجن والحزن.. تتذكر وتترحم على مئات النزلاء الذين ماتوا مرضا واعياء وبهبوط الضغط والسكتة القلبية. لقد حصد المرض أزيد من ٦٠ نزيلا من كافة الأقسام. وأكثر الوفيات كانت بين ضعاف العقول والمسنين وبعض الأطفال، زد على ذلك شيوع الأمراض الجسمانية والنفسية والمخاوف المرضية القهرية والقلق والأرق وفقر الدم وارتفاع الضغط أو السكر وهبوطهما الحاد. والحمد لله على كل حال.

فقد مكننا المولى سبحانه بمعالجة وعيادة الآخرين بفضل جهود الجنود المجهولين من الأطباء والممرضين المتطوعين. كان الدكتور على الهديب- جزاه الله خيرا- يزورنا يوميا[1] ويمضى فى أقسام المجمع ساعات كثيرة. وثمة أطباء غيره كانوا يعودون المرضى ويحضرون لهم الدواء ويكشفون عليهم بين يوم وآخر.. أو كل يوم حسب التساهيل والظروف والضرورة.

وتعقب «زينب أمان» لهم الله أولادنا النزلاء.. ثم يشرق وجهها الطيب بابتسامة حيية وهى تقول: الحق أننا- نحن الأسوياء- بحاجة إلى نقاهة نفسية وعلاج وجدانى روحانى لأن الذى شهدناه وشهده وعانى منه النزلاء يصعب محوه ونسيانه من ذاكرتنا! لكن الذى يعنينا الساعة هم عيالنا نزلاء دور الرعاية الاجتماعية. فهم يحتاجون- وبشدة وسرعة- إلى إعادة تأهيل وعلاج نفسى يعيد العافية لصحتهم النفسية

(١) ثمة أطباء غيره شاركوه نفس المهمة لم تسعفنى ذاكرتى على استعادة اسمائهم.

والوجدانية والجسمية.

❋ ❋ ❋

دار الرعاية بحاجة إلى رعاية !

أقول ذلك لأن المحنة قد كشفت لنا العديد من الثغرات والهنات والأخطاء والخطايا فى منهاجنا التربوى لرعاية وتأهيل نزلاء مجمع الرعاية الاجتماعية.

أعرف- سلفا- بأن بعض آرائى أو كلها قد لا تعجب البعض، هذا لا يهم. ما دمت مقتنعة تماما بأن رأيى يعبر عن قناعتى التامة بضرورة التنبيه والتحذير ودق الأجراس قبل أن تستفحل البلية وتنتشر وتتجذر فقد لاحظت بأن نزلاء قسم «المجهولين» يتسمون بالوقاحة واللامبالاة والتهور! ويميلون إلى ممارسة الفوضى وتحدى القوانين واللوائح والتقاليد والقيم المسيرة للحياة اليومية لنزلاء المجمع.

وقد راعنى- ونحن فى عز المحنة ومآسيها- أنهم يسمرون ويغنون ويرقصون ويسهرون الليل كله وكأن البلاد تعيش عرسا وطنيا يستأهل مثل هذه الزفة الاحتفالية اللامعقولة! وحين حاولت نصحهم بالحسنى والكلمة الطيبة مستثيرة عاطفتهم الدينية ونخوتهم الوطنية وواجبهم تجاه وطنهم الذى احتواهم واحتضنهم ورباهم وعلمهم وأحاطهم بالحب والرعاية ومنحهم الحقوق والامتيازات.. أقول حين فعلت ذلك.. فوجئت بهم ينفجرون فى غاضبين كأنى دست لهم على طرف! فراحوا يصرخون ويشوحون بأيديهم ويتلفظون بعبارات نابية غير مألوفة فى مجتمعنا. وإذا كنت- بفضل الله وعنايته- قد انتصرت على عصابات القمع والإرهاب العراقية.. فيجب على الاعتراف هنا بأنى لم أحقق عين الانتصار مع عيالى المشاغبين المدللين. فاخترت تكتيك المهادنة إلى حين ينقلع العدو المحتل. والذى يهمنى التنويه به هو أن هؤلاء النزلاء يحتاجون إلى بحث

وخطة وعلاج يشمل كيفية وسبل تربيتهم ورعايتهم وتعليمهم وتأهليهم للإنخراط فى نسيج المجتمع للسعى فى الأرض مثل أى مواطن صالح.

ويتذكر العبد لله- فى هذا السياق- أنه حين غاب مدة طويلة عن عائلة مغربية صديقة وعاد إلى زيارتها وجد عند ربة البيت طفلا فى الثامنة من عمره ساكن الحركة دمث الأخلاق ذرب اللسان وعمره العقلى أكبر من عمره الزمنى! وكان يخاطب ربة البيت بـ «ماما» وترد عليه نعم «يا المهدى يا وليدى». وكان أخوته يخاطبونه وينادونه «خويا المهدى» لكنى لاحظت بأن «سى المهدى» لا يشبه أخوته ولا والديهَ فضلا عن لونه أسمر كثيرا عن لون أمه الحنطاوية اللون. وواضح من سماره الشديد وشعره الأكرت لا يمتان بصلة إلى بياض بشرة الابن وسواد ونعومة شعره المرسل! ويدون قصد وجدتنى على علاقة حميمة مع «سى المهدى» ووجدته هو الآخر يستجيب لأبوتى واقترابى بحرارة وود وفرح! لاحظت الأم المشهد. زغرد قلبها بالفرح فأخذ المهدى يضحك معى ومعها بشدة وبراءة. همست أمه وهى باسمة «ها لذرى باين عليه يحبك بالزاف»[1] قلت لها مقلدا لهجتها[2] «شكون يالا.. قصدك سى المهدى؟ ونا بحبه بالزاف لأنى بشوف فيه كل الذرارى ديالى»[3] سوى أن «ديالى» يفتقرون إلى سمت «المهدى» الوقور وهدوءه وطول باله. ضحكت. ضحك المهدى. ضحكنا كلنا. وجاء بقية الذرارى على ضحكنا.. وبدون أن يعرفوا «السالفة» والحكاية انفجروا فى الضحك حتى غرقوا وشرقوا فى دموعهم!.

والخلاصة أن الإنسان الطفل يمكن أن يكون سويا صالحا إذا وجد القدوة الصالحة والرعاية الفائقة والمناخ الصالح للرعاية والتأهيل والتربية والتعليم.

والطفل «المهدى» اختار هذان الزوجان تربيته تقربا إلى الله وزلفى. ومنذ أن كان

(١) هذا الولد يحبك كثيرا.

(٢) من يكوِن يا سيدتى.

(٣) ديالى : ما يخصنى .. مثل «بتاعى» المصرية.

رضيعا كان يعيش بمعية والديه- بالحليب- وأخوته غير الأشقاء. عاش معهم وبينهم ووسطهم ورحل وسافر وشرق وغرب بمعيتهم، وحصالته فى البنك يجمع فيها ما ينفحه اياه الوالدان والأخوة والأقارب والأصدقاء فى الأعياد والمناسبات السعيدة. ويعتقد العبد لله بأن وجود الطفل «المهدى» فى وسط عائلى صالح جعله طفلا سويا مثل أقرانه فى الشارع والمدرسة. ومن يدرى كيف يكون حاله لو أنه عاش فى دار رعاية اجتماعية عامة؟!.





اعتقال أم صالح

* فى مطلع الأسبوع الثالث من الشهر الثامن لعام ١٩٩٠ غادرت السيدة «أم صالح» منزلها بمعية ابنتها «مها» والسائق الباكستانى «محمد».. وسارت بهم السيارة صوب عيادة مرضى السكر فى «النزهة». وكان الطريق ملغوما بنقاط التفتيش التى لا توفر أحدا من المواطنين والمقيمين (الذكور+ الأناث) على حد سواء.

ولذا كان من البديهى أن تتوقع أختنا «أم صالح» تفتيشها من قبل رجال «السيطرة» لكنها لم تكن خائفة من شيء، لأنها لا تحمل معها سوى بطاقتها المدنية والصحية. وقد تجاوزت السيارة ثلاث نقاط تفتيش تعرض فيها الركاب إلى تفتيش السيارة من الداخل. والتدقيق فى الهويات، والبحلقة الشرسة فى الوجوه السمحة الطيبة! لكن الصندوق لم يفتح.. ربما لاعتقاد العسكر بأن الذى يخفى شيئا لا يضعه فى هذا المكان المريب! وعند «السيطرة» الأخيرة: فتح صندوق السيارة، وفجأة قامت قايمة الجنود، وطاش صوابهم وأشهروا أسلحتهم على الأم المريضة بالسكر والضغط، وابنتها والسائق الوديع «حجى محمد»! زأرت بهم «أم صالح» بغضب «ما تستحون على وجوهكم ترفعون السلاح على الحريم؟!» لكن ««النشامى» أياهم لا يجدون

غضاضة فى ذلك! سيما وأن السيدة المريضة «ضبطت» وهى «متلبسة» بحمل «ممنوعات» خطيرة تتمثل فى مجموعة صور لسمو الأمير ولسمو ولى العهد وبعض الأعلام والملصقات الوطنية! بسرعة قادتهم سيارة الأمن إلى المخفر فالتحقيق. وارتأى أحد رجال الأمن أن أسم «شيخة»[1] يمثل إليه: لقية وصيدة لا يجوز له التفريط فيها. وهنا نقلت السيدة وابنتها وبمعيتهما السائق العجوز إلى مركز أمنى استخباراتى آخر يليق «بالمقام» لكن السيدة «أم صالح» وابنتها لم تكفا طول الوقت عن تقريع الضباط والمحققين، على اعتقالهم لهما بسبب حيازتها لصورة! هل هى مخيفة إلى هذا الحد هذه الصورة؟! لكن رد فعلها الجرىء زاد الطين بلة. إذ أنه أكد لهم بأن هذه الجرأة وسلاطة اللسان لا تصدران عن «حجية» مسنة ربة بيت عادية! ولذا لابد من ترحيلها إلى الادارة العامة للاستخبارات فى البصرة. وهكذا فى الحادية ليلا- وبعد تحقيق استمر كل النهار وقسطا من الليل- انطلقت بهم السيارة «السوبرمان» ميممة صوب المطلاع. وهنا ظنت بأن ساعة أجلها آتية لا ريب فيها. فراحت «أم صالح» تبسمل وتحوقل، وتلهج بالذكر والدعاء حتى أغمى عليها! الأمر الذى أثار فزع وخشية ابنتها، فراحت هى الاخرى تولول وتبكى زاعمة بأن والدتها تحتضر! فأخذ رجال الاستخبارات يتبادلون نظرات طافحة بالشر بينما السيارة المسدلة الستائر تطوى القار طيا بسرعة جلمود حطه السيل من عل!.

ثمة أنوار وحركة وضجيج يتسللان داخل السيارة المسدودة النوافذ أفاقت «أم صالح» فوجدت أن يدها متشبثة بعناق ابنتها الأمومى! توقفت السيارة أمام مبنى كئيب تنقبض النفس لرؤيته على ذمة رواية «أم صالح» ذاتها. الحاصل عاودوا التحقيق مع الثلاثة.. كل على انفراد.. ولاحظت البنت الشابة. أن مسار التحقيق، أخذ ينحو منحى مغايرا لنظيره فى الكويت المحتلة! فالجماعة يعتقدون بأن اسم والدتها «شيخة» يعنى أنها «شيخه» حقا وفعلا وأصلا ونسبا! وإلا لم ترفض الاذعان لأوامرهما الحقيرة

(١) اسم شيخة شائع فى دول مجلس التعاون الخليجى.. وهو لقب أفراد الأسرة الحاكم من النساء. ويعنى الأميرة.

بسب فلان وشتيمة علان؟! وتقول بأن أحد الضباط «البصراويين» هو الذى اكتشف بأن عباقرة الاستخبارات فى النظام المستبد الظالم، قد وقعوا فى «مطب» لا يحسدون عليه! ولذا راح يهمس لزملائه- وهو يدارى ابتسامة شماتة تكاد تقتحم شفتيه- بأن اسم «شيخه» مباح ومتاح لأى أنثى فى الكويت وديار الخليج العربى.. بحكم أنه أسم وليس لقبا. ولو لم يكن اسما وليس لقبا..فهل من المعقول وجود «شيخة» باسم «عبدالعزيز» وهو- كما ترى اسم مذكر لا يحمله إلا الذكر؟! (يا به فضحتونا جدام الحريم الكويتيات! الحجية صار لها ساعات وهى تحلف وتؤكد بأن اسمها «شيخة» حاف! أى بدون صفة ولا لقب! مثل بقية أسماء خلق الله[1].

* ومع ذلك لم يطلق سراحهم فورا- بدافع «حاسة» العزة بالاثم! لذا ظل الثلاثة فى «الضيافة» ثلاثة أيام بلياليها تأسيا بتقاليد الضيافة العربية. ألا تراهم فى التليفزيون يمثلون دور «النشامى» وفى مسرح عمليات البطش والقمع والأرهاب يظهرون على حقيقتهم المضرجة بدماء الأبرياء والضحايا.

وفى صبيحة اليوم الرابع من الاعتقال كانت السيارة تعود بالركب إلى الوطن المحتل. وقد لاحظت الأم وابنتها: بأن المسروقات «الشعبية» تباع جهارا نهارا على الهواء، وفى العراء وتحت الشمس وأمام عيون البوليس، ورجال ونواطير الليل، وزوار الفجر وعباقرة القمع والردع!.

حين تنسمت «أم صالح» أريج رائحة محافظة الجهراء الذى تخبره «مناخيرها» منذ أن كانت طفلة صغيرة.. أجهشت بالبكاء، وكانت هى المرة الأولى التى تبكى فيها منذ زمن بعيد.

---

(١) مثل اسم أميرة الشائع فى بعض الديار العربية.





بعد أسابيع قليلة من الاحتلال صار من النادر مشاهدة امرأة سافرة متبرجة مزوقة أو ملطخة بألوان «المكياج» والزينة. وصار من المألوف رؤية غالبية نساء الديرة وهن يتشحن بالعباءة السوداء ويعتمرن غطاء الشعر «الملفع أو الحجاب».. ومن هنا: فإن المرأة المندسة الغريبة عن المنطقة، تعرف بزينتها الصارخة وعطرها الفواح وظهورها السافر بدون عباءة أو وشاح! وكأن النساء الكويتيات متفقات على زى حركى يعبر عن هويتهن قوامه: العباية والملفع، أو البرقع أو الحجاب!.

ولأول وهلة نظر رجال الأمن والاستخبارات إلى هذه الظاهرة على أنها مظهر حرص على الحشمة والحزن فقط لا غير! الأمر الذى مكن الكثيرات من القيام بتضحيات بطولية مدججة بالعباءة والبرقع أو الحجاب! حيث كن يخفين ويوزعن النقود والسلاح والمنشورات والرسائل، ويقمن بتصوير كل ما تحرمه سلطات الاحتلال من خلال العباءة!.

أضف إلى ذلك الدور الذى لعبته العباءة فى اخفاء وتهريب وحماية الرهائن الأجانب من الوقوع فى قبضة وأسر المحتلين.

فسبحان الله مغير الأحوال.. فمن كان يصدق أن هذا اللباس الوطنى التقليدى

العريق- الذى طالما وصف بأنه زى معوق غير عملى- يتحول إلى وسيلة نضالية عفوية شعبية تخطر فى الشارع، وتتجاوز نقاط ودوريات التفتيش وعدتها. فترى المرأة متأبطة منشورات، أو متحزمة بمفرقعات أو حبلى بالقنابل اليدوية والمسدسات والذخيرة.. وما إلى ذلك! لكنها تمر بسلام، وتمرق دون أن تكشفها عيون الردار، المبحلقة فى كل شاردة وواردة!.

وهذه المهمة تبدو- شكلا- سهلة ويسيرة، لمن لا يعرف المخاطر التى تحيط وتلاحق المرأة المحجبة الملغومة بالممنوعات!.

لأن حضور قانون «حمارابى» ينفى قوانين «حمورابى»، لأنه يعرض هذه المرأة وأمثالها لخطر الموت أو الاعتقال على أحسن تقدير!.

لقد نوهت- فى موقع آخر من الكتاب- بالصورة المظلمة الظالمة المرسومة للمرأة الكويتية فى أذهان الكثيرين- نحن معشر العرب، وهى صورة ظالمة ومظلمة، لأنها تعتمد على المظهر- لا الجوهر-، معيارا وميزانا للحكم على البشر! فالإنسان الذى لا يعرف الآخرين- عن قرب وكثب- فإن نظرته وتقييمه لهم، يتسم- عادة- باللاموضوعية والقصور والتشوية وكل ما يشين الصورة ويعكر جمالها. ذلك أن الناظر إليها من الخارج، يحسبها إنسانة هامشية عاطلة بالوراثة عديمة الممارسة! ويظنها تعيش لتلبس، وتتملك وتتسوق وتروح عن نفسها بالسفر والترحال، واقتناء المجوهرات والسيارات الفخيمة! ولا تحفل سوى بزينتها ومظهرها ورفاهيتها بس!.

ولعل شيوع هذه الصورة الظالمة.. مرده التعميم الخاطىء الذى يظلم الكل بجريرة البعض الشاذ! فالذى يشاهد- عرضا- فى إحدى سفراته مثل هذه العينة الهامشية، يسحب اعتقاده الخاطىء على جميع النساء الكويتيات بل الخليجيات! والحق أنه لا شىء مثل الفعل قوة وقدرة على تغيير الصورة المشوهة والاعتقادات الخاطئة والأفكار المسبقة المتعسفة الظالمة.

فالفعل وحده هو الذى يمنح صاحبه شهادة حسن سير وسلوك. ويبدد الغبش والغبار وكل ما يشوه صورة الإنسان، فى عيون الآخرين وذاكراتهم.

❋ ❋ ❋

أصالة المعدن ومحك المحنة

وهكذا وجدنا المرأة الكويتية التى كانت توصف وتوصم بالاتكالية والكسل واللامبالاة... الخ. قبل ٢/٨/ ١٩٩٠ (تاريخ الاحتلال العراقى الغاشم لدولة الكويت).. وجدناها- بعد الاحتلال- تنقلب رأسا على عقب.. الأمر الذى يدل على أن الصورة السائدة لها غير صادقة ولا حقيقة.. فضلا عن أنها خاصة بقلة قليلة، ورثت الغنى والبطر واستمرأت الحياة الهامشية، الخالية من الجدوى والمعنى والفائدة.

ومنذ الأيام الأولى للاحتلال الغادر قامت المرأة الكويتية بدور وطنى فعال، لا يقل أهمية وفعلا وحركة وتضحية عن دور الرجل.

فحين غادر الكويت أغلب العاملين فى البيوت والمؤسسات الأهلية والحكومية، ظن أصحاب الاعتقاد الخاطىء السالف ذكره، بأن الحياة اليومية لمجتمع المرابطين ستصاب بالشلل والعقم والاضطراب... الخ. لكن المرأة الكويتية استجابت للتحديات- التى أفرزتها المحنة- بمواقف مترعة بالمقاومة والتضحيات والحركة والفعل والكدح والنشاط. فوجدنا ربة البيت تشمر عن ساعد الجد: فتخبز وتطبخ، وتكنس الدار وتنظفها، وتغسل الملابس والمواعين، وتحلب البقرة والناقة والمعزة والنعجة!.

وكان يومها يبدأ من اطلالة الفجر.. حيث تشعل الفرن من أجل خبز طعام

الإفطار. وبمعيتها بناتها وهن يساعدنها ويقمن بالمهام المنزلية اليومية بحماس ونشاط واضحين. وإذا فرغت ربة البيت من مهام ساعة الفجرية، عكفت على انجاز جدول الأعمال اليومى، وفق الأولويات التى تفرضها ظروف المنزل.

والمهم أنها لا تكف عن الشغل والنشاط والحركة طوال نهارها وقسطا من ليلها، تماما مثلما كانت تفعل أمها وجدتها فى كويت ما قبل النفط!.

والعبد لله نفسه يعرف سيدة مسنة مريضة لم تقبل أن ينوب عنها أحد من بناتها وزوجات عيالها فى انجاز الخدمات المنزلية اليومية. فأثر صلاة الفجر توقد الفرن وتشعل البوتاجاز، وتعد وجبات الطعام وتشرف على الأنشطة البيتية التى تقوم بها بناتها وزوجات بنيها.

والمدهش أن استجابتها الصحية للتحديات التى نشأت عن غياب العمالة المنزلية.. لم تؤثر على صحتها العامة أو تؤثر- سلبا- على عللها وأمراضها العديدة. بل أن كل ماتشكو منه أعراض مرضية وآلام مبرحة زالتا بقدرة قادر! الأمر الذى حرضها على بذل المزيد من النشاط والحركة والانجاز والشغل!.

وهذه السيدة المريضة المسنة ليست حالة فردية شاذة.. بل أنها تعبر عن توجه غالبية السيدات والآنسات وكل أفراد الأسرة الكويتية.

ولا يحسب أحد بأن فعل ونشاط المرأة الكويتية محصور بتسيير شغل البيت فحسب.. بل أنه تجاوز ذلك ليشمل شتى مناحى العمل الوطنى التطوعى. حيث كانت حاضرة بفعلها فى أنشطة المقاومة الشعبية المسلحة، والمقاومة السلمية المناوئة للاحتلال،غير عابئة بعقوبات الاعدام الفورى والاعتقال التعسفى فضلا عن عدم رضوخها لشتى أنواع التنكيل والتعذيب والقمع والإرهاب!.

ومن هنا امتلأت سجون ومعتقلات سلطة الاحتلال بمئات السيدات والشابات، وازدهرت مقبرة «الرقة» بدماء الشهيدات اللواتى كن يجاهدن الطغاة الأرهابيين

المحتلين بكل شجاعة وإيمان وقوة.

وأحسبنى لا أغالى إذا أشرت بأن اشتراك المرأة الكويتية فى صفوف المقاومة المسلحة لم يدر بخلد العدو المحتل. ربما لظنهم بأن هذه الأنثى التى ألفت رغد العيش ورفاهيته، لا تقدر أو تجرؤ على حمل السلاح واستخدامه! ولا تغامر بحياتها بزج حميتها ووطنيتها فى أعمال المقاومة المحفوفة بالعدم والخطر والقلق. وهذا الظن ساعد فى التعتيم على دورها.. وساعد فى الوقت نفسه- على تقويض الرأى السلبى السائد عنها. وتمكنت باستشهادها وتضحياتها وصبرها وسعيها وكدها وحركتها من اقلاق مضاجع رجال الاستخبارات العراقية الصدامية والسخرية منهم والضحك على ذقونهم. فلم يكتشف الواقفون فى مراكز وحواجز ونقاط التفتيش المزروعة فى كل مكان بالكويت، أن هذه السيدة «الحامل» المتشحة بالعباية والتى تعتمر غطاء يحجب شعرها يمكن أن تكون من «رجال» المقاومة.. ذلك أن مشيتها المتثاقلة وبطنها المدجج بالذخيرة والسلاح يشى بأنها سيدة تتريض لتسهل عملية المخاض والولادة! إلى درجة أن بعض أفراد قوات الاحتلال كانوا يسألونها- وأمثالها- عن موعد ولادتها وعن الاسم الذى اختارته لمولودها!.

والحق أن العباءة الخليجية قد دخلت التاريخ من خلال الدور البطولى الذى قامت به المرأة الكويتية طوال أشهر الاحتلال.

وبهذا المعنى فإن العباءة كانت من أهم وأبرز علامات ورموز العمل النضالى الوطنى. وحين يوثق الدور الذى قام به المقامون الكويتيون فلابد أن تكون فى مقدمة الأبطال الذين تفتخر بهم الديرة والعروبة والإسلام!.

وهذا الدور النضالى للعباية ليس بدعة جديدة غير مألوفة فى ميدان الجهاد والتضحية والفداء فى الديار العربية والإسلامية. فقد سبق للمرأة الجزائرية والحجاب الجزائرى القيام بنفس الدور البطولى النضالى ابان جهاد الشعب الجزائرى الشقيق ضد الاحتلال الاستيطانى الفرنسى.

ومن هنا أتمنى أن تأخذ العباية حقها من التوثيق والاشادة والصدارة فى صالة المقاومة الوطنية بمتحف وثائق احتلال وتحرير الكويت. ولا بأس على رجال الأمن والاستخبارات العراقية لو صادروا من مكتبة الاذاعة أغنية «يم العباية حلوة عباتج!» لأن حلاوتها- هذه المرة- خارجة من رحم الفعل البطولى والتضحيات الجسام التى قامت بها العباءة وصويحباتها!.



* حرص السكان الأوائل لمنطقة كيفان، على أن تكون عمارة بيوتهم الحديثة، موصولة ببعض رموز البيت الكويتى الطينى العتيق، الذى خبروه قبل اكتشاف النفط.. فترى الفيلا من الخارج (بالأحرى لا تراها) مسورة بسور عال يضاهى ارتفاعه سور السجون والقلاع! وإذا دخلت الحوش أو الحديقة استقبلتك عتبات السرداب (القبو بلسان عرب الشام والبدروم بلسان عرب المحروسة). والسرداب أصلح مكان للسكن فى مناخ شديد الحرارة مثل الكويت.. وكانوا- آنذاك- «مطلع الستينات» ينامون فيه القيلولة، نومة هنية بدون تكييف.. وكانت الأسرة- كلها- تستخدمه. لذا كان واسعا بحجم بناية المنزل، وبعض السراديب فيها غرف ومطبخ ومغسلة وحمام و «سونا» ومكتبة وديوانية وملعب للأطفال والكبار!.

وإذا خرجت من السرداب، واجهتك البركة التى تخزن فيها مياه الأمطار، حيث يصر راعى البيت على معاينة سعة وعمق البركة، وحلاوة ونقاوة وطهارة ماءها! وفى هذا السياق أذكر أنى أبديت تحفظى ازاء مشروع البركة إلى كل من السيد الوالد أطال الله عمره والعم «بو أحمد» فهد سليمان الفهد «رحمه الله» قلت بلسان المتحذلق

«القارىء» فى المعارف. لم السرداب؟ ولم البركة؟ أن المنازل الحديثة والكويت الفتية لا يحتاجان إلى وجودهما - وله الحمد- فالماء سيصل إلى خزانات البيوت بواسطة السيارات «التناكر»[1] من محطات تقطير المياه، وسيأتى اليوم الذى تصل فيه المياه مباشرة عبر المواسير. أما السرداب: فإن المراوح وأجهزة التكييف سيتكفلان بتلطيف حرارة مناخ الفيلا، بدون الحاجة إلى مصايف وعناء حفر وانشاء سرداب لا جدوى منه. وأذكر أن العم «بو أحمد» رحمه الله رد على قائلا وماذا لو انقطع التيار الكهربائى وشح الماء؟! أن الاحتياط وأجب ، ومن يدرى فقد يأتى اليوم الذى تجد نفسك فيه بأمس الحاجة إلى السرداب والبركة.. ومرت السنون، ولم يعد الإنسان بحاجة إلى البركة.. بل أن بعض الأسر، عمدت إلى ردمها لانتفاء الحاجة. لكن الأغلبية، حافظت على وجودها، أو تناستها بدعوى أن لا ضرر منه.

وكانت اللجنة الشعبية لكل منطقة سكنية، قد رصدت وأحصت عدد البرك والسراديب، فى كل قطعة وشارع بالمنطقة السكنية. وزودت كل سرداب، بالتموين الأساسى ومعدات اطفاء الحريق، كما طالبت الأهالى بملء بركهم من باب التحوط. وهكذا كان.



سرداب الأسرة الوطنية الواحدة

وحين بدأت الغارات العسكرية الجوية لعملية «عاصفة الصحراء» لجأ الأهالى إلى السراديب المجاورة لبيوتهم. فصار كل سرداب يحضن عشرات العائلات التى لا تتوفر فى منازلها السراديب.

(١) سيارة مخصصة لنقل المياه.

ولعل الأيام التى اجتمع فيها الأهالى فى السراديب، من أشد أيام الاحتلال قلقا وتوترا.. وأحفلها بالإيثار والتراحم والتضحيات والتكافل. فقد تزامنت مع بداية العمليات الحربية الجوية، وعقبت حملة الاعتقالات التعسفية التى طالت الآلاف من أبناء الوطن . فعاش الجيران كل المدة التى استغرقتها عملية «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت. داخل السرداب. وقد قسم كل سرداب، إلى قسمين: الأول للسيدات والأطفال، والآخر للذكور صبيانا وشبابا وشيبا.

وكانت روح الجماعة الواحدة- أو أن شئت- روح الأسرة الواحدة تسكن الجميع. الظلام يخيم على الكويت، والتلفونات مقطوعة والشوارع خالية، والبيوت ترتج من شدة وقع المتفجرات ودوى المدافع واختراق الطائرات لحاجز الصوت. وكان الشباب يخرجون من السرداب ليصعدوا سطوح المنازل للفرجة على«مسرح العمليات» بدون خشية! وكان الأطفال يتمردون على «حكرتهم»[1] فى هذا السرداب، فيتسللون- خفية- إلى الحوش بدافع الفرجة، تأسيا بالكبار واقتداء بهم. ولوعن لك حثهم على النزول إلى تحت، حيث المكان أكثر أمنا وسلامة، لقالوا لك: لم تسمحون للشباب بالتسكع فوق السطوح ولا تبدون خشيتكم عليهم؟! أين راحت الديموقراطية التى تلعلعون وتتغنون بها ليل نهار؟! أم أن ديموقراطيتكم على ناس ناس.. كما مطر الصيف! ولا تملك ازاء هذا المنطق المفحم، سوى أن تبلع ريقك وترضخ لتيار الأغلبية السليطة اللسان على مضض! ولكن قلوب الأمهات لا تحفل بالجانب الديموقراطى للمسألة.. فترى كل أم تهرع- لاهثة- نحو الحوش فتقبض على وليدها، ومن ثم تسحبه صوب السرداب وهى تغمغم بعبارات غاضبة، غير عابئة بصياح الاحتجاج التائه وسط زحام الأصوات الرعدية، التى تصم الآذان وتهز الجدران.. وبعض القلوب المسكونة بالخوف والقلق والتطيرا.

* وعلى الرغم من كثرة سكان السرداب، وتباين أمزجتهم وثقافاتهم

(١) عدم خروجهم.

واجتهاداتهم.. إلخ. إلا أنهم كانوا «على قلب» واحد... صهرتهم المحنة ببوتقة الأخوة في الله.. الأمر الذي أدى إلى تجاوز واحتواء أي اهانة أو خطأ يحدث لسبب أو لآخر.

ولأن الحاجة أم الاختراع، فقد ابتكر أحد الأخوة الاكاديميين، لغة شفرية لمعرفة طارق الباب والمنادي من وراء سور البيت العالي، بصوته الجهوري أو ببوق و «هرن» سيارته. وكانت الأبواب الخارجية للمنازل موصدة، ولا تفتح لأحد يجهل مفردات قاموس اللغة السرية للاتصال والتخاطب في هذه الفترة! وقد أدت هذه الطريقة إلى انقاذ آلاف المواطنين من الاعتقال العشوائي التعسفي التي تم قبيل العمليات العسكرية الجوية.



محنة الاحتلال الغاشم

في وجدان الأطفال

ولعل أكثر ما لفت نظري وأثار اهتمامي في «حصار السراديب» هو التبدل الواضح الذي طرأ على سلوك الأطفال! فقد بدا لي: أن أطفالنا الذين عاشوا محنة الاحتلال- بكل ويلاتها المأساوية وآثارها المدمرة ليسوا هم نفس أطفالنا الذين عرفناهم وخبرناهم! حديثهم ولهوهم كله- أو يغلب عليه- العنف والعدوان، والكر والفر والذبح والإعدام والمسدسات والرشاشات والدبابات والحرائق.. وغير ذلك من المفردات الغريبة على قاموس حياتهم اليومية. وقد عن لي- ونحن في السراديب- اشغالهم بعمل رسوم يعبرون من خلالها عن مشاعرهم وأحساسيسهم تجاه محنة الاحتلال الغادر. ولفت نظري أن صورة إبليس والشيطان والإنسان القبيح الكريه صارت علامة ورمزا للضابط

أو العسكرى العراقى وكان اللون الأحمر هو الحاضر فى كافة الرسوم واللوحات، وينزف منها بصورة وحشية مرعبة! وفى كلمة: كانت رسوم الأطفال شهادة وجدانية شعورية ولا شعورية، ضد الغزو الهمجى والاحتلال الوحشى وممارساته الاجرامية. والحق أن الطفل الكويتى المرابط فى الكويت المحتلة، لم يكن بحاجة إلى ممارسة الرسم لمعرفة آثار الاحتلال على وجدانه وذاكرته وأحلامه ونفسيته.. حسبك أن تراقبه- من الظاهر- عبر حركته وسلوكه اليومى، وعلاقته بنفسه وأقرانه وذويه! فثمة أطفال استحوذت عليهم المخاوف المرضية القهرية! وثمة أطفال غيرهم صاروا يتهتهون فى كلامهم وتزورهم الكوابيس المفزعة كل ليلة تقريبا!.

وأحسب أن هؤلاء الأطفال ستظهر عليهم- بمرض نفسى أو جسدى- آثار المحنة وويلاتها.

وقد أحسن «المركز الإعلامى فى الجابرية» صنعا حين بادر - بعد التحرير-، بدعوة الأطفال والصبيان والشباب إلى توثيق مشاعرهم وانفعالهم بمحنة الاحتلال.. بالريشة والألوان وعدة الفن التشكيلى. وأحسب أن آلاف اللوحات والرسوم التشكيلية، تشكل مادة ثرية متنوعة للباحثين فى الطب النفسى والتربية وعلم النفس والاجتماع والأخلاق وكافة المعنيين بتشريح النفس الإنسانية والمختصين بعلاج أمراضها وأعراضها وصحتها العامة.

وقد أتيح للعبد لله: الاطلاع على العديد من هذه الرسوم فى «المركز الإعلامى بالجابرية» وراعنى أن العامل المشترك الذى يجمع بينها ويشكل أرضية واحدة لها هو: الاختلاط والخلط فى القيم والمعايير، والخلخلة فى معمار الأحلام القومية فضلا عن ذلك الانقلاب الهائل الذى حدث فى مفاهيم الجيرة والإخوة والوحدة والأمن والدفاع والقواعد العسكرية والحلفاء وجامعة الدول العربية ومجلس الأمن وتحرير القدس... الخ. وفى هذا السياق أذكر أن بعض المواليد أطلق عليهم أسماء أوروبية وأمريكية تيمنا بالتحالف الدولى الذى أنجز عملية «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت! وفى

النصف الأول من شهر رمضان اعتاد أطفال الكويت على الاحتفال بليلة «القرقيعات» حيث يقوم الأطفال بالطواف على البيوت بملابسهم الوطنية التقليدية وأكياس القماش تتدلى من أعناقهم أو أكتافهم ليجمعوا فيها المكسرات أو «القرقيعان» وسط أهازيج تقليدية موروثة تتضمن تمنيات طيبة لذرية صاحب البيت. وهذه الأهازيج مكرسة للأطفال فقط.. إذ لا يعقل أن يدعو «المقرقعون» المولى سبحانه بأن «يخلى فلانا لأمه» بينما هذا الفلان شاب بشوارب! الحاصل أن «قرقيعان» هذا الموسم فى رمضان المنصرم ١٤١١هـ تأثر هو الآخر بالزفة الإعلامية الغربية لعملية «عاصفة الصحراء» فإذا بهذا الاحتفال الطفولى العريق المحافظ على توقيته وطقوسه وأغانيه منذ مئات السنين يلبس «الجينز» التاكساسى ويعتمر قبعة «الكاو بوى» ويرطن- الأطفال- بالدعاء للمستر «بوش» والميسز «تاتشر» والمسيو «ميتران».

والأطفال- بطبيعة الحال- غير ملومين لأن غزو بلادهم واحتلاله أحدث بلبلة وخلطا وخلخلة فى القيم والمواقف والاتجاهات والأحلام القومية. فحسب معارفهم المدرسية فإن الاستعمار الذى عانت منه الديار العربية والإسلامية كان على الدوام أجنبيا غربيا أوروبيا أو أمريكيا فضلا عن الاستعمار الاستيطانى الاسرائيلى لفلسطين. ولو أن الذين غزوا بلاده واحتلوها وعاثوا فيها فسادا ونهبا ودمارا من الغزاة المحتلين «التقليديين» لكان شأنه مثل شأن أقرانه من الأطفال العرب الذين تعرضت أوطانهم لبلية الاحتلال.. حيث بليتهم أخف وطأة وإيلاما من أطفال الكويت!.

ولكن غزاة الكويت هم أولاد العمومة والجيران... الخ. والذى زاد من حيرة وبلبلة وتمزق الأطفال، يكمن فى ملاحظتهم أن «الاستعمار» العربى العراقى الصدامى، حرض آبائهم وأجدادهم على «الترحم» على الاستعمار الغربى المسيحى! لأن الاحتلال «الصدامى» بز وفاق الاحتلال الأجنبى فى السلب والقمع والإرهاب والممارسات الإجرامية اللاانسانية. التى لا سابقة لها فى التاريخ.. ولا فى أفلام وروايات الخيال العلمى وغير العلمى!.

ومن هنا أقول بأن أكثر الأضرار التى تمخضت عن احتلال العراق للكويت، تكمن فى التخريب والدمار الذى حدث فى وجدان وذاكرة أطفال وصبيان وشباب الكويت وديار الخليج الغربى والجزيرة العربية.. وربما كل الديار العربية.

ومن هنا- أيضا- أقول: بأن اعادة تعمير الكويت ليست سهلة كما يظن البعض من الوسطاء والمنتفعين والسماسرة والمقاولين والوكلاء والشركاء وعشاق المقسوم و«الكومشن» ومن لف لفهم. إذ أن المسألة- فى اعتقادى- ليست مناقصة دولية مكرسة لعمارة المبانى والمرافق... الخ. تتقاسمها المؤسسات والشركات المختصة. فحسب.. ولو كان الأمر كذلك لهانت المصيبة رغم آثارها المدمرة ونتائجها المأساوية! **لأن الدمار الذى تعرض له الإنسان جسدا وعقلا ووجدانا، هو التحدى الأهم فى سياق عملية بناء وعمارة الكويت.**

هكذا كان اعتقادى وأنا أنعم النظر والتأمل فى سلوك ورسوم الأطفال الكثيرين الذين ضمهم السرداب، طوال فترة العمليات الحربية الجوية والبرية المكرسة لتحرير الكويت!.

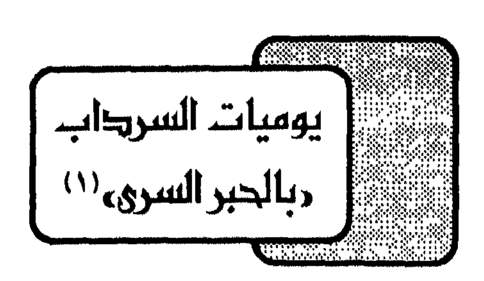


الحجية رادار!

وفى السرداب أو القبو- كما يبغى أخونا الأديب الروائى محمد مستجاب- كان الراديو صلتنا بالعالم.. والمحظوظ منا من كان يملك بطارية لتشغيل الراديو. لأن خدمات الكهرباء والتليفونات والماء مقطوعة وغائبة. أضف إلى ذلك أن الأبواب الخارجية للمنزل موصدة، ولا تفتح سوى للطارق الذى يعرف كلمة السر.. أو طرقات

السر بمعنى أصح! وقد أضطر الأهالى إلى اغلاق الأبواب، درءا للاعتقال التعسفى والمداهمات المزاجية، التى كانت تتم فى كل حين!.

وإذا رغبنا فى معرفة ما يجرى فى الخارج، تطوعت سيدة عجوز لأداء مهمة الكشاف، الذى يستطلع ليعود بالأخبار والمعلومات! واختيار العجوز لأداء هذه المهمة يكمن- من خلال السوابق- فى أنها ليست محل ريبة وشك، ولا تغرى بالاعتقال ولا غيره! ولو تعرضت أحداهن إلى سين وجيم من قبل «الأخوة الأعداء» فإنها تتخلص منهم بحكمة السنين، وحزن وشجن الأم الثكلى أو الأرملة أو المنتظرة لعزيز- من صلبها ورحمها- غاب وغيب عنها فى سجون أو «مضافة» عراق صدام! وقد اكتشفت أن هذه السيدة التى بلغت أرذل العمر مخبرة لها العجب! وكنا نسميها الحجية «رادار» لبراعتها فى الاستطلاع والتجسس! ولعلها أول إنسان فى المنطقة السكنية يكتشف أن المحتلين هجوا ولم يبق منهم أحدا. جاءت وصوتها يزغرد بالفرح العامر بالشكر للمولى سبحانه وتعالى: ابشروا يا جماعة الخير.. فرج الله جاكم.. ربنا سبحانه يمهل ولا يهمل.. الله أكبر.. هللوا وكبروا.. ردت الديرة حرة.. اللهم لك الحمد والشكر صلوا على النبى محمد، عليه الصلاة والسلام.



ابتدأ فجر الأحد ١٩٩١/٢/٢٤ فى تمام الساعة الثالثة هجوم القوات البرية لقوات الحلفاء «عاصفة الصحراء» تساندها القوات الجوية والبحرية بعملية تعرف عسكريا باسم «الكماشة».

وقد توافد الجيران إلى السرداب بأطفالهم نسائهم.. إلخ. ومعنوياتهم- ولله الحمد- عالية جداً.. حيث يتابعون الأخبار بفرح غامر. والأطفال يمارسون لعبهم بدون خوف.

وقد أدينا- نحن الرجال الصلاة جماعة.. حيث جمعنا صلاتى الظهر والعصر. وشاركنا الصلاة الأطفال بكل وقار وهدوء.. على غير العادة!.

وضاحية كيفان.. يلفها التوتر.. حيث لا تسمع سوى دوى المدافع، وزخات الرصاص وأزيز الطائرات... إلخ. الكهرباء انقطعت منذ الثالثة فجرا. فاضطررنا إلى استخدام السراج الذى ينير بالجاز.. فضلا عن المصابيح الصغيرة التى تعمل بالبطاريات.

(١) هذه الخواطر كتبت على ضوء شمعة محتضر.. وقد أوردتها هنا بعلاتها بدون محاولة لإعادة صياغتها

النساء تتعاون في اعداد الطعام.. وعلى الرغم من كثرة عدد المتواجدين في السرداب، إلا أن الحياة تسير مفعمة بالروح المعنوية العالية.

وقد تم إغلاق الباب الخارجي.. لأننا لا نثق ولا نعرف الطارق، سيما إذا كان لا يعرف عن نفسه.. ولاينادي أهل البيت. الأمر الذي يشي بأنهم جنود عراقيون جاءوا لاعتقال البقية من الشباب. وخلال الأيام الأربعة الأخيرة.. تم اعتقال آلاف الشباب من كافة محافظات ومناطق الكويت. ولا يعرف مصيرهم بالنسبة إلى أهاليهم- حتى الآن- وإن كانت بعض الإذاعات تشير إلى إعدام الكثيرين منهم! ومن الصعب، بالنسبة لنا، التحقق من صحة هذه الأخبار، لعدم تمكننا من مغادرة المنازل خشية الاعتقال.. أو التعرض لنيران المتحاربين. ولذا لا نملك سوى التحصن في السرداب.. بخاصة وإن إذاعة الكويت تحذر المرابطين من الخروج من الملاجيء أو التجمهر.

والأخبار تشير إلى السيطرة على جزيرة فيلكا.. وعمليتي انزال في السالمية والرميثية.. وتضاربت الأقوال في تحديد موعد الهجوم البري بين الساعة الثالثة والرابعة فجرا. وما علينا!.

* حوالي الساعة الثانية ظهرا تحلقنا- نحن الرجال والصبيان- حول مائدة الغداء.. والظلام الدامس يخيم على الديوانية. بسم الله طعمنا عيشا[1]. حافا مع مرقة بطاط. لأول وهلة خيل اليّ أنها لن تكفينا.. لكن الأكلة ولله الحمد- أشبعتنا.. وكان الطعام «شروكة»[2]، حيث طبخ بعضنا هذه الأكلة.. وطبخ البعض الآخر مجبوس[3] دجاج تركناه للنساء والأطفال.. لكن بعض الأطفال اختاروا الأكل معنا.. فبارك المولى سبحانه في زادنا وأحاطنا بالسكينة.

---

(١) العيش: الرز.

(٢) الشروكة: المشاركة التي يساهم فيها الجميع.

(٣) المجبوس: المكبوس. أكلة خليجية قوامها الرز المطيب باللحم أو السمك أو الدجاج.

أكتب هذه الكلمات على ضوء مصباح كهربائى «بطارية» بحجم أصبع اليد وبالكاد أتلمس مواقع الكلمات، بينما الراديو الصغير لا يفارقنى.

ولعل أكثر ما سرنى هو أخبار استسلام آلاف الجندو العراقيين، لأننا نعلم بأنهم قد زجوا إلى هذه الحرب عنوة، وان غالبيتهم غير مقتنعين بها! وهى حقيقة سمعناها من الكثيرين من الضباط والجنود العراقيين الذين قالوها بصوت عال دون خشية! وبخاصة فى الأسابيع الأخيرة من الاحتلال.



تنويعات على معزوفة صوت أمريكا

اليوم الثانى يمر علينا ونحن محبوسون فى السراديب.. صلتنا بالخارج هى الراديو فقط.. المؤسف ان إذاعاتنا تعتمد على أخبار لوكالات الأنباء على الرغم من أن الحرب تقع فى ديارنا! حتى رجال الصحافة الذين رافقوا القوات البرية لم نسمع من بينهم صحفيا عربيا من المنطقة ولا غيرها! كل ما نسمعه هو تقارير لصحفى من الـ ب.ب سى أو صوت أمريكا أو وكالة الصحافة الفرنسية... إلخ.

ومن هنا فإن ما نسمعه هو «صوت أمريكا» يقال بلسان عربى بتنويعات مختلفة.. اللهم الا الشعر الحماسى الشعبى والفصيح.. وما عداهما هو «صوت أمريكا» يلعلع بلغات «الحلفاء» يعبر عن وجهة رأيها!!.

وكان يفترض أن تكون لنا فى الداخل إذاعة مكرسة للمرابطين[1] ولكن؟! ماذا أقول؟! الستر أحسن!!! ولا مجال الساعة إلى الصراخ والعتاب أو ادعاء الحكمة.. فنحن- أولا وأخيرا- عرب من عادتنا الأزلية عدم التعلم من أخطائنا. ولذا ترانا نكرر الأخطاء والخطايا! ما علينا! فى السرداب ثمة شمعة كبيرة لم تستخدم. أصرت بعض

---

(١) يمكنك معرفة التفاصيل فى الجزء الثانى من الكتاب.. إذا شئت!.

السيدات على عدم اشعالها، إلا حين يأتيهم خبر هلاك الطاغية! قلت لمن نقل لى المعلومة: أرجوك أخبرهن بأن يدعون للطاغية بطول العمر والبقاء. لأنه لا بد أن «يذوق» من «وجبات» القمع والارهاب والقتل.. التى أذاقها لشعبه فى العراق (ولاخوته !) فى الكويت وإيران.

❋ ❋ ❋

إعلام المحنة ومحنة الإعلام![1]

الاثنين ٢٥/ ٢/ ١٩٩١ السرداب يحتشد بعشرات الأطفال والصبيان والنساء والرجال.. ساعة يصرخ طفلى باكيا.. وأخرى يهب آخر من رقاده فزعا اثر كابوس!.

اليوم الثانى من بداية الهجوم البرى. صوت سعاد الصباح الملىء بالشجن والأسى أكثر وقعا على السامع من أصوات الكثيرين من المذيعين الهواة والمحترفين.

الإذاعة- أو الإعلام الكويتى الإذاعى- أحس من شهوره الأولى.. لكنه ما زال يعتمد على العنتريات والكلام الانشائى.. بينما نجد إذاعات «الحلفاء» عامرة بالأخبار والتحليلات الأمر الذى أضطرنا إلى اللجوء إلى الإذاعات الأجنبية المليئة بالأخبار والمعلومات والتقارير، والتى لا نسمع فيها نشيدا حماسيا أو أغنية عنترية! لا نعترض على دور الأغنية فى تعبئة الروح المعنوية.. إلا أن جل ما يذاع ليس فى مستوى المحنة! على كل حال لقد مللنا من ابداء الملاحظات. ولكن ما علينا. حسبنا القول بأن الإناء ينضح بما فيه!!.

كم كنا نتمنى أن يسمع المرابطون من إذاعتنا- نحن المحبوسون فى الملاجىء وسط

---

(١) أقرأ الجزء الثانى يتعرض الكاتب إلى هذا الموضوع بإسهاب.

الظلام الدامس- تعليمات ومعلومات مفيدة- ترشدنا إلى كيفية صنع الكمائم الواقية.. وتفادى الغازات والسموم القاتلة... إلخ لكننا نسمع نداءات الصمود! أو كأننا- لاسمح الله- لم نصمد طوال الأشهر السبعة الماضية!!!.

❋ ❋ ❋

خواطر شتى!

وأنا أكتب اقتحم على خلوتى وراح يتلمس طريقه إلى وسط الظلام الدامس.. ومن ثم سأل. شنو تسوى؟[1]. قلت: أكتب كما ترى. أحمد عمره أربع سنوات. ماذا تكتب؟ سألنى؟ ألوذ بالصمت مفكرا فى ايجاد الإجابة المناسبة.. لكنه يبادرنى وأنا أكتب هذه الكلمات بالقول: تكتب مكتوب لأخى نواف (نواف شقيقه الأكبر اعتقل منذ ٢٧/ ٨/ ١٩٩٠ ومن يومها لم نعرف مكان اعتقاله وما هو مصيره.. مثله مثل الآلاف من أقرانه من شباب الكويت)..

تدخل ذاكرتى المشحونة بالقلق، تطوف كل مناطق الكويت، تتساءل عن مصير «الربع» ماذا جرى لهم. والربع هنا ترمز إلى أفراد الأسرة الواحدة الذين صهرتهم المحنة فى بوتقة الأسرة الواحدة فعلا وحقيقة بدون تفرقة وتمييز من أى نوع. أتساءل عن مصير «عبادى»[2] و «بو عماد» و «بو بشار» و «أوس» و «صلاح» و «توتو» و«خالد» آخر الصعاليك فى الديرة.. وعشرات.. ومئات غيرهم. كان توتو.. وهو من العرب الأشراف الذين لم يخونوا البلد.. وتوتو هذا مجرد نموذج لمئات وآلاف غيره.. نموذج يدحض الفتن والاشاعات التى تحاول دق أسفين فى عمران العلاقة المتين بن أهالى

(١) ماذا تفعل؟.

(٢) أسماء حركية لبعض شباب وشياب المقاومة.

الديرة وأخوتهم العرب المقيمين فى الديرة منذ عشرات السنين.

فهو، أو هى- أى توتو-[1] ترمز إلى موقف الأغلبية من اخواتنا المرابطين من العرب والمسلمين وغيرهما. فهى- أى توتو- تتعرض يوميا إلى خطر الموت أو الاعتقال فى أحسن الأحوال.. لكنها لا تأبه لذلك. إذ أنها تخاطر بحياتها كل يوم.. بل كل ساعة من أجل الكويت وأهاليها. وحين تحين ساعة الخلاص من هذا الاحتلال الغاشم ويتاح لنا الكشف عن الأسرار فسيعرف العالم الكثير من المواقف المثيرة للدهشة والاعجاب الصادرة عن العرب والمسلمين وغيرهم الغيورين على حرية الكويت المضحين بأرواحهم من أجل هذه الغاية.

كانت توتو آخر من زارنا عصرية السبت. والحق أننا دهشنا لجرأتها فقد كان «الأخوة الأعداء» يومها يقبضون ويعتقلون كل من يجدونه فى طريقهم. بل أنهم كانوا يقتحمون المنازل والمساجد لاعتقال الشباب بخاصة وكل الأهالى بعامة.

قالت توتو ان «بو خالد» حى يرزق.. لكنها لا تعرف مصير بقية «الربع» وستخطرنا- الأحد- عن أخبارهم إذا كانت الظروف الأمنية تسمح بذلك. وبالطبع حالت العمليات العسكرية البرية دون ذلك. لهم الله. لنا الله جميعا. فهو حسبنا ووكيلنا.. وانا لله وانا اليه راجعون.

وأنا أكتب، سماعات الراديو على طرف أذنى، وبصراحة مرة شديدة: فقد كرهت ما يسمى الأغانى الوطنية، لأن جلها طالع من البطن لا من الوجدان والقلب! وليست فى مستوى المحنة!!.. ربما لأن أغلبها «ولفها» ولحنها وغناها «جوقة المناسبات» السعيدة والتعيسة على حد سواء!!! ولأننا لسنا بصدد فضح عوراتها فإننا سنتلزم بالستر.. امتثالها للهدى الزبانى «إذا ابتليتم فاستتروا»..!!.

* ثمة إنسان بيننا تجاوز الخامسة والسبعين، لا يقر له قرار، وهو نقطة الضعف

---

(١) توتو: اسم حركى لأخ عربى مرابط.

بيننا. فلذا نحاول أن نحيطه بالرعاية والطمأنينة.. وهو متوجس خائف لا يستطيع أن يجلس فى مكانه مدة عشر دقائق. فلو هبت الريح- مثلا- خيل اليه أن أحدا يطرق الباب! والذين لا يعرفونه عن كثب- من الشباب- يصدقونه، فيفزعون صوب الباب يتصنتون، ومن ثم يفتحونه.. ولكن لا أحد! أو أن يكون أحدا من الجيران... جاء يطلب شيئا أو يحمل معه الينا شيئا.

لكن صاحبنا: مسكون بالخوف، طوال الشهور السبعة الماضية..! تتسلط عليه المخاوف المرضية والوساوس القهرية، فيظن أن العراقيين سيقتحمون عليه داره ويسرقونه و.. و.. فى أى لحظة! وكلما سمع أخبارا غير سارة زادت مخاوفة واضطرابه!.

إن الخوف فى الأزمات قد يسبب أضرارا أكثر من البلايا ذاتها!.. فعلى سبيل المثال، فلو شب حريق- لا سمح الله- فى السرداب.. فإن عامل الخوف قد يتسبب فى الحاق الاذى بالمتواجدين أكثر من الحريق نفسه! فالزحام وعدم السيطرة على مسأله الخروج- من السرداب- ربما يسبب أضررا أكثر من الحريق ذاته. ومعذرة لهذه الموعظة التى اقتحمت السياق «بدون احم» ولا استئذان... معذرة..فالفاضى يعمل قاضى وواعظا!!.

الطريف أننى استلقيت بعد الغداء غاضبا بعد الشىء من هذا السلوك- قطع الكهرباء- بعد أن ألقيت على الربع محاضرة فى مضار الخوف. وصحوت فى الخامسة بالنور يملأ الغرفة.. فلم أملك سوى تسطير هذه السطور. أسمع صراخ الأطفال المعبرة عن فرحتهم باللمبة اليتيمة التى تضىء لهم السرداب. وقد خصونى- وحدى- بلمبة أخرى بغرفة المكتبة التى أقبع فيها بين حين وآخر لأسجل فيها هذه السطور.

الإخبار حتى الثانية ظهرا تشير إلى أن قوات التحالف بصفة عامة تطبق عملية «الكماشة» بصيغة جيدة. والمحللون يتوقعون أن تصل القوات إلى العاصمة هذه الليلة. ولا نملك نحن سوى القول «إن شاء الله» تأسيا بقول صلى الله عليه وسلم:

تفاءلوا بالخير تجدوه.

فاتنى القول أنه فى فترة الظهيرة زارنا العم بو على الصقران الذى أثار سرورنا.. وكنت أتوقع- بل أتمنى- أن يظل معنا إلا أنه جاء وهو الرجل المسن المريض العاجز عن المشى.. للأطمئنان علينا. ثم حضر الينا الأخ الصالح «بو على» الإنسان اليمنى الورع التقى من أبناء اليمن الذين أختاروا المرابطة معنا رغم الفرص التى أتيحت له للخروج من هنا طوال الشهور السبعة الماضية. وقد جاء هو الآخر للأطمئنان علينا.. ولم يقبل الإنتقال إلى مكاننا الآمن لأن جيرانه بحاجة إليه.. لأنهم من النساء والشياب.. فجزاه الله خيرا.

وفاتنى أن أذكر كذلك من أحداث يومنا هذا الحدث السار جداً.. ففى الصباح فوجئت بوجود جارنا الشاب الشهم صاحب النخوة الذى لا يكل ولا يمل من مساعدة الآخرين أعنى «بوسعود الخلف»[1] فقد كان بمعيتنا طوال الشهور السبعة.. لكنه أختفى فجأة مع بداية عمليات اعتقال الشباب عنوة التى سبقت الهجوم البرى بيومين.. وكان طيلة هذين اليومين مختبئا فى داره، وعلى صلة بجيرانه المجاورين لمنزله.. لكنه لم يتمكن من الاتصال بنا رغم أن منزله يقابل منزلنا، ولا يبعد عنه سوى أمتار قليلة.. ولكنه إنسان حذر. وأهم من ذلك خفة دمه التى لا مثيل لها فى كيفان كلها.. والأهم من ذلك هو خدمته للآخرين من الصباح حتى ساعة منامه. فالكل يتساءل: أين بو سعود وحده القادر على تشغيل مكنة الكهرباء.. وتنظيف البركة وملئها بالماء.. وتسلق منارة المساجد لانارتها..و .. و.. و.. و...

الساعة تقترب من موعد صلاة المغرب وعلى انهاء هذه السطور حيث يؤمنا «بو محمد» نسيبنا زوج بنت العم فهد.. وهو شاب تقى يقيم فى بيت العم فهد منذ الاحتلال. وصار لزاما عليه الآن ألا يغادر البيت.. سيما وأن سليمان وخالد (أبناء العم) فى الاعتقال ردهم الله سالمين.. وابن العم أحمد فى السعودية مع الحكومة..

---

(١) أقرأ ص ١١٧.

أعاده الله هو الآخر- وأهالينا النازحين- سالمين قريبا إن شاء الله!.

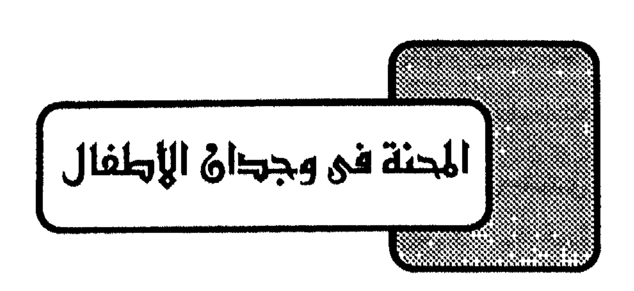
إن سماعنا لتحذير المرابطين باللجوء إلى الملاجىء والسراديب.. نجد فيه بشارة التحرير.. لأنه يشي بقرب التحرير والفرج وانقشاع المحنة التى عانينا منها شتى أنواع المعاناة.. ولله الحمد.. الذى لا يحمد على مكروه سواه!.

التعاون والتراحم والتكافل.. ولله الحمد تلف حياتنا اليومية! فكل أسرة فى السرداب شاركت بالتموين والخدمة... وكل شىء.

لكن «أبو سعود» والحق يقال هو الفارس المقدام الحاضر لأداء أى مهمة.. فهو رجل المهام الصعبة والشاقة.. وزوجة «أم سعود» هى الأخرى تماثله «رجولة وبطولة وشهامة ونخوة وخفة دم» وهى سيدة من النوعية التى يسميها البدو «أخت الرجال» رغم سنها الصغير. أما ربة البيت «أم العيال» فماذا أقول فيها وعنها، انها لوحدها تحتاج إلى ديوان شعر! وكتاب لوحده! ربما لأنها بحكم تربيتها جعلها تنتمى إلى جيل أمهاتنا.. الجيل الذى كدنا نظن أنه انقرض مع شيوع حياة الرفاهية والرخاء التى اقتحمت نسيج الحياة اليومية للكويتيين إثر اكتشاف النفط.

فى الحوش ثمة فرن حديدى نقال للخبز.. والنساء يتناوبن العمل عليه، أما السيدات المسنات فانهن يقبعن فى السرداب يتهجدن ويتلون القرآن الكريم.. على الدوام. فى بعض الأحيان يسولفن على الزوجات الشابات عن كويت بيوت الطين.. التى صرن يتنسمن رائحتها كل شهور المحنة. فكن يقلن هكذا كانت الكويت (قبل)! وقبل هذه تعنى الأيام الخوالى التى سبقت رفاهية الحياة النفطية.. أن صح التعبير!.





المحنة فى وجدان الأطفال

إن فكرة إذاعة (صوت العراق الحر) تعد تصديا جيد... يتناسب مع قوة الإعلام العراقى المتكىء على الكذب والتلفيق.. إلخ، وكان يفترض وجود هذه الإذاعة.. وأمثالها منذ البداية. لكن لا بأس. المهم أنها حاضرة.. ولا نريد الآن محاكمة الماضى- الآن على الأقل-. فمثل هذه الإذاعة تمثل منحى صحيا، وتصديا ايجابيا يتجاوز الإعلام العقيم الذى كان سائدا.. سيما فى الشهور الأولى.

فى الصباح، وبعد الفطور جمعت الأطفال فى غرفة الأكل حيث تحلقوا حول طاولة الأكل.. ومن ثم وزعنا عليهم أوراقا وألوانا.. وطلبت منهم.. القيام برسوم لوحات تعبر عن مشاعرهم. ولم أحدد لهم شيئا أو موضوعا معنيا.. أى لم نفرض عليهم موضوع الرسوم.. بل تركنا لهم الحرية.. بأن يرسموا ما يعن لهم.فى البداية لم يأخذ الأطفال المسألة «بجدية» كما هى عادة الأطفال ودأبهم.. حيث راحوا يتخانقون على الألوان، ويتجاذبون أوراق الرسم.. لكنهم حين شعروا بأنى اهتممت كثيرا بالرسوم التى أنجزها بعضهم. وعدوا بأن يرسموا لوحات أزين عشية اليوم وصباح الباكر إن شاء الله.

ومع أن الكاتب ليس ناقدا فنيا تشكيليا.. إلا أننى أحسب أن اللوحات تستأهل

العرض والتحليل.. ليس من قبل نقاد الفن فحسب.. بل من قبل المشتغلين بالتحليل النفسى والطب النفسى وكافة المعنيين.. وفى كل الأحوال فإن اللوحات تستأهل العرض والتحليل والمشاهدة. وحين يتاح لأهالينا واخوتنا والعالم كله مشاهدتها، فسيجدون فيها مادة وثائقية للمحنة فى وجدان الأطفال والصبيان. فلا شىء مثل الرسم تعبيرا عن وجدان الأطفال والصبيان. لأن الرسم- كما هو معروف- لغة عالمية تعبر بعفوية عن مشاعر الأطفال وأحاسيسهم. وقد انهالت علىّ الرسم حوالى الثامنة ليلا.. حين علموا بأن هناك جوائز لكل المشاركين فى عملية الرسم.

وقد لاحظت أن عملية الرسم قد خففت كثيرا من حدة القلق والتوتر الذى يتبدى بأشكال لا شعورية مختلفة.

وسأحاول تعميم التجربة على كل أطفال وصبيان المنطقة..بل كل مناطق الكويت إن شاء الله[1].

حيث سيكون فى متناولنا إذا تمت وثيقة وجدانية عن محنة احتلال الديرة بأقلام وألوان العيال المرابطين.

وفى الغد.. سيقوم «وضاح» بالاشراف على التجربة.. حيث سيوزع عليهم الورق والألوان بطريقة أكثر تنظيما.. بحيث يتاح لكل مشارك الاسهام وسط مناخ وظروف أفضل.

الثلاثاء ٢٦/ ٦/ ١٩٩١:

أول كلمة أسمعها ع الريق حال صحوى بعد الفجر بقليل هى «صدام سينسحب» ولأنى أريد اللحاق بموعد الصلاة قلت دون توقف «حسافه.. ليش مستعجل.. سيحرمنا انسحابه من شوفة بو سعود وأم سعود وكل الربع الطيبن». أترقب سماع أول

(١) بعد التحرير: قام المركز الإعلامى «بالجابرية» بعمل مسابقة مفتوحة فى الرسم حملت اسم «المحنة فى وجدان الأطفال».

نشرة للأخبار. بالصدفة: إذاعة السعودية.. نشرة السابعة صباحا.. اللحن المميز.. المذيع حسين التركى.. يتحدث عن سير العمليات العسكرية.. لا خبر فى الموجز عن الانسحاب، لكن ثمة خبرعن انعقاد مجلس الأمن. أتابع تفصيل النشرة دون أن يكتنفنى أى احساس بالاحباط. لأن أملنا فى الله سبحانه كبير كبير.. بدون حدود.. والتفاؤل رفيقنا طوال شهور المحنة الصعبة. الأخبار تتحدث عن سقوط ٢٠ عشرين ألف أسير عراقى. سقوط صاروخ سكود فى المنطقة الشرقية (فى منطقة سكنية نتج عنه وفاة ١٢ فردا وعدد من الجرحى. المنطقة التى سقط فيها الصاروخ يقطنها الأجانب. القوات المصرية تصل السالمية.. وتأسر عددا من الأسرى.. إلخ.. إلخ. ولكن ثمة خبر يقول فى النشرة أن مجلس الأمن سيعقد جلسة مغلقة مساء اليوم. ما علينا.. ان قناعتنا بأن قوات صدام لا بد- بأذن الله- أن تنسحب أو تسحب!.

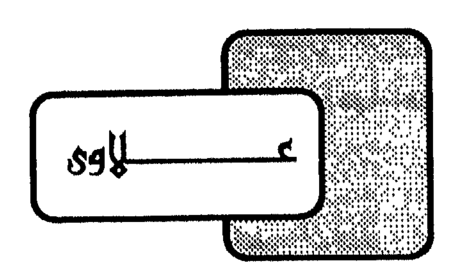
أنصت إلى إذاعة الكويت بعد قطيعة دامت أغلب شهور المحنة أفرح كثيرا حين أعرف أن برنامج صباح الخير الذى تعده أو تشارك فى اعداده الأخت الصديقة الشاعرة سعاد الصباح.. وأخينا الزميل بوراكان مطلق مساعد العجمى.. إلخ. أحس بالتغيير النسبى لمنحى الإعلام الكويتى. شخصية الشاعرة وبصماتها واضحة على البرنامج. صوتها الملىء بالشجن والشموخ مريح للأذن ومؤثر على السامع أكثر من أصوات أغلب المذيعين الهواة أو المحترفين لا فرق!.

والمهم فى التغير الذى لاحظته على البرنامج هو الوعى وعدم الارتهان لهيمنة وكالات الأنباء الأجنبية فى صياغة الخبر والتعليق. فحين كان البرنامج يتحدث عن عملية استسلام الجنود العراقيين فإنه طرحها بدون شماتة.. بل بلغة واعية تحرض البقية الباقية التى تزج بها فى حرب واحتلال اختاره رجل واحد.. وحاكم مستبد أعماه الحقد وجنون العظمة.. فغزا الجارة الصغيرة التى ساندته بالنفس والنفيس وطعنها بليل بخنجر الغدر.. واجتاحها واستباحها وعاث فيها زبانيته وعصاباته فسادا وسلبا وارهابا لم يسبق له مثيل.

أكثر ما أثارحنقى على البرنامج كثرة الأغانى «الوطنية» التى ليس فيه من الوطنية سوى الصراخ.. وما إلى ذلك من عنتريات لا تحرر شبرا من أرض الوطن المحتل.. ولا تحرض على فعل وسلوك ايجابى يسهم فى عملية الصمود وموقف المرابطة.. فضلا عن تحرير الوطن.

وكان يمكن لبرنامج صباح الخير أن يكون أكثر فائدة وجدوى أن اسرة الإعداد شملت عددا من أبناء الكويت أصحاب المعرفة والعلم والخبرة فى الإعلام الموجه المكرس لمحنة احتلال الديرة. ولكن ماذا يفيد مثل هذا الاقتراح- وغيره- الآن. سيما بعد أن بحت أصواتنا وكلت أقلامنا بالملاحظات والاقتراحات. ما علينا! أننا ندحرج ما ذهبنا اليه لمجرد التنفيس ليس إلا. وان شئت من أجل «الشهادة» للتاريخ!.

إن التعليمات والارشادات الصادرة بشأن الأمن والسلامة والتوجيه المعنوى أهم بكثير من ركام الأغانى الحماسية التى قلما يسمعها أحد من المرابطين.. لأسباب كثيرة سبق لنا التنويه بها.. ولا داعى الآن لتكرراها!.



الليلة البارحة جاء الديوانية اثنان من العسكر العراقيين العاملين بإدارة (....) بوزارة الداخلية. وتربطهما ببعض الربع علاقة معرفة. وقد أعتادا زيارة الديوانية كل ليلة.. أو بين ليلة وأخرى. ولا حاجة إلى القول بأن الربع أعتادوا الحفاوة بهما.. إلى درجة باتا يشعران معها بأنهما من أهل الحى. ومن طقوس الديوانية كل ليلة مشاهدة شريط مسجل للأحداث التى تبث عبر المحطة التليفزيونية سى. ان. ان حيث يتاح للجميع متابعة آثار العمليات العسكرية (من وجهة نظر الأمريكية بالطبع). وذات ليلة كان الجميع يتابعون الشريط.. وفجأة لاحظوا أن أحد الاخوة العراقيين قد أرخى رأسه إثر مشاهدته للطائرات الأمريكية تقصف أحد الجسور فى بغداد. إذ أن الجسر المقصوف لا يبعد عن منزل أسرته بمائتى متر. وقال للربع: أنه سيغادر فى الصباح للأطمئنان على أهله. ولكن زميله حذره من مغبة هذا التصرف فى مثل هذه الظروف العسكرية الحرجة. سيما وان رئيسه فى الشغل لن يمنحه إجازة. لكنه قال سأذهب بدون اذن، ولو رفضوا منحى الإجازة! وكان طوال القعدة حزينا ساهما، بينما كان الربع يهونون عليه المسألة! المهم أنه ودع الربع فى العاشرة ليلا مقبلا أياهم واحدا واحدا.. آملا أن يراهم على خير. قال بأنه إذا لم يعد - لسبب أو لآخر - فإنه يرجى السماح

والمعذرة لأنه وأمثاله زجوا فى حرب لا نقاة لهم فيها ولا جمل!.

ومرت أيام ثلاثة خلنا معها بأن صاحبينا لن يعودا ثانية. وفى التاسعة والنصف من الليلة البارحة رن جرس الباب فصاح البعض: أكيد هذا «علاوى».. وهكذا كان. استقبل بالأحضان. وكان الحزن بينا على محياه. حيث أفادنا بأن شقيقه الذى يصغره المتخرج من أحد المعاهد لتوه قد قتل. وان العراق يعيش حياة مأساوية حيث الماء والكهرباء والتليفونات غائبة.. والتموين شحيح وغال.. إذ بلغ ثمن كيس الطحين- على حد قوله- ألف دينارا. حتى ان المائتى رغيف التى أخذها معه تخاطفها أهله وأقاربه وأكلوها ساعة وصوله.

وكان وزميله يتحدثان- لأول مرة- بجرأة ودون خشية عن الرئيس المختفى فى مخبأ بالناصرية.. وأنه- أى الرئيس- لا يعبأ بموت ملايين العراقيين ما دام وطغمته يتربعون على كراسى السلطة. وأفاد بأن ملايين الشعب المتذمرون ساخطون.. وصاروا يتحدثون بصوت عال: عن استبداد الريس وطغيانه وجنونه.. إلخ. لكنه أضاف بأن الشعب الأعزل لن يقدرعلى تغيير السلطة والانقلاب عليها. لأن «صدام» حذر جدا وعبقرى فى إشاعة الفتن والخوف فى صفوف الجيش. زد على ذلك أنه يحيط نفسه بأزيد من خمسة عشر ألفا من العسكر المدججين بأفتك الأسلحة وأشدها دمارا. وأنه لا يقف هذه الأيام إلا بثلاثة (طارق عزيز، ونصيف جاسم وثالث لا أذكره). وهم وحدهم- دون غيرهم- الذين يقابلونه فى المخابىء الأربعة عشر التى ينتقل اليها والموزعة على شتى محافظات العراق!.

وأشار إلى أن القتلى العراقيين من جراء غارات «الحلفاء» تزيد على الرقم المعلن (٢٠ ألف قتيل).

وأضاف بأن معاناة الشعب العراقى يصعب وصفها. ومن هنا فأنه يتوقع من صدام القيام بأى عملية عسكرية انتحارية جنونية تخلصه من الرعب الذى يعانيه. ولذا طلب من الربع أخبار الكويتيين عدم الخروج ولزوم بيوتهم لأن المخابرات يصطادون الشباب..

وان المخافر مليئة بمئات منهم. وأضاف بأن كمامات الوقاية من الأسلحة الكيماوية قد وزعت فعلا على الجنود.

وفى عصرية اليوم جاء «علاوى» على عجل وأخبر بعض الأخوة بأن الأوامر قد صدرت اليهم بمغادرة الكويت فورا. وغادر مسرعا والحزن يكسو محياه بينما لسانه يلهج بالشكر والاعتذار. وكرر مطالبة الأهالى فى عدم التجول والخروج من المنازل. لأن «صدام» وزمرته الطاغية يمكن أن تقوم بأى فعل عدوانى مدمر!! ويحلف أحد الربع بأنه رأى الدموع متحجرة فى عينى «علاوى» وهو يودع الربع الطيب الذى احتضنه بدفء وسخاء العربى المعهود.

لك الله يا «علاوى» لك الله يا شعب العراق المغلوب على أمره.. لنا الله جميعا. فنحن- مثلكم- لا ناقة لنا ولا جمل فى هذه الفتنة. وحين أثارها «صدام» لجأنا- بداية- إلى المولى سبحانه نطلب عونه.. ومن ثم طلبنا حوار الأشقاء. لكن الخيانة والغدر كانا ناضجين. بعد أن طبخا على نار شيطانية هادئة!.

راح «سعد» إلى الرياض يتأبط طيبته وعباءته. وعاد فى العشية باسما.. ثم صرح للصحافة: كل شىء سيحل بالحوار. وقبله.. قال «صباح» حين لاحت بوادر الفتنة وفاحت ريحتها: وحدوا الله يا أهالى الكويت.. ولا تخشوا شيئا.. أنها مجرد سحابة صيف. قد تعربد بالرعد وتكحل شمس أيلول بغيوم سود.. ولكن لا تخافوا فسحابة الصيف سرعان ما تنقشع حينما تهب ريح الشمال.

وهكذا نامت الكويت عشية الأربعاء آمنة مطمئنة واثقة بأن هذه الغيمة السوداء «سحابة صيف» سرعان ما تنقشع فى الصباح.. هكذا قال:صباح. والشيوخ أبخص من جهينة!! هكذا قال شايب من أهل الله ومن جيل كويت البحر والبيوت الطين المتراصة بالمودة والتراحم والتكافل. لكن «علاوى» حين غادر عشية اليوم حذر الربع من الطيبة الزائدة... عينى هذا ما تعرفوه مثلنا.. هذا ابليس ما يخاف الله.. خلو بالكم.. ترى

كل شيء ممكن يسويه بيكم. هو هسه عارف أنه ميت لا محالة. لكنه قبل ما يموت لازم يموت قبله آلاف وملايين من العراق والكويت والسعودية... إلخ.

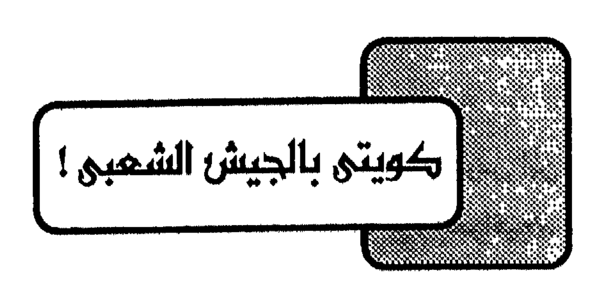
الله وياكم.. الله وياكم.. في أمان الله. في أمان الله.

كيفان المرابطة في ٢١/ ٢/ ١٩٩١

مضحكات

مبكيات!





كويتى بالجيش الشعبى !

* كدت دوما من الذين يتهمون السينما العربية المصرية بالهامشية لأن جل موضوعاتها تنويعات مجترة لحكاية «الجوازة دى مش ممكن تتم» لأن العريس «بيه» ابن «بيه» والعروس «بنت ايه» تعيش على الحديدة والفول والطعمية ولله الحمد. وكنت أعتقد أن ما يكتبه الروائيون السينمائيون لا يمت إلى الواقع بصلة. فسياق الفيلم السينمائى يتكىء على الصدف والمفاجآت الشاذة الغريبة التى لا يمكن أن تحدث فى دراما الحياة اليومية.

لكن مفاجأة الاحتلال العراقى الصدامى للكويت وما تمخض عنها من سلب ونهب وهتك أعراض وإعدام فورى وقمع وارهاب يصعب وصفها.. وما إلى ذلك من ممارسات إجرامية.. أقول بأن وقوع هذا الحدث الجلل قوض كل تحفظاتى السابقة بشأن السينما المصرية، فقد عايشت أحداثا - إبان فترة الاحتلال - وسمعت غيرها.. وهى أحداث لو رأيتها فى مسرح العبث أو اللامعقول (حسب التسمية الصحفية الشائعة) أو شاهدتها فى رواية سينمائية لاتهمت المؤلف وكاتب السيناريو والمخرج بالاستخفاف بعقول المشاهدين والضحك على ذقونهم.. لأن أحداث دراما الاحتلال العراقى طافحة بالعبث والشذوذ والغرابة والمفاجآت التى لا يتوقعها أحدا.. فالمآسى تبز كل ما تخيله وأبدعه

كتاب «التراجيديا» السينمائية.

أما «الكوميديا» فقد كانت هى الأخرى حاضرة فى دراما الاحتلال العراقى.. لكنها «كوميديا» فريدة مميزة لا يضاهيها أى نوع من أنواع «الكوميديا» وفى ذهنى مشروع اسم لها قد يصيب أو يخيب.. أنه «الكوميديا الحمراء» التى تنزف دما وعدما وقمعا.. وما خفى أنكى وألعن! والمهم الآن: هو أن نتعرف على عينات عشوائية من هذه «الكوميديا الحمراء» ونترك للأخوة الزملاء المختصين مهمة نحت الاسم المناسب لهذا النوع من الكوميديا.. وهذا شأنهم. أما نحن فحيسبنا القول والرواية.

قبيل الاحتلال كان المواطن الكويتى الشاب «فواز» فى البصرة. لحضور عرس ابن خالته. ومن المعروف بأن الكويتيين يرتبطون بعلاقة نسب قديمة مع الأخوة العراقيين. وثمة العديد من الكويتيين الذين يملكون مزارع وعقارات فى البصرة والفاو والزبير وأبو الخصيب وغيرها.

فى يوم الأربعاء عصرا كان صاحبنا يتمشى على سيف أو «كورنيش» شط العرب فى البصرة. لم يكن يقصد جهة معينة. لذا كان يسير بايقاع المشاى المتسكع، الذى يبحلق فى المارة والمركبات وشط العرب والمراكب التى تمخر عبابه. ويصيخ سمعه تارة إلى «بوذية» ريانه بالشجن المعهود فى هذا اللون من الغناء العراقى.. فيشطح مع كلماتها وما تحمله من دلالات القهر والنفى والغربة الجوانية.. ووسط هذا المناخ فوجىء بمن يمسك به قائلا: يالله. تعال معنا. بس. ولا كلمة! جره العساكر إلى شاحنة عسكرية مكتظة بالناس. حاول الاستفسار والاحتجاج بدون جدوى، فى السيارة «اللورى» اكتشف أن كل الموجودين لا يعرفون سبب القبض عليهم.. ولا يدرون إلى أين يسيرون بهم أخبرهم بأنه مواطن كويتى. سألوه «ليش ما خبرتهم بذلك؟ قال: حاولت وفشلت. لم يصدقونى ظنوا أنى أزعم ذلك ذريعة للهرب.

سألوه ثانية: أتحمل معك ما يثبت هويتك؟! تحسس جيوبه وهو يقول: لا شىء! هل يحتاج مثلى إلى حمل هوية فى البصرة؟! على كل حال، لو أنهم منحونى فرصة الافصاح عن جنسيتى وهويتى، لأكدت لهم بالدليل القاطع ذلك!.

توقفت الشاحنة أمام مبنى قديم فى أحد ضواحى البصرة. بعد قليل شرعت بوابة المبنى، فإذا بهم يدخلون معسكرا للجيش الشعبى. كانت «يفط» وملصقات زفة المظاهرات إياها تنتشر فى جنبات المعسكر. الجيش الشعبى؟! مالى أنا والجيش الشعبى؟! ووسط حيرته وتساؤلاته تذكر أن عرس ابن خالته سيقام فى عشية الغد. كيف سيفسر لأقاربه سبب وسر تخلفه وغيابه عن العرس؟! لكن.. لم التشاؤم؟ لعلهم جلبوه إلى هنا ليشارك فى مظاهرة «شعبية» للتأييد أو التنديد.. ومن ثم يطلق سراحه كما هى العادة! سلم صاحبنا أمره لله، فكف عن محاولة الافصاح عن اللبس والمفارقة الخاصتين بوجوده فى هذا المعسكر، الذى لا ناقة له فيه ولا جمل! ولا بأس عليه بأن ينضم إلى القطيع، لا سيما بعد أن أخبره العديد من الزملاء «الحكماء» بأن منحاه يعد خطأ بل خطيئة قد يكون فيها هلاكه! لذا فإن عليه أن يبلع ريقه ويخرس وينفذ الأوامر.. وبس. «حاضر سيدى» فقط هى المسموح بها! وما عداها ممنوع وحرام وباطل!.

مرت الساعات ولم يحدث شىء. لغط وتكهنات واحتمالات لا حد لها. تعب ونام.حين فاق كان نور الفجر يشع وينير الساحة التى رقد فيها.. توضأ وصلى ثم جلس صامتا. انتباه.. صرخ أحد ضباط الصف.. جاءهم القائد.. حيث أشرف على توزيع الأسلحة والملابس العسكرية عليهم. ومن ثم تم شحنهم بالسيارات المختلفة (باصات- شاحنات- مركبات لنقل المواشى).

فى يوم ٣ آب (أغسطس) كان «فواز» يقطن- أو بمعنى أصح- يحتل مدرسة ابتدائية بمعية «الرفاق» منتسبى الجيش الشعبى فى منطقة «النزهة» فى الكويت المحتلة وبعد أسبوع من الاحتلال وجد نفسه ضمن أفراد فرقة حاجز التفتيش (السيطرة حسب التسمية العراقية). كانت ورطة ما بعدها ورطة! حاول مرارا الهرب، لكن الفرصة المناسبة لم تسنح له. فهم لا يسمحون لأحد بالسير أو الذهاب إلى أى مرفق ومكان لوحده. كانت الأوامر مشددة تقضى بالسير جماعة. وقد لاحظ صاحبنا خشية

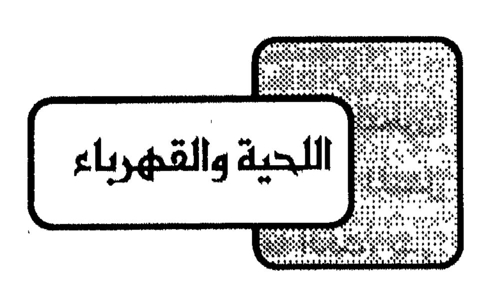
وارتياب كل رفيق بالآخر! لأنه يخشى أن يكون عينا للاستخبارات العسكرية.

وأثناء أدائه لمهمة التفتيش، كان فى قمة الارتباك والقلق والخوف كيف يبرر للناس انخراطه فى الجيش الشعبى؟ هل يصدقونه أنه أخذ عنوة وقسرا؟! كيف يتصرف لو صادفة أحد أقاربه أو معارفه؟! كان يدعو الله سبحانه ويتضرع اليه لأخراجه من هذا المأزق الفضيحة!.

فى الفرقة التى يشارك فيها مواطن بصراوى عجوز.. أعتاد أن يخصه برعايته، ويطمأنه إلى أن ورطته تحتاج إلى خطة تمكنه من الهروب بأمان. وقد وعده بالمساعدة.

ذات صباح كان فواز بمعية العجوز البصراوى وثلاثة من جنود الجيش الشعبى. كانت وجهتهم الجمعية التعاونية التابعة للمنطقة.

وفى هذه المنطقة السكنية تقطن أسرة تمت اليه بقرابة- وحين يكون «الرفاق» فى الجمعية سيتولى الأخ البصراوى تغطيته وتأمين تسلله لمدة من الزمن تكفى وصوله إلى منزل أقاربه. وهكذا كان. دق باب أقاربه فتح له الباب أحد الأطفال. ثم أغلقه بسرعة حين شاهد ملابسه العسكرية عاود طرق الباب بينما صوت الطفل يصرخ محذرا الأسرة من الجنود العراقيين. فتح الباب ثانية.. وكان رب البيت نفسه هو هو الذى فتح الباب هذه المرة.. لحسن حظ «فواز».. لأن الرجل عرفه بعد أن تأملة بدهشة! أدخله بسرعة. وفرح أهل الدار برؤيته وأحتفلوا به. سألوه: لم تلبس زى الجيش الشعبى العراقى؟! رد- بمرارة واضحة- لأنى «متطوع» لتحرير القدس!!!.



* ذات صباح كئيب من أيام الاحتلال الوحشى الهمجى اللاإنسانى فوجىء الأهالى والمقيمون بسماعهم لأغرب قرار يصدر عن السلطة الاحتلالية!! سمع: الحاضر يبلغ الغائب والراكب يعلم الماشى.. يمنع منعا باتا جميع سكان «محافظة الكويت» من تربية واطلاق لحاهم.. وعليهم حلقها فى التو «زيرو» ومن الجذور! وسوف تتخذ السلطات أقصى وأقسى العقوبات نحو الرافضين لهذا القرار.. التوقيع (سفاح المحافظة التاسعة عشر)!.

وأنتشر القرار «أو» الفرمان الهمايونى القراقوشى بين الناس على موجة التندر والسخرية! وفى نفس يوم صدور «الفرمان» الغريب كنت بمعية بعض الأخوة فى السيارة. ولم نكن قد علمنا بالقرار. وأمام حاجز التفتيش الأول اكتشفنا ذلك من البحلقة الشريرة التى كان يحدق بها رجال القمع و «السيطرة» فى وجوهنا وهوياتنا! قال أحدهم- لا فض فوه (آشوف كلكم ملتحين؟! هاى شنو. ها الطرقاعة! من الحين ماكو ليحة.. ممنوع اللحى.. كل واحد منكم يروح الحين الحلاق ويحلقها حالا). وقفز سؤال برىء من واحد «ملقوف»[1] منا قائلا: وماذا سيحدث للواحد الرافض لهذا القرار

(١) متطفل.

التعسفى؟! رد عليه العسكرى المدجج بالسلاح والخنوع فقال: يعدم فورا!! صحنا جميعا: إعدام مرة واحدة؟! وأنطلقنا ونحن نمشط لحانا بأصابعنا ثم ننزلق بها صوب رقابنا لنحسس عليها للتأكد بأننا ما زلنا أحياء! وانفجرنا بعدها فى نوبة قهقهة من باب «شر البلّية ما يضحك»!.

والسؤال الذى طرحه المرابطون على أنفهسم هو: لماذا هذا القرار التعسفى المثير للضحك المر والسخرية اللاذعة فضلا عن الخشية من الإعدام!.

لقد فوجئت سلطة الاحتلال- بعد مرور أسبوعين- بأن غالبية المرابطين ملتحون! ومع أن هذه الظاهرة عفوية، إلا أن المحتلين لم يروها بهذه النظرة.. تأكيدا للمثل الشعبى القائل بأن (كل يرى الناس بعين طبعه). فلذا ظنوا بأن حصورها الكث، يشى بوجود تنظيم حركى، وقيادة مستترة، ويدل على أنها استجابة لأمر القيادة وقرارها.. لتكون اللحية رمزا وعلامة فارقة لهوية المرابطين.. وفى الوقت نفسه لتكون وسيلة طبيعية للتمويه واخفاء الهوية الحقيقية لكل مرابط!.

ومن هنا راح المحتلون يدققون وينعمون النظر فى البطاقات المدنية، وفى الوجوه السمحة الشامخة لأصحابها! وراعهم وأثار حفيظتهم وغضبهم أن الصورة مطابقة للأصل! الأمر الذى حرضهم على اتهام المرابطين بالغش والتزوير! وجريمة التزوير- هى الأخرى- عقوبتها الإعدام! والحق أن عقوبة الإعدام حاضرة على ألسنة عصابات الأمن والقمع والاستخبارات.. فتراهم يلكونها- مثل اللبان- بدون أن يرف لهم جفن! وكان الإعدام غرامة بسيطة! ولذا تجده- أى الإعدام- العقوبة الجاهزة لكل تهمة.. حتى ولو كان هنة بسيطة أو جنحة عادية! فالإعدام- فى عراق صدام- هو سيد الأحكام!.

ومن هناك أحسب بأن الشعب العراقى، سيقل ويتناقص وربما ينقرض، إذا استمر الرئيس المزمن متربعا على كرسى الرئاسة مدى الحياة. لأن «وجباته» الإعدامية مستمرة ليل نهار.. وتعطشه للدماء لا يقف عن حد!.

فمنذ أن جرب عملية الاغتيال وهو طفل فى العاشرة من عمره استمرأ العملية وأدمنها!.

ولأن قرار حلق اللحى «قراقوشى» تعسفى كان من البديهى أن يثير ردود فعل متباينة. فالبعض نظر اليه باستخفاف ولم يأخذه على محمل الجدية! والبعض الثانى توجس منه وارتاب فيه، خشية اكتشاف استخبارات السلطة المحتلة لهوياتهم الحقيقية! فاللحية الطويلة المرسلة- كما هو معروف- تغير ملامح الإنسان وتخفى طلعته المألوفة للناس بدون لحية. فقد يتحول الشباب الثلاثينى إلى شايب فى السبعين.

ولو شاهدت الأخ «جاسم المطوع» رئيس تحرير صحيفة الوطن بلحيته الكثة التى يصل طولها إلى ركبتيه... لحسبته أحد مطاوعة «نجد»، أو أحد مشايخ الطرق الصوفية، أو درويشا مجاوراً فى جامع سيدنا الحسين بالقاهرة! ولأن «بو محمد» كان من المطلوبين- مثل غيره من الزملاء الصحفيين فإن لحيته الوقور مكنته من التخفى والتمويه وجنبته مخاطر الاعتقال والذى منه!.

وقد لاحظت بأن ضباط وجنود نقاط وحواجز التفتيش، يضيقون بالسؤال والاستفسار والحوار بشأن أى قرار يصدر عن الحاكم بأمره التكريتى! لأن القرار الصادر عن رئيس العصابة المهيب، مصون ومحصن ضد الرفض والاعتراض والاستفسار والحوار! وفى هذا السياق أتذكر أن نقطة تفتيش طالبت رجلا مسنا بحلق لحيته. لكنه زجرهم بدعوى أن هذا القرار يمثل مصادرة لأبسط الحقوق المتاحة للإنسان العربى. ثم قال لهم متهكما: نعنبو[1] ابليسكم كل شىء عندكم ممنوع؟! وكل ممنوع عقوبته الإعدام؟! وما دام الأمر كذلك.. ليش ما تعدمون «عدى»[2]؟! ولا تسألنى ما الذى حدث لهذا الشايب الجرىء.. لأن الجواب عند المخفر أو فى بطن السجن.. كما هى العادة «الصدامية» الإرهابية.

وقد لعبت المرأة دورا هاما فى حماية اللحى وأصحابها من الإعدام.. حيث توارى الملتحون المطلوبون عن أنظار المخبرين والجواسيس ورجال الأمن والاستخبارات. وقامت

(١) ملعون أبو.

(٢) المعروف أن عدى صدام حسين كان ملتحيا!!

النساء بقيادة سياراتهم وانجاز المهام المطلوبة منهم طوال فترة المنع. واضطرت السلطات المحتلة إلى نسيان قرار حلق اللحى ولحسه، بعد أن لاحظت أنه قوبل باستخفاف وتندر ولا مبالاة... وبعد أن صار نكتة سمجة ممجوجة، تدل على خواء جعبة المنظمة السرية الإرهابية- التى تحتل العراق والكويت معا-، من التمثيليات الساذجة التى يبدعها عباقرة الحرب النفسية فى حزب العبث الهمجى.

ولعل أكثر ما كان يثير ثائرتهم: هو اكتشافهم بأن الملتحين يربون لحاهم تأسيا بسنةالرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، بل أن أى اشارة تشى بأن الإنسان المرابط مؤمن بالله، لاجىء إليه ومتدين ويخشى الله سبحانه.. أقول أى اشارة كهذه: تحرضهم على العربدة والكفر والزندقة، فضلا عن كيل السباب والشتائم التى تتجاوز ببذاءتها سقف الانحطاط والسفالة!.

وبعد مرور شهر على الاحتلال البغيض، كانت حلية المرابط لحيته بل صارت هويته وبصمته وعلامته الفارقة! وأصبحت اللحية هى القاعدة وغيابها عن دقن المرابط هى الاستثناء!.

وقد أثار هذا الحضور الكثيف للحى، تساؤل وبحث وريبة وسين وجيم واعتقالات وتعذيب ونتف لحى بالملقط و «الكلابتين» وما خفى أنكى وألعن! وفى هذا السياق أذكر أن الاستخبارات العراقية الصدامية، قد اعتقلت أحد أعضاء مجلس الأمة الإسلاميين.. وهو ملتحى منذ مدة طويلة ولحيته غزيرة كثيفة وخطها الشيب والوقار. ولأنه إسلامى الاتجاه والاختيار يختلف اتجاهه عن الجماعة الإسلامية التى أيدت سفاح حسين وهللت وباركت غزوه وعربدته واحتلاله للكويت.. لهذا السبب وغيره عومل بقسوة فى السجن على الرغم من أن «ذنبه» يكمن فى أنه لجأ إلى المخفر للإبلاغ عن سرقة. صحيح قلبك أخضر ونقى! تروح المخفر؟أتظن أن المحتل حضارى ينتمى إلى دولة المؤسسات الشرعية الدستورية؟! أنسيت أن المحتلين توأم عربى لعصابات المافيا الإجرامية؟! الحاصل أن هذا الأخ المرابط تعرض إلى تعذيب وحشى مرعب! ولكن إيمان

المحتسب مكنه من تجاوز محنة الاعتقال والتعذيب.. ولله الحمد. أى نعم نتفوا له لحيته من جذورها، بطريقة وحشية وسلطوا عليه عذاب الصدمة الكهربية والمسدس الكهربائى والعصا الكهربائية (أظن أن الخواجة أديسون مخترع الكهرباء يتململ فى قبره لأن نظام سفاح حسين حول الكهرباء إلى قهرباء!) ما علينا.

فالمهم أن هذا المرابط التقى المحتسب لم يرضخ فصبر ورابط ليقينه بأن مع العسر يسرا. ومع الأيام التأمت جروحه وازدهر وجهه وذقنه بشعيرات اللحية.. ويوم التحرير انقلع «الحلاق» وهرب الجلاد وصمدت وعاشت اللحية رغم أنف عدة النتف والقمع والقهرباء!!!.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



بعد مرور شهر على الاحتلال الغادر فوجىء جيران «خالد» بأنه غادر مسكن الزوجية حاملا شنطة ملابسه وأغراضه الخاصة ليسكن فى منطقة بعيدة. ولاحظوا أنه يضع على عينيه نظارة سوداء ليخفى آثار دموعه.

خالد فى الأربعين من عمره. متزوج وعنده عيال: بنتان وولد. زوجته عراقية اختارها له خاله المتزوج بدوره بعراقية. وطوال الخمسة عشر سنة الماضية كانت حياته الزوجية هنية وموفقة. على الرغم من غيرة الزوجة على زوجها. الحق أنها غيرة معجونة بالخشية والقلق. لأنها لاحظت على بعلها كثرة أسفاره وسهره خارج البيت. صحيح أنها مستيقنة بأن طبيعة عمله تفرض عليه ذلك، لكنها «تهوجس» بهاجس زواجه من كويتية من اللواتى يتحلقن حوله فى كل مكان يحل فيه بسبب نجوميته وشهرته وحضوره الاجتماعى الجذاب.

يذكر «خالد» أنه صارح زوجه قبيل العقد بطبيعة عمله، وبعاداته وعيوبه، وهناته وزلاته، وهواياته وصداقاته ويذكر أنها تفهمت مصارحته بل أنها- المصارحة- عجلت بحدوث المصاهرة.

كان خالد يقود سيارته شاردا حزينا إلى درجة أنه لم يفطن إلى نقطة التفتيش التى تسد طريقه إلا قبل موقعها بأمتار قليلة (شبيك؟ سكران؟ انزل! افتح الدبة[1]. هاى شنو أنت مسافر؟)، انهال عليه الضابط بالتساؤلات.. وفتش جيوبه وسيارته.. ولاحظ صورة كبيرة باطار بنى محروق فسأله: هاذول منو اللى وياك؟ أجابة- بشجن- عيالى وأمهم. سأله: وليش هم مووياك؟ رد: مسافرين. وين؟ سكت برهة. فكر بسرعة. أى بلد يختار؟! قال: مسافرين قبرص!.

ركب سيارته وقادها بهدوء هذه المرة.. على الرغم من أن حالته النفسية كما هى لم تتغير. وصل السالمية[2]. أوقف السيارة بجوار غرفة البواب الواقعة فى ركن قصى من موقف السيارات المخصص لسكان العمارة. الشقة التى سيقطنها تخص صديقا حميما له. العمارة لم يبق فيها سوى قلة من السكان.. هكذا قال له عم «هريدى» حارس العمارة المصرى. وسار معه صامتا يحمل له بعض أمتعته بينما خالد يحمل عدته الفنية.

حين احتوته الشقة.. شعر براحة مشوبة بالحيرة والتطير.. فراح يفكر بصوت عال: ماذا لو فعلتها هذه المجنونة الغيورة وبلغت عنه الاستخبارات العسكرية العراقية بأنه «عميل» كويتى من أفراد المقاومة العسكرية الكويتية؟! وكيف يتصرف لو أن أحد جيرانه ظن به الظنون من جراء كثرة وتواصل زواره من العسكريين العراقيين الأقرباء لزوجته؟ لقد عن له ذات مرة أن يمر على الديوانية، ليخبر جيرانه بأن زواره مجرد أقارب لزوجه. وأن الواجب العائلى، يفرض عليه حسن استقبالهم. كما أنه ليس من اللائق الاعتذار عن لقائهم، وسد باب داره فى وجوههم، بدعوى أن هذا الحضور يحرجه أمام جيرانه ويجعله موضع شك وريبة. وحين هم بالذهاب إلى الديوانية، عدل عن ذلك خشية أن يراه الربع بعين (كاد المريب أن يقول خذونى)!.

---

(١) صندوق السيارة.

(٢) منطقة سكنية.

وقد أثار خروجه من البيت المزيد من ريبة وغيرة أم عياله. وزاد الطين بله أنه لم يتصل بها. الأمر الذى اضطرها إلى أن تطلب قريبها الضابط بالاستخبارات أن يعرف أين يقطن بعلها. وأوحت له فى سياق حديثها بأن مغادرته للبيت تشى بعلاقته بالمقاومة الكويتية. من ناحية أخرى أوحت للجيران بأن زوجها سيحتل منصبا فى عهد «الحكومة الثورية الكويتية!!» ونوهت بأن «القيادة القطرية» فى بغداد قد استدعته لاستمزاج رأيه فى المنصب السامى الذى سيسند إليه!.

تناول الجيران روايتها بين مصدق ومكذب.. وتدحرجت الرواية على أرضية القيل والقال فتضخمت بالتواتر كما كرة الثلج المتدحرجة من عل!.

وكانت هذه الروايات تصل إليه عبر صديق له يجاوره فى السكن، ويعرف الأسباب الحقيقية لمغادرته المنزل وسكناه فى شقة لوحده. وكان هذا الصديق يعتقد بأن أسلوبه فى معالجة هذه الورطة، يثير الشبهات والريبة من كلا الطرفين (الكويتى.. والسلطة المحتلة) على حد سواء! لأن الناس- عادة- يحكمون على المرء من الظاهر لا السرائر! وبهذا المعنى فإن غيابه عن البيت والجيران، قد يؤكد أقاويل أم بنيه التى أعمتها الغيرة. فضلا عن أن اختفاءه وعدم دفاعه عن نفسه، يثلم وطنيته بالنسبة للمواطنين الذين لا يعرفونه عن كثب!.

لكن «خالد» لم يقتنع بوجهة نظر صديقه، على الرغم من أنه- فى قرارة نفسه يعتقد بوجاهتها- ربما لأنه من النوع الذى لا يحب مواجهة المشاكل والتصدى لها. فهو يفضل الهروب منها، اعتمادا على أن الزمن كفيل بحلها. ولذا فهو قابع فى الشقة... ينتظر الفرج أن يدق عليه الباب، أو يهبط عليه من ساحق، بدون أن يحرك ساكنا ويفعل شيئا! كان التليفون وسيلة اتصاله وتواصله بالعالم خارج محبسه فى الشقة.. زد على ذلك «عم هريدى» البواب، الذى اعتاد أن يمر عليه عدة مرات فى النهار والليل.. يشاركه الطعام ويؤنس وحشته، ويزوده ببعض الأخبار الداخلية التى يسمع عنها، ويشترى له حاجياته التموينية. ولم يفكر «عم هريدى» البته بسؤاله عن سر

اقامته وحيدا بمنأى عن منزله وأسرته وحيه. لأنه يعتقد بأن هذا التطفل ليس من شأنه ولا شيمته كان «عم هريدى» يطبق الحكمة الهندية الشهيرة «ما رأيت ولا سمعت ولن أتكلم». هكذا نصحه والده الحاج «عبعال: أى عبدالعالى» الذى أفنى عمره فى مهنة حراسة العمارات فى مصر المحروسة ابان العهد الملكى.

وذات ليلة كان فيها «خالد» فى ذروة التوتر والحيرة والتمزق.. إلى درجة أن فكرة الانتحار أستحوذت عليه.. وسكنته! لا سيما بعد أن اتصل بمنزله محاولا السؤال عن عياله والاطمئنان عليهم.. لكن زوجه هبت فيه ثائرة معنفة اياه مكشرة عن أنياب التهديد والوعيد! وكعادته لم يتمكن من احتواء غضبها وغيرتها العمياء.. بل أنه هو الآخر راح يعنفها ويكيل لها السباب ناعتا اياها بألعن الصفات والعيوب والمثالب! متعمدا اثارة غيرتها بالإيحاء لها- عبر الموسيقا الرومانسية الخارجة من جهاز التسجيل- بأنه بمعية «ضرتها» المحتملة! وكان هذا التصرف اللاسوى بمثابة القشة التى قصمت ظهر بعير الحكمة والعقل والصبر. يتذكر أنها أنهت المكالمة الهاتفية بقولها «أتظن أنى لن أعرف مكانك. أنسيت أن أقاربى ضباط فى الجيش والاستخبارات ومن كبار رجال الحزب؟ زين يا «بو وليد» باكر تشوف ايش راح أسوى فيك! والله ثم والله.. إذا ما أحطك فى الحبس أنى ماكون بنت أمى وأبوى! حين أنهت المكالمة راح يفكر فى تهديدها. هو يعرف أنها تعنى ما تقول. من هنا عاودته فكرة الانتحار! خيل إليه أنها الوسيلة الوحيدة لخلاصه! فدخل عليه «عم هريدى» وهو يكرع الراح صرفا كما الماء القراح! روعة المشهد الجديد عليه لكنه وأد دهشة كادت تفلت منه. تذكر نصيحة أبيه فقبع قبالته دون أن ينبس بهمسة! كان «خالد» يمور ويغلى بمشاعر القهر والقنوط والاحباط والاكتئاب. وكلما أسرف فى الشراب تفاقمت مشاعره الوسواسية الكحيلة، وزادت رغبته فى الانتحار!.

وبخبرة السنين شعر «عم هريدى» بأن «خالد» لا يرغب فى تبادل الحديث معه. لذا سأله وهو يهم بالخروج «مش عايزه منى يا بيه قبل ما أروح؟» نظر إليه الرجل

بعينين زائغتين، وغمغم بعبارات مترنحة بدت لعم يهريدى» كما الكلمات المتقاطعة، فخرج وهو يقول «فتك فى عافية.. سلامو عليكم».

فى الصباح الباكر شاهد عم هريدى «خالد» يساق مخفورا بمعية بضعة جنود، حيث أركبوه سيارة شرطة «النجدة الكويتية» التى استولت عليها سلطة الاحتلال «ضمن مسلسل النهب المنظم لكل ما فى الكويت المحتلة!» قادته السيارة إلى مخفر الشرطة.. فأودع فى الحبس بتهمة «الزنا والعربدة»، ومن ثم نقل إلى سجن فى البصرة «بتهمة» الانتماء إلى المقاومة الوطنية. أما حرمه المصون فقد أشاعت فى الحى بأن بعلها يقطن فى «ضيافة» الحكومة العراقية انتظارا لتعيينه فى منصب رفيع «بالمحافظة التاسعة عشر» فى غضون الأيام القليلة القادمة! وكانت تقول ذلك وهى تتذكر تهديدها له- وابتسامة الشماتة تطل من عينيها (مو قلت لك.. آنى راح أوديك للسجن.. وهذا يا بو وليد خوش مكان لشهر العسل مع هاى اللى تريد تتزوجها).



تحياتي وأشواقي
إلى شرفي المصون !

* طار بسيارته على طريق السفر السريع.. متوجها على الطائر المجنون صوب حدود الكويت مع السعودية حين عزم على المغادرة: كان رأسه بدون عقال ولا عقل. اعتمر «غترة»[1] وتلثم بها بدون أن يعرف لماذا! خيل إليه أن القيامة قامت.. «يوم أن يفر المرء من....» نسى بقية الآية الكريمة! الخوف كان رفيقه فى السفر. وكان خوفه يتضخم، كلما تذكر الأخبار التى ترددت بين المواطنين والمقيمين، عن حملات المداهمات التعسفية لمنازل الكويتيين، وانتهاكات العرض وعمليات الاغتصاب والسلب والنهب والحرق والتقتيل، والاعدام الفورى والاعتقال العشوائى والمنظم بذريعة أو بدونها! وكانت هذه الوقائع المرعبة، تتداعى إلى ذهنه طوال سفرته، وكلما حاول الفكاك منها- بطريقة أو بأخرى- اقتحمته وأشعلت جذوة رعبه.

صادف فى طريقه سيارات متعطلة، وأخرى غائصة فى الرمال وحوادث مرورية مفزعه، لكنه لم يتوقف ولم يأبه لصيحات واشارات النجدة التى كان يصرخ بها المسافرون الراغبون فى المساعدة والعون!.

---

(١) غطاء الرأس الذى يوضع عليه العقال.

عيناه ووجدانه وذاكرته تسكنهم الحدود.. مركز الحدود السعودى بس! ولا شىء غيره!.

نسى كل شىء، غل عقله، وأمحت ذاكرته، ومات قلبه، وعميت بصيرته!.

تحول إلى دابة ميكانيكية تطوى الرمال طيا كجلمود صخر حطه الذعر من عل!.

فى مركز الحدود السعودى، كان ضباط الجوازات والجمارك ينظرون إليه بدهشة واستغراب، لأنه قادم لوحده دون أن يكون بمعيته أحد، مثل بقية المواطنين الفارين من جحيم الاحتلال «الصدامى» الهمجى. سأله أحد الضباط «أراك وحيدا.. عسى ما شر؟» ارتج صاحبنا للسؤال على بساطته.. وأخذ «يبولع» فى ريقه دون أن يفصح لسانه عن كلمة واحدة! أمعن الضابط النظر فيه مليا، وراح يتفحصه من هامته إلى كعبية، ثم قال له (أتشكو من شىء؟ هل أنت مريض؟ تبغى نوديك المستشفى؟) لم يرد واستمر صامتا. ختم له الضابط جواز السفر وهو يقول هامسا «لا حول ولا قوة إلا بالله.. حسبى والله ونعم الوكيل.. اللهم لا شماته».

فى مدينة «الخفجى» السعودية أوقفته الفرقة الأذاعية الكويتية التى اعتادت اجراء مقابلات اذاعية مع الوافدين الكويتيين إلى السعودية. لم يكن فى حالة تسمح له بأداء وصلة النداءات اياها. لكن المذيع حاصره قائلا: أنت على الهواء مباشرة مع اذاعة الكويت.. الحمد لله على السلامة ممكن تقول للسادة المستعمين السبب الذى دعاك إلى مغادرة الديرة؟ فى البداية شرع يكح ويتنحنح.. ومن ثم قال: الحقيقة وبصراحة شديدة، غادرت البلاد دفاعا عن عرضى، وحماية لشرفى، وصونا لكرامتى، الخ.... الخ. رد عليه المذيع: مأجور أن شاء الله!! ثم أردف متسائلا: (زين تحب توجه نداء إلى أحد فى الديرة؟!) عاود ثانية نوبة النحنحة والكحة ثم هتف بملء فيه قائلا (أحب أسلم على زوجتى وبناتى وأمى وجدتى وعماتى وخالاتى وخواتى و.... و.... و...)!!!.

دخول التاريخ من بوابة حديقة الحيوان

* هو نفسه لا يعرف كيف ولماذا ساقته سيارته إلى ذلك المرفق الذى قد لا يفكر أحد بسكانه، وسط حالة الارباك والفوضى والأرهاب والرعب والتوتر والسلب والنهب والقتل والاعتقال، وكافة الممارسات الاجرامية الوحشية، التى قامت بها عصابات المنظمة الإرهابية المستبدة التى تحكم العراق الشقيق برئاسة «العراب المافياوى المهيب» والزعيم الإرهابى القائد «صدام حسين».

كل ما يذكره: أنه- بعد صلاة الفجر من يوم ١٩٩٠/٨/١٥ وجد نفسه يفكر فى فصيلة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.. اعتاد زيارتها فى منطقة «العمرية» حيث مقر اقامتها وسكناها قبل الاحتلال الغاشم. وفى الثامنة صباحا امتطى سيارته ميمما سيره صوب حديقة الحيوانات فى «العمرية»، وطوال الطريق كان يظن أنه سيجد الحديقة خالية من الحيوانات سيما وأن المعلومات السائدة فى أوساط المرابطين تشى بأن عصابات الاحتلال قد «بلعت الحيوانات الأليفة، وسطت على الحيوانات النادرة، وأعدمت الفصيلة المفترسة أو تركتها تنفق وتموت جوعا وعطشا وقهرا!.

* يقول الشاب «سليمان الحوطى» بأنه فوجىء بالجنود العراقيين واقفين على باب

الحديقة. ولا يعرف لم اكتنفه الاحساس بالتفاؤل لمرآهم! ربما لأن وجودهم يشي بوجود أحد في الحديقة.. الأمر الذي حرضه على أن يتقدم بثقة وثبات طالبا منهم السماح له بتفقد الحديقة. سألوه: ومن أنت حتى تطلب منا مثل هذا الطلب؟! أجابهم: بأنه أحد القيمين المشرفين على ادارة هذا المرفق ورعاية سكانه. ويبدو أن محياه الطيب، ولسانه الذرب، وأدبه الجم ونيته الحسنة لفعل الخير، أقنعت العسكر بصحة مزاعمه على الرغم من أن عمله اداريا في وزارة لا علاقة لها البتة بحديقة الحيوانات.. الحاصل رافقه اثنان من جنود الاحتلال.. وراعه أن أغلب نزلاء الحديقة غير موجودين.. وراعه أكثر أن البقية الباقية من الحيوانات ضامرة مكسورة الخاطر! لكنه سر بوجودها على قيد الحياة أحصى منها بعد أنتهاء جولته العدد الآتي: (٥ أسود و٣ ذئاب ٢ نمور و٣ دببه و٢ فرس نهر احداهما بسنامين وجاموستان وحيوان اللاما واثنى عشر قردا وأنثى الفيل وبقرة واحدة).

* غادرت الحديقة على عجل ثم طفت على أصحاب «جواخير» المواشي حيث اتفقت معهم على تزويدي بالحيوانات المريضة والنافقة، وبعدها رحت إلى شبرة.. وسوق الخضار لأجمع منها الفضلات من صناديق القمامة، فضلا عن ما يتبرع به الخيرون من أعلاف وزاد حيواني.. ومن ثم عدت بنفسي محملا بالطعام الذي يقيم أود الحيوانات المتبقية في الحديقة. وقد لفت نظري أن الحيوانات الأليفة والمفترسة على حد سواء، كانت تجفل لدى رؤيتها للجنود العراقيين! الأمر الذي يدل على أنهم كانوا يعاملونها بقسوة، ويضربونها ضربا مبرحا يصل إلى حد موت البعض منها! وقد تأكد لي ذلك الاحساس حين وجدت- ذات زيارة- أحد الأسود غارقا في دمائه، من جراء جراحه الغائرة في رأسه وصدره وظهره! زد على ذلك- يقول الأخ سليمان الحوطي- أنهم- الجنود العراقيون- كانوا يتندرون ويسخرون من شدة اهتمامي بحياة بهايم لا تستأهل كل هذا العناء الذي أبذله في سبيلها! ومن تحصيل الحاصل: أن أذكر لك بأني لم أحفل بسخريتهم، بل أنها حرضتني على مداومة فعلي بدون كلل ولا ملل. سيما بعد أن ألفت الحيوانات وجودي، وصارت تترقب حضوري! وإذا حدث مرة وغبت عنها- لسبب

أمنى اضطرارى- ثم عدت إليها بعد هذه الغيبة، فإنها تستقبلنى بشوق شديد معجون بالعتاب «الحيوانى» المثير للدهشة!.

* فأنثى الفيل- مثلا- تستقبلنا (بعد أن أنضم- أخى الأكبر على والأخ عبدالله عبدالقادر تيفونى- إلى) بدموع الامتنان والفرح! ولعل أكثر ما ضايقنا- نحن الثلاثة- هو سطو الضباط والجنود المكلفين «بحراسة» الحديقة على طعام الحيوانات! بدعوى أنهم أولى «بالعلف» من البهايم. والغريب أنهم كانوا يبلعون أى طعام (الجنود لا الحيوانات) فيأكلون المواشى الميتة، والمريضة والنطيحة، والمتردية والمخنوقة و«الفطيسة»، التى تثير نتانة رائحتها الغثيان وتسبب الدوخة والأغماء!.

وهكذا صار من المألوف رؤيتنا- نحن الثلاثة- صباح كل يوم محملين بسياراتنا بطعام الحيوانات الأليفة والمفترسة.. طوال أشهر المحنة الماضية. والحق أننا وجدنا فى الحيوانات «إنسانية» أكثر من الحيوانات الآدمية التى تحرس الحديقة! بدليل أننا تمكنا من أقامة علاقة صداقة حميمة مع الحيوانات المفترسة وفشلنا فى ذلك المنحى مع الحيوانات المفترسة الآدمية! ولا نظن هنا بأنى أسميها بحيوانات مفترسة من قبيل المجاز أو المزاح! بل للتعبير عن واقع الحال الذى عايشناه وعانينا منه بشدة من جراء شراسة وفظاظة وقسوة معاملتهم لنا وللحيوانات على حد سواء!.

وأخيرا نحمد الله سبحانه وتعالى: الذى قدرنا على أداء هذه المهمة وبقى علينا أن نشيد بحسن المعاملة التى لقيناها من الضباط والجنود العراقيين الأكراد الذين تولوا الحراسة فى الشهور الثلاثة الأخيرة. فقد سهلوا مهمتنا بصورة جعلتنا ننسى العذاب الذى لقيناه من رفاقهم الذين سبقوهم فى الحراسة.

والعبد لله يحيى ويشيد بجهود الجنود المجهولين الثلاثة (على وسليمان الحوطى وعبدالله تيفونى) الذين دخلوا التاريخ من بوابة حديقة الحيوانات «بالعمرية» وبدافع التطوع الإنسانى الباغى للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى... فقط لا غيرا[1].

(١) هذه الخواطر نشرت فى صحيفة ٢٦ فبراير.



الفهرس



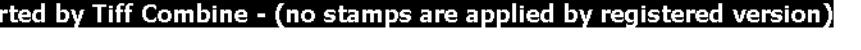
رقم الايداع ٥٢٤٠ / ١٩٩١

I.S.B.N

٩٧٧ - ٢٠٨ - ٠٥٢ - ٤







شاهد على زمان الاحتلال العراقى فى الكويت



هذا الكتاب الهام يستعصى على التصنيف ، فعلى الرغم من أنه مجموعة من المقالات أو الصرخات التى خطّها الكاتب وهو فى الكويت مع المرابطين أثناء الاحتلال إلا أنه فى النهاية يقدم شيئا أكثرمن هذا . .

يقدم صورة حنين وشوق لقيم ومعانى إنسانية ووطنية تكاد تندثر . فلغة الكتاب ليست لغة الإعلام الرسمى ولكنها خليط بين (السوالف) ، (الحكايات والطرائف باللهجة الكويتية) وبين التأملات والتعبير المؤلم عن الأوجاع العربية .

ويتعرض الكاتب – ضمن ما يتعرض – لموضوعات حيوية وهامة ، ويقول فيها كلمة صدق ، لجماعة الخير ، إنه يلفت النظر إلى مشكلة المواطنين بلا جنسية (بدون) والعمالة الوافدة على الكويت واختلاف طرق استعمالها والتعامل معها ويناقش دور الاعلام (خاصة الخليجى) أثناء محنة الاحتلال .

الجريمة التى ارتكبت فى حق الأمة العربية يجب أن تفجر مثل هذه الكتابات التى تتحدث بمعرفة وبصدق ومسئولية .

علاء الديب